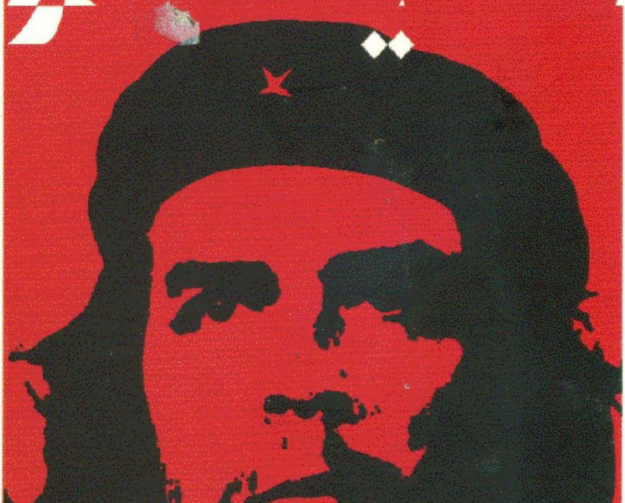
غيفارا



يوميات بوليفيا

الفارابي

غـيفارا

يوميات بوليفيا الكاملة

قدم للطبعة الجديدة الكاملة
فرنسوا ماسبيرو

ترجمة: مصطفى الفقير

الكتاب	**غيفارا** يوميات بوليفيا
ترجمة	مصطفى الفقير
تصميم الغلاف	فارس غصوب
الناشر	دار الفارابي– بيروت– لبنان
	ص.ب. ١١/٣١٨١–ت:٣٠١٤٦١–فاكس:٣٠٧٧٧٥
التنضيد	شركة المطبوعات اللبنانية ش.م.ل.
الطبعة	الأولى ١٩٩٨

محتويات الكتاب

يوميات بوليفيا

ملاحق

مقدمة للطبعة الجديدة

عام ١٩٩٥

في الرابع من آذار (مارس) عام ١٩٦٠، أي بعد أكثر من عام بقليل على انتصار الثورة الكوبية، انفجرت في ميناء هافانا سفينة الشحن «لاكوبر» الناقلة للثورة أسلحة كانت بأمس الحاجة إليها. وقد سقط، بفعل الانفجار، عدد كبير من الضحايا. يومئذٍ قام المصور البيرتو كوردا من صحيفة «غرانما» بالتقاط رسم انتشر، منذ ذلك الحين، بين مئات الملايين من الناس، في أرجاء العالم كلها. كان الرسم لوجه أرنستو تشي غيفارا المكلف بمهمات عديدة ومنها تنظيم الميليشيا، أي الشعب المسلح للدفاع عن الثورة، وقد ظهر فيه بشكل تحول معه إلى أسطورة، وقد هب لتنظيم الاسعافات الأولى في مواجهة نتائج الانفجار.

وبعد حوالى ثلاثين سنة على استشهاد التشي في التاسع من تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٦٧ في ادغال بوليفيا، ما تزال صورته تجوب العالم. إلا انها تبدو، كما هي في رسم البيرتو كوردا، ثابتة أبداً بالاسود والأبيض وفي مستويين، مطهرة، مبسطة ومستخدمة من هؤلاء وأولئك لأنبل الغايات، مثلما هي مستخدمة، في بعض الأحيان، لغايات تجارية. وهي لا تظهر بشكل رسم وحسب، بل ايضاً، بشكل ملصق او رمز وفي أسوأ

الاحوال، بشكل شارة أو دبوس للعروة أو رسم تقريبي لظل من الظلال التي تتكون منها الاشارات التي يتطوق بها الأحياء في محاولة بائسة لإعطاء معنى ما لحياتهم.

صارت هذه الصورة تعكس خيالاً لا رجلاً وأسطورة، لا تاريخاً وموتاً لا حياة. فالتشي ميتاً هو دائم الشباب والبطولة يتيح لكل الذين يذكرونه أن يحلموا بطهارة في بشرية-تفتقدها لانها تنتسب إلى البشر.

فالمناضل السياسي والقائد العسكري الذي كان لديه، مثل أي انسان، حالات يسطع فيها ويضيء، وحالات أخرى تعوزه فيها الرؤية، القائد الذي كان لديه يقينه الثابت وريبته الشديدة، قوته وضعفه، والذي كان بهذه المواصفات كلها يثير الرهبة، قد تحول إلى أسطورة مسيح علماني، ومزيج من دون كيشوت ودارتانيان (كي لا نقول زورو)؛ إنه قديس وبطل ومغامر في آن. إنه نوع من المسيح المنتظر متجلياً في الموت «أخطأ بكبرياء». فإذا بكلمة «كبرياء» قد تغلبت على ما عداها، وكأن كل شيء تحول، مع مرور الزمن، إلى مسألة جمالية. وماذا يمكن أن يكون أكثر جمالاً من صورة التشي هذه التي تجعله خالداً.

تكلّم تشي غيفارا وكتب كثيراً اثناء حياته السياسية التي لا نتذكر أبداً أنها كانت قصيرة: نحو عشر سنوات بالكاد، من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٧ ـ هذا إذا أدخلنا في عدادها سنوات حرب العصابات في كوبا، والسنتين اللتين أمضاهما في السرية عندما ذهب ليستأنف القتال. وإذا ما أخذنا في الاعتبار حياته العامة، بالمعنى الدقيق للكلمة، تلك التي مارس خلالها المسؤولية في رأس الثورة الكوبية، فانها لا تتعدى السنوات الخمس، قضاها في العمل والنضال على كل جبهات الثورة الظافرة والمهددة، لم يتوقف خلالها، عن الرغبة في شرح عمله ونهجه، ومطالبه، وأهدافه. لقد كان ميدانياً دائماً في البحث، وفي الاختبارات والتجارب. إلا انه مع مضي الوقت لم يعد كلامه عن تجربته كقائد حرب عصابات، ولا مقالاته كمسؤول سياسي ـ المثيرة في الغالب للجدل ـ عن مسيرة الثورة ومغزاها، ولا آخر نصوصه البرنامجية ـ **الاشتراكية والانسان في كوبا، خطاب الجزائر** ـ لم يعد كل ذلك ماثلاً في الذاكرة الجماعية ويعاد نشره، .

بل، ويا لسخرية التاريخ تبقى في الذاكرة فقط **يوميات بوليفيا** هذه، وهي مجرد مفكرة لم يكن لينشرها قط كما هي. وهكذا فإن ما أراده رسالة للحياة في اتجاه المستقبل قد اختفى، وبقيت هذه الملاحظات التي يرى فيها قارىء اليوم، الذي يعرف النهاية دون أن يدري شيئاً، تقريباً، عن البداية، مسيرة طويلة إلى الموت. في حين انه إذا ما اخطأ التشي ـ بكبرياء أو بدون كبرياء ـ فانه اخطأ هنا أولاً. وعن هذا بالتحديد ينبغي أن يجري الكلام.

كل الذين اقتربوا منه في أيامه، وشعروا بالتضامن مع عمله، ومع رغبته في تغيير الحياة والناس والعالم اعتبروا، طويلاً، أن واجب الأمانة يفرض أن تبقى حية ذكرى الرجل الذي واجه هجوماً مزدوجاً، وان يجري الدفاع عن هذه الذكرى. فهو قد ظلّ ـ لنقل ذلك تبسيطاً، بالنسبة للقادة السياسيين، ولقسم كبير من الراي العام في الولايات المتحدة وفي العالم «الغربي»، أي أولئك الذين قاتلهم التشي ـ تلك النفس اللعينة للشيوعية الدولية، وقوة الشر التي أرادت اشعال العالم واغراقه بالدماء لتقيم سلطة شمولية، والمعتوه الذي وضع نفسه بنفسه خارج القانون فانقذ مصرعه العالم من كارثة. أما في الجانب الآخر ـ جانب اليسار الذي كان مرتاحاً إلى الجمود السوفياتي وإلى التشويهات الاشتراكية المتمثلة في أنظمة «الاشتراكية القائمة فعلاً» ـ فانه كان يمثل الخطر المعبر عنه في الكلمات المنتهية بالياء والتاء المربوطة، تلك الكلمات التي تثير السخط في موسكو كما في بكين، كاليسارية، والانحرافية، والتروتسكية، والاشراقية، والمغامراتية، إلخ... الخطر المميت الذي يتهدد بيروقراطيي الأجهزة والنيمونكلاتورا. ان هؤلاء وأولئك مجموعين يمثلون في الواقع، عدداً كبيراً.

تبدو هذه الأحقاد اليوم، إنْ لم تضمحل بفعل مرور الزمن ومسار التاريخ، نوعاً من الكلام التافه المكرر والقديم. أما واجب الأمانة لذكرى التشي، اليوم، فينبغي التعبير عنه، بالدرجة الأولى، في النضال ضد تحويله إلى نموذج مثالي واسطورة اكثر مما في مجابهة الأحقاد القديمة، ورغم انه أثار عند الناس كماً من الأحلام بدونها لا يتكوّن التاريخ ولا ينوجد أصلاً، فانه لم يكن رجلاً حالماً. فمسيرة التشي في بوليفيا لا يجمعها جامع مع البحث عن ريمبو في الحبشة ولا مع رومنسية الهيبيين (بيتنيكس) التي

كانت رائجة في الستينات ولا مع تنسُك مرسل فرنسيسكاني، ولا مع كل المقارنات التي ازدهرت وأثارت الاعجاب[١].

فهو الذي كان يؤكد انه ماركسي ويصف نفسه كمادي بصورة راسخة، كان يؤمن بقوة التجربة والمعرفة. وكان في مقدوره أن يستشرف المستقبل، وأن يكون في الوقت نفسه، عملياً متشبثاً بالمعيوش. كان، بالتأكيد، انساناً خلوقاً، غير ان الأخلاق لم يكن لها عنده أيُّ معنى إلا إذا كانت سياسية، والسياسة ليس لها أي معنى إلا إذا كانت أخلاقية. كان إنساناً يرغب في ان يكون **سياسياً** بكل خلجاته ومشاعره، بالمعنى المتميز والنبيل للكلمة، المعنى الذي يلزم بحق وواجب **الاهتمام** بشؤون هذه «المدينة» العظيمة التي ينبغي أن تكونها البشرية. فمنذ عام ١٩٥٥ عندما كان لا يزال طبيباً ارجنتينياً صغيراً ومغموراً يستعد للانخراط في حملة فيديل كاسترو لتحرير كوبا من الدكتاتورية، وضع الأمور في نصابها من خلال رسالة إلى والدته يقول فيها: «لست مسيحاً ولا فاعل خير. إنني نقيض المسيح تماماً وعمل الخير يبدو لي عديم القيمة بالمقارنة مع الأمور التي أؤمن بها»[٢].

لذلك بالذات حان الوقت تماماً للعودة إلى الوقائع، وقائع عصر قريب، لكنه يبدو بعيداً بصورة استثنائية، إلى درجة أصبحت مرجحة معها اليوم صعوبة فهم الأوضاع والرهانات والطموحات التي كانت تتغالب فيما بينها، والنقاشات والنزاعات التي كانت تقوم بين أناس يناضلون، بالتأكيد، في سبيل تحقيق الأهداف نفسها. وبالتالي فإن العودة سنة أو سنتين إلى الوراء في مسلسل الأحداث لا تكفي إذا ما أردنا وضع **يوميات بوليفيا** في سياقها التاريخي. لأن أسباب حضور التشي إلى بوليفيا مثلها مثل أسباب فشله لا يمكن اختزالها لا في نقاشات عن صحة ستراتيجية سياسية ـ عسكرية في مرحلة معينة، ولا في البحث عن عدد من العوامل التي لم يتم

---

(١) المقارنة مع ارثور رانبو واضحة في فيلم ريشار دندو «التشي في بوليفيا» (١٩٩٤). (الفيلم السابق له كان مخصصاً بالتحديد لرانبو في الحبشة). والمقارنة مع الهيبيين ظهرت بقلم رامون شاوو في مقدمته ليوميات رحلة تشي في أميركا اللاتينية (منشورات أوسترال، باريس ١٩٩٤) وايضاً في المقدمة الايطالية لمقتطفات يوميات تشي في أفريقيا (١٩٩٤).

(٢) ذكر هاجان كورميي ـ التشي غيفارا ـ منشورات روشي باريس ١٩٩٥.

تقديرها بصورة صحيحة، وفي تحليل هذه العوامل.

من المؤكد ان كل ذلك ضروري، وبهذا المعنى فإن عنوان النص الذي كتبه فيديل كاسترو عام ١٩٦٨ تكريماً لرفيقه الشهيد **«تحذير ضروري»** يحتفظ بكامل قيمته. أجل إنّ تحذير القائد الاعلى للثورة الكوبية والقائدة الاعلى للدولة الكوبية كان **ضرورياً** بصورة مزدوجة عندما كتبه. فأولاً لأن هدفه الواضح كان تأكيد تضامن أخوي، تصدّع قليلاً في نظر العالم، والرد بصوت عال وقوي على الشكوك التي برزت في كل مكان: ألم يرسل فيديل كاسترو، عن قصد، صديقه إلى الموت؟ ومن ثم لأنه اعطى توضيحات وقائعية أمكن جمعها في حينه. ولنقل فوراً وبصورة عامة، إنّ الوقت لم يفقدها شيئاً من صدقها.

واليوم فإن الأسئلة التي ما تزال مفتوحة والتي تشكل المفتاح الأول لهذه **اليوميات**، ليست في: لماذا اختار التشي بوليفيا ليقوم بالثورة؟ ولا: لماذا فشل التشي في القيام بهذه الثورة؟ هذه أسئلة هامة وحصلت على أجوبة ملائمة ولنا عودة إليها. إلا أن السؤال الحقيقي، الوحيد الذي يبرر من جديد هذه الطبعة الجديدة ويمكنه أن يلقي على التاريخ المعروض هنا ضوءه الحقيقي هو: أي نوع من الثورات كان التشي يريد في القيام به؟

إنّ واحدة من المعضلات التي تواجهنا تتمثل في ان الكلمات المستخدمة، الكلمات التي كانت تشكل جزءاً من لغة التشي، هي، بعد ثلاثين سنة، قد أصبحت مشبوهة، وتكاد تكون ساقطة: ثورة، اشتراكية، مناضل، شيوعية. فهي قد ستّرت على الكثير جداً من الأكاذيب وحجبت الكثير جداً من الحقائق التي طالما شكلت نفياً لمدلولها الأصلي. وحتى كلمة سياسة اضحت تثير الحذر. بيد انه يستحيل فهم أي شيء عن التشي، عن حياته وعن موته على حد سواء، إذا لم نسع للتعرف على المعنى الذي كانت تحمله هذه الكلمات على شفاه أناس من أمثاله.

*

لما كان عصرنا هو العصر الذي فرض فيه تعبيران للاجابة عن كل سؤال: نهاية التاريخ والرأي الواحد، نرى انه من المناسب العودة إلى الزمن الذي كان يعيش فيه الناس في تاريخ يتحرك في مواجهة دائمة بين آراء متنازعة.

ففي الوقت الذي قام فيه التشي بطلعاته العامة العلنية الاولى في نهاية الخمسينات وبداية الستينات كان العالم يعيش عصر آمال لا يمكن تشبيهها في الماضي، إلا بالآمال التي اثارها ربيع الشعوب في القارة الأوروبية عام ١٨٤٨. فقد تزعزع النظام العالمي الجديد الذي تم انشاؤه في يالطا وبوتسدام: القمع الاستعماري يواجه هزيمة إثر هزيمة والاضطهاد الشمولي (التوتاليتاري) في الشرق، الذي عاد فتعطل عام ١٩٥٦ في بودابست بعد الأمل الخائب بتصفية الستالينية، بدا وكأنه يمكن تجاوزه بما أخذ يظهر، هنا وهناك، مما كان يتمنى الكثيرون أن يكون شكلاً جديداً للاشتراكية: هذا الذي تمت تسميته بعد ذلك بفترة طويلة بـ«العالم الثالث». وفي كل العالم كان يقال إنّ الشعوب تأخذ مصائرها بيدها وتخلق مجتمعاً جديداً: نهاية الحرب في الهند الصينية، أول مؤتمر لشعوب أفريقيا وآسيا في باندونغ، حرب الاستقلال في الجزائر، تصفية الاستعمار في افريقيا، نضال السود في اميركا من أجل المساواة في الحقوق... وكانت تظهر في كل سنة، وفي كل شهر، أشكال جديدة للنضال التحرري، بعيدة عن العقائد الجامدة، والأصولية النصية، والقدريات. وعندما كان الشبان والشابات يحلمون بالالتزام النضالي فلم يكن ذلك في حقل المساعدات الانسانية بل في المعارك السياسية، وليس من اجل معالجة البشرية المتألمة بل من اجل الاسهام في تحريرها.

وقد لعبت كوبا دوراً أساساً في هذه الحركة. فاستيلاء فريق من الشبان الملتحين من ذوي الأفكار الجديدة، في الأول من كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩، على السلطة في جزيرة تشكل حجراً أساساً في الامبراطورية الاميركية، هو ثورة لا تدين بشيء لمخططات الاتحاد السوفياتي الذي أعلن نفسه «جنة البروليتاريا»، أي صاحب النموذج الوحيد: «في حال اصبحت هذه الثورة ماركسية، ستصبح ذلك لانها اكتشفت، هي ايضاً، بطرقها الخاصة، السبل التي دل عليها ماركس» هذا ما قاله التشي عام ١٩٦٠[٣]، مشيراً إلى انه يمكن ان توجد شيوعية أخرى. وقد حررت هذه الثورة البلاد من وصاية النظام الاقتصادي للولايات المتحدة: فهي

---

(٣) أول مؤتمر لاتيني اميركي للشبيبة تموز (يوليو) ١٩٦٠ المؤلفات، المجلد الثالث ـ نصوص سياسية ـ الناشر ماسبيرو باريس ١٩٦٨.

مزدوجة التحرر اذن. ادى ظهور حبة الرمل هذه إلى ادانة لانقسام العالم إلى كتلتين. وحلم كثيرون حينذاك بـ «طريق ثالث». وقد دفعوا غالياً ثمن حلمهم.

في القرن التاسع عشر، كان ربيع الشعوب قصيراً: فبعد انفجار عام ١٨٤٨ في بلدان أوروبا تمت الضربة الهائلة التي أعادت التوازن من خلال القمع الذي أعاد النظام المهتز. وفي سياق آخر حصل الشيء نفسه في السنوات التي اعقبت دخول الثوار إلى هافانا. وكما أعلن فيديل كاسترو: «لا ينبغي أن تفترس الثورة ابناءها»، إلا انّ السنوات التي جاءت بعد ذلك كانت سنوات ضبط النظام. ومعروف كيف تكرُّ السبحة: فعلى التدابير التي اتخذها القادة الجدد ـ الاصلاح الزراعي، وتأميم النفط والمؤسسات الاميركية الكبيرة ـ ردت الولايات المتحدة بفرض الحظر ثم الحصار ـ القائم ابداً ـ وتبعتها محاولات التصفية بالقوة. فكان على الكاستروين، الذين ليس عندهم إلا قواهم الخاصة، ان يبتدعوا كل شيء في اشتراكية تجريبية، اشتراكية حرب. وقد وجدوا، ميدانياً، حليفاً في الحزب الشيوعي الذي لم يكن عاطفاً عليهم كثيراً أثناء نضالهم الذي كان يعتبره «مغامراً». أما في الخارج فكان الاتحاد السوفياتي جاهزاً لمد يد العون لهم. بن انزلاق كوبا إلى الكتلة السوفياتية الذي بدأ منذ عام ١٩٦١ باتفاقات اقتصادية ثم عام ١٩٦٢ بالتصريح الصارخ لفيديل كاسترو: «انني ماركسي لينيني» قد استقر نهائياً في آخر عام ١٩٦٧. في إطار هذه المرحلة تتحدد مسيرة تشي غيفارا كقائد سياسي، وكانت مسيرة قصيرة وصاخبة.

*

إن حياة التشي لم تعد فيها بقع غامضة بفضل عدد كبير من المنشورات، وبعضها من شهود مباشرين[٤]. عائلة من البرجوازية

(٤) هي بالدرجة الاولى الذكريات التي كتبها تشي بنفسه على امتداد حياته. فبالنسبة لرحلته الاولى الشبابية عبر اميركا اللاتينية، هناك كتاب **لاتينو اميريكا**، وهو مؤلف تم ذكره وقد اكمل رواية الرحلة رفيقه في السفر البرتو غرانادو. (بالعلاقة مع الرحلة الثانية ثمة مؤلف بقلم ريكاردو روحو ـ رحلتي مع التشي في أميركا اللاتينية ـ لوسوي ـ باريس ١٩٦٨). أما بالنسبة لحرب العصابات في كوبا، فثمة مؤلف «ذكريات عن الحرب الثورية ـ ماسبيرو باريس ١٩٦٧. وفيما يتعلق بذهاب التشي إلى افريقيا «السنة التي نكن فيها في أي مكان»، =

الارجنتينية العريقة: الأب غير جدي بقدر ما هو غير مستقر (انهى أيامه في كوبا على هامش ذكرى ابنه)، لكن صورة الأم هي التي تطغى، فهي نشيطة ومثقفة، وهي التي أعطت ابنها اضافة إلى المفهوم القوي للـ«ارجنتينية» التي تختلط مع الشغف بتاريخ أميركا اللاتينية كلها، الاعجاب بالمحررين العظام وبـ«آباء الوطن» وتذوق الشعر الاسباني وأدب القارة العظيم ـ **لو مارتان فييرو** هي ملحمة غالية على قلب كل أرجنتيني؟ ـ وآداب الكتاب الفرنسيين. لقد انطبعت طفولته بنشاط العائلة لمصلحة الجمهوريين الاسبان. عانى من الربو الذي لازمه دائماً، كافح لتجاوز هذه الاعاقة بممارسة مثابرة للرياضة: كان نحيلاً، متوسط القامة (متر وثلاث وسبعين سنتميتراً، فاكتسب بنية صلبة باتباعه قواعد تصليب الرجولة (الماشية). واننا نرى من خلال هذا الكفاح ضد المرض بوجه عام، جذور هذه الارادة الثابتة في تحمل المسؤولية وفي التجاوزات التي سوف تميز سلوكه، مضافاً إليها روح لاذعة فيها من السخرية أكثر مما فيها من الظرف: لا

- منشورات ميتاليتي، باريس ١٩٩٥. هذا الكتاب هو تركيب قام به الروائي المكسيكي باكو اينياسيو تايبو II، وهو يخلط يوميات التشي، والرواية المكتوبة بعد ذلك، ثم نصوص اخرى، وهو لا يقدم للأسف إلا مقتطفات مبتورة.

أما الشهادة الاساسية عن حرب العصابات البوليفية فهي تبقى كتاب ريجيس دوبري عنها. وهو الصادر عن السوي ـ باريس ١٩٧٤، مكملة بالمقطع المكرس لها في «الماسك»، غاليمار باريس ١٩٨٧. وينبغي ان يضم إليها التحليل، التبارز لتوماس فيرلان، «صوت التشي غيفارا. مشكلات اختيار مسرح للعمليات في بوليفيا» مهمة هيرودوت عدد ٥، باريس ١٩٧٧. الروايات الأولى للناجين الكوبين بـ«بومبو»، «اوبرانو» «بينغنو ـ وهي قد نشرت للمرة الأولى في مجلة القارات الثلاث ـ الطبعة الفرنسية، ٤، ١٩٧٠. وشهادة «بينغنو» (العقيد داربيل آلاركون راميريز) التي صدرت حديثاً (ذكريات عن التشي منشورات روشي موناكو، ١٩٩٥) وهي تعرض كفاح الناجين من حرب العصابات: يعطي صورة مدهشة عن الأوساط التي تحركوا فيها، الصورة التي تبدو غامضة في يوميات التشي.

إن السيرة الوحيدة للتشي الصادرة حتى الآن هي التي سبق وذكرت، وهي بقلم جان كورميي الذي جمع شهادات القريبين منه. وهي نسيج من الكليشيهات وأفكار معروفة وتقديرية، ولا تقدم أية عناصر جديدة. ولا بد من انتظار اصدار الكتاب الذي يجري اعداده من قبل بييركالفون للحصول على السيرة الجدية التي نفتقدها.

أما الكتاب المرجع عن الافكار السياسية للتشي يبقى رغم قدمه، فكر تشي غيفارا لميشال لووي، منشورات ماسبيرو، باريس ١٩٧٠. ومعظم نصوص التشي موجودة في المجلدات الستة المجموعة باسم المؤلفات. منشورات ماسبيرو.

يرحم نفسه وقاسٍ مع الآخرين، كان قارئاً مواظباً لغاندي منذ سن الثامنة عشرة، في خلال دراسته للطب، عهد البيرونية.

في الواحد العشرين من عمره، عند نهاية المرحلة الاولى لدراسته الطبية، قام بجولة طويلة، على الدراجة النارية، نحو شمال القارة مع صديق اكبر منه، طبيب ايضاً، واكثر تسيساً، قريب من الشيوعيين الأرجنتينيين. وقد اكتشف من خلال صلاته مع هذا الأخير طوال جولتهما، الواقع الاجتماعي للقارة، وهناك بالذات بدأت، ميدانياً، عملية تكونه السياسي. فقد عمل في مستشفى برص، وحل في منجم، وتعرف على حياة الجماعات الهندية. وشرح ذلك فيما بعد فقال: «بسبب الظروف التي أحاطت بسفري كنت على صلة وثيقة مع الفقر، والجوع، والمرض. كنت اكتشف انه يستحيل شفاء أطفال مرضى بسبب النقص الوسائل، وشاهدت الانحطاط بسبب النقص في الغذاء والقمع الدائم»(٥). ويشير مخايل لووي عن حق بأن سلوكه يشابه سلوك «الأطباء الحمر» الأوروبيين في القرن التاسع عشر الذين انحازوا إلى المذاهب الاجتماعية الثورية بفعل تجربتهم الطبية.

في وقت استلامه في بوينس آيريس اجازته الطبية انطلق في رحلة أخرى، عام ١٩٥٣، قادته حتى غواتيمالا. هنا طرأ عنصران أساسيان في تكوينه: زوجته المقبلة، الأولى، هيلدا غاديا (طلقها بعد ان التقى الثانية، أليدا مارش في حرب العصابات الكوبية) وهي بيروفية مناضلة في الجناح اليساري في الحركة الديمقراطية (آبرا APRA)، وكانت في المنفى أثر الانقلاب الذي قام به الجنرال اودريا في ليما، ويبدو انها هي التي جعلته يقرأ، للمرة الأولى، بعض الكلاسيكيات الماركسية، إضافة إلى لينين وتروتسكي وماو. أما العنصر الثاني فكان التدخل الأميركي في غواتيمالا ـ تحت ستار غزو جيش من «المرتزقة» المجهولين ـ الذي وضع حداً لنظام الجنرال آربنز الشديد الاعتدال في تقدميته وأحلّ محله الدكتاتورية. سجنت هيلدا غاديا بعض الوقت، أما ارنستو غيفارا فقد شارك في المقاومة ليصبح بعدها معدماً في مكسيكو. وقد تم وصفه، بالتتابع، بالطبيب المتطوع والمصور الجوال، وصياد الفراش. وخطط لاعداد كتاب حول مهمة الطبيب في اميركا اللاتينية. في هذه اللحظة بالذات، في تموز ١٩٥٥،

(٥) محاضرة في معاونيه، تموز يوليو ١٩٦٠.

تمّ اللقاء الحاسم. فقد كان الفريق الثوري الكوبي الذي يعده فيديل كاسترو لمقاتلة دكتاتورية الجنرال باتيستا يفتش عن طبيب. فتم تجنيد ارنستو غيفارا واصبح «التشي» وهو اللقب الذي يطلق على كل أرجنتيني في اميركا الاسبانية.

لقد دخل التاريخ منذ ذلك الحين. فبعد النزول في السييرا مايسترا في كانون الأول ١٩٥٦ والانتفاضة الفاشلة، قام الفريق الصغير الناجي بشن حرب عصابات، طوال أكثر من سنتين، انتهت بالانتصار. وتحول التشي من طبيب إلى قائد ثوري ـ كان الآخرون إضافة إلى كاسترو، شقيقه راوول وكاميليو سانفويغوس. ان الصداقة التي انعقدت بين فيديل وبينه كانت وثيقة وأخوية، صداقة مارس من خلالها، كل منهما تأثيراً حقيقياً على الآخر ـ إنما بالاحترام الواضح، من قبل التشي، احترام الصغير لأخيه الاكبر: ونلمس ذلك في الاشعار التي نظمها على شرفه قبل مغادرته: «لننطلق، يا نبي الفجر المتقد حماساً، لتحرير الأرض الخضراء التي تعشق [...] فعندما يصدح صوتك في الأرجاء الاربعة: الاصلاح الزراعي، العدالة، الخبز، الحرية، نقف إلى جانبك مرددين نفس الكلمات...» ثمة حقيقة تفرض نفسها بكل جدية: بدون فيديل لم يكن بإمكان التشي ان يصل إلى ما وصل إليه، ومن الارجح أن العكس صحيح أيضاً.

عهد إلى التشي، في نهاية عام ١٩٥٨، الذي وصل إلى أعلى رتبة، رتبة قائد، ان يقود طابور الهجوم باتجاه هافانا. وقد انتصر في المعركة الحاسمة التي أوقعت في أيدي الثوار إحدى أهم مدن الجزيرة سانتا كلارا، وكرست هزيمة الدكتاتورية المشلولة باضراب شامل شارك فيه الحزب الشيوعي الكوبي متأخراً إنما بفعالية عالية. وقد اصبح، اثر ذلك عضواً في أول فريق قيادي للجيش الثائر الذي سيطر على السلطة الفعلية ـ فالصيغة الشكلية الخيالية لجمهورية ديمقراطية «بورجوازية» مع رئيس اصلاحي معتدل، الدكتور اوروتيا، لم تعش سوى أشهر معدودة. وقد تقلد التشي على التوالي ـ وأحياناً في الوقت نفسه ـ مسؤوليات سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى ليسمع فيها صوت الثورة، ومنظم للميليشيا وبخاصة لمكافحة المجموعات المعادية للثورة التي ظلت تعمل حتى عام ١٩٦٤ في جبال الاسكمبري، وحاكم للبنك المركزي، ومسؤول عن

التخطيط (جوسبلان)، واخيراً منصب وزير الصناعة.

في طلعاته العامة الأولى اتهمته الصحافة الاميركية بانه العميل الشيوعي المندس في صفوف المحيطين بفيديل كاسترو. ومنذ عام ١٩٥٩ اشارت مجلة **يواس نيوز اند وولد ريبورت** إلى أن «غيفارا هو، بالاستناد إلى مصادر عليمة، أحد عملاء الشيوعية الدوليين الذين يعملون بسرية». في عام ١٩٦٢ كتبت مجلة **التايم**: «فيديل هو القلب والروح والصوت والوجه الملتحي لكوبا الحالية. وراوول هو القبضة التي تمسك بخنجر الثورة. وغيفارا هو دماغها، انه عضو الثلاثي[٦] الاكثر اثارة والاكثر خطورة».

والحال فاننا نرى بوضوح في هذا الموجز لمسيرته أن لا مكان فيها للتكوين الكلاسيكي للمناضل، ولا أيضاً، وبصورة خاصة، لمروره في مدارس الملاكات، وفي غيرها من وسائل التكوين النظري لتجعل منه عميلاً دولياً. لقد كانت للتشي علاقات اكيدة مع الحزب الشيوعي الغواتيمالي، إلا انها كانت علاقات سلبية: فقد انصرف عن الحزب بفعل السلوك البيروقراطي لملاكاته. وعلى الصعيد الفكري كان تكونه قبل كل شيء، تكوناً ذاتياً من خلال قراءاته. وكانت هذه القراءات تتجه إلى الماركسية لكنها لا تنحصر فيها بتاتاً. وعلى كل حال فانه تمسك بصورة «منفتحة» غريبة عن الماركسية بوصفها علماً، مؤكداً أنه لا يستبعد منظومات فكرية أخرى، يمكن اضافتها إليها. وكان يعتقد ان ماركس نفسه بارتباطه بلحظة معينة من التاريخ، ربما وقع في خطأ ويمكن تجاوزه، كان يقول: «يمكن للمرء أن يكون «ماركسياً» تماماً كما يمكن أن يكون «نيوطونيا» في الفيزياء و«باستورياً» في البيولوجيا، مع الأخذ في الاعتبار أنه في حال نتج عن الظاهرات الجديدة مفاهيم جديدة، فان المفاهيم السابقة تحتفظ بقسطها من الحقيقة»[٧]. وعندما اضحى التشي في السلطة غمر مؤلفي «كتب تعليم الماركسية اللينينية بسخريته».

على كل حال فان التشي لم يقرأ الجزأين الأولين من كتاب **راس المال** إلا في مكسيكو وقد أعارهما له صديق ساعده كثيراً هو ارنالدو واورفيلا رينال وكان آنذاك، مديراً لدار نشر هامة، (فوندو دوكولتورا ايكونوميكا).

---

(٦) في هذا الوقت، قتل كاميلو شينفويغوس بحادث طائرة.

(٧) حول ايديولوجية الثورة الكوبية. اركتوبر ١٩٦٠، المجلد الثالث.

في عام ١٩٦٤ فقط، عندما صار وزيراً، ولكي يوطد مواقعه في النقاش الايديولوجي حول الخيارات الكبرى للثورة، عمد إلى قراءة كتابات ماركس في مرحلة الشباب، حيث اكتشف اسساً لماركسية «إنسانية».

وعلى الصعيد العملي فانه ينسب تكونه، يوماً بعد يوم، من خلال حرب العصابات في وسط الفلاحين الكوبيين، وفي مواجهة الوقائع الاجتماعية التي يعيشها الشعب. وهو يعبر عن ذلك بقوله: «ثورتنا هي ظاهرة فريدة أراد البعض أن يرى فيها تناقضاً مع واحدة من اسس أورثوذكسية الحركة الثورية كما كان يعبر عنها لينين: «لا وجود لحركة ثورية بدون نظرية ثورية». من المفيد القول [...] إنه يمكن القيام بالثورة في حال تمت قراءة صحيحة للواقع التاريخي، وفي حال تم استخدام مناسب لقواها حتى ولو لم نكن نعرف النظرية»[٨].

النظرية والممارسة: لقد ظل التشي دوماً، حتى استشهاده، انساناً يتكون باستمرار وقارئاً نهماً وانتقائياً. ففي عام ١٩٦٥ في الأدغال الكونغولية، كتب يقول ان الامتياز الوحيد ألذي يسمح لنفسه به هو قليل من القهوة وكتب: وفي بوليفيا يشير ريجيس دوبري إلى انه كان يراه ينعزل ليتمكن من القراءة: «كان يسجل ملاحظات ويخربش، أو يتوقف مفكراً، وقد انطبعت مداخلاته، طوال ممارسته للسلطة، بافكار تبدو وكأنها أسئلة ومحاولة لاقناع ذاتي، وكان يرى في النقاش والسجال الوسيلة الراسخة للتعمق».

إن مسألة معرفة إذا ما كانت المجموعة القيادية الكاستروية، على علاقة بالشيوعية، منذ البداية، هي مسألة قديمة قدم الثورة الكوبية ذاتها. هل أن التشرد الأميركي السريع هو الذي دفع الثوريين إلى الجبهة المواجهة؟ تشرد نتج عن المفاجأة برؤيتهم ينفذون فعلاً برنامجاً كانوا يظنون في واشنطن انهم مثل الذين سبقوهم في اميركا اللاتينية، سينسونه ويهملونه منذ وصولهم إلى السلطة... أم على العكس من ذلك، وكما أوضح فيديل كاسترو نفسه، تمّ ذلك نتيجة لنضج وبلوغ حتمي للوعي؟ من غير المفيد الاستمرار بهذا النقاش، لكن لا بد من الاشارة إلى أن التشي كان الوحيد، بين ثوريي حرب العصابات الكوبية، الذي كان عنده، إلى حد ما، ثقافة

---

(٨) ذكر ذلك ميشال لووي.

ماركسية. بالطبع قيل الكثير عن علاقات أقامها راوول كاسترو مع المنظمة الطلابية الشيوعية. لكن الأكيد، بالمقابل، هو أن تربية فيديل كاسترو لم تكن تؤهله لاتخاذ مواقف كهذه: فالمنظمة التي كان ينتسب إليها قبل تأسيسه لحركة ٢٦ تموز (يوليو) كانت حزب ادواردو شيباس الأورثوذكسي، وهو حزب مطبوع بشعبوية يمكن تقريبه، في العصر ذاته، من حركة العدالة البيرونية التي انخرطت بنشاط في حملة العداء للشيوعية زمن الحرب الباردة. وأقر فيما بعد بقوله: «في وقت تعرفي إلى التشي كان على تطور ثوري متقدم عن تطوري من الناحية الايديولوجية. فقد كان من الناحية النظرية أكثر مني ثقافة»[٩]. ماذا نقول: بين فيديل الذي كان يردد في آخر الخمسينات: «لم أكن أبداً ولن أكون أبداً شيوعياً»[١٠]. وبين الذي أكد عام ١٩٦٢: أؤمن إيماناً مطلقاً، بالماركسية اللينينية. أؤمن بها منذ ٢٦ تموز (يوليو) عام ١٩٥٣؟ أجل كنت أؤمن بها»، وأين هي الحقيقة؟ بالطبع فإن فيديل كاسترو هو أستاذ «التصحيحات» في كل اتجاه.

في الواقع، إذا ما وجد أساس مشترك بين التكون الفكري لفيديل وللتشي فهو ليس في «الماركسية اللينينية» «المكتشفة» من قبل الأول والانتقائية لدى الثاني، بل هو في المصادر الأساسية المرتبطة بحروب الاستقلال الاسبانية ـ الأميركية: وطنية ملتهبة ليست هي وطنية الشعب وحسب بل أيضاً وطنية البورجوازية الكبيرة والصغيرة التي لا مصلحة مباشرة لها بالاندماج في الاقتصاد الاميركي الشمالي وطنية تطال القارة كلها، وتربي الناس على تمجيد المحررين العظام: بوليفيا، وسان مارتان الذي كان يرفض حصر الوطن داخل حدود ضيقة، وثم، فيما بعد، مكسيمو غوميز، مؤسس الجمهورية الكوبية الذي مثل التشي، جاء من بلد آخر، سان دومنغ. وطنية تجسدت في نظر فيديل في «رسول» الاستقلال جوزي مارتي، واتخذت طابع رفض «الامبريالية الأميركية» (اليانكي)، أي معارضة شاملة، ثقافة ضد ثقافة أخرى، رؤية للعالم ضد رؤية للعالم، أساطير تأسيسية ضد أساطير تأسيسية، **أميركتنا** ضد **نمط الحياة الأميركية**. وشأن الكثيرين من الاميركيين اللاتينيين، فان تراث الماضي

---

(٩) نقلاً عن لي لوسكورد، كاسترو كوبا، كوبا فيديل، ماك ميلان، نيويورك، ١٩٦٧.

(١٠) ذكرها جان بيار كليرك في «فيديل كوبا»، رمسي، باريس ١٩٨٩.

هو أقل تأثراً بماركس المكتشف حديثاً منه بروسو الذي طبع بطابعه كل مجرى القرن التاسع عشر في القارة: بالحلم في امكانية تغيير العالم بالبدء بتغيير الانسان. في هذا تلتقي بصورة عجيبة، أخلاقية التشي العلمانية بتلك الدينية الاصل لدى فيديل، المكتسبة من اليسوعيين في المدرسة، والتي عبر عنها في واحد من شعاراته الأولى: «الذين ينتقدون الثورة يصلبون المسيح».

*

عند فيديل والتشي ايضاً نفاد صبر تاريخي مشترك. ففي أقل من سنتين أخذت الثورة تحرق المراحل. اصلاح زراعي صفى الملكيات الكبيرة التي كان يعود قسم كبير منها لشركات أميركية، وحملة لمحو الأمية، مع برنامج واسع لنشر المدارس والتعليم، وتأميم للقطاعات الاقتصادية الكبرى الذي أضر كثيراً بمصالح الجار الكبير: فكوبا كانت جنة ضريبية، نوع من الولاية الواحدة والخمسين. ولاية أميركية ملحقة حيث النشاط المشروع وغير المشروع كان يجد التربة المؤاتية جداً: مصافي نفط، مطابع صحف (ريدرز ديجست بالاسبانية) أكبر مصنع للكوكاكولا، وأيضاً واحد من أكبر تجمعات الكازينوهات التي يحوم حولها كل أنواع التجارات الممنوعة والمشبوهة التي يشدها كسب المال السهل. بيد أن التصفية لكل ذلك قد تكون أقل خطورة من المثال الذي أعطاه النظام الجديد للبلدان الأميركية اللاتينية الأخرى ولكل المدى الأميركي.

لقد تصاعدت المواجهة مع الولايات المتحدة بسرعة. ففي عام ١٩٦١، منيت بفشل ذريع، في خليج الخنازير، حملة لـ «تحرير» الجزيرة على طريقة غزو غواتيمالا: كان واضحاً أن البيت الابيض الأميركي أخطأ في فهم العصر، فكانت النتيجة الأكثر وضوحاً هي التفاف سكان كوبا الوثيق حول القادة الكاستروبين. وقد طلب هؤلاء مساعدة عسكرية من الاتحاد السوفياتي، وقامر خروتشوف مقامرة هائلة بوضعه في الجزيرة صواريخ نووية موجهة إلى الضفة الاميركية. ان «أزمة الكراييب» في أوكتوبر ١٩٦٢، وضعت العالم على حافة حرب عالمية ثالثة. وتراجع السوفياتيون أمام التهديد الأميركي وسحبوا الصواريخ دون حتى التشاور مع محمييهم الجدد. فوجدت كوبا نفسها في عزلة مأساوية لا سابق لها. كان يجب إعادة

بناء اقتصاد يضع حداً للعنة التبعية وبنوع خاص، لوحدانية زراعة السكر، وتلافي الهجرة الواسعة للطبقات الميسورة، أي للملاكات التي لا غنى عنها من مهندسين وأطباء، وتعبئة المجتمع لتأمين الدفاع والانتاج على حد سواء. ولأن شعاراً آخر لفيديل كاسترو يعلن أن «الحقيقة وحدها هي ثورية» لم يكن ثمة من هو أكثر من التشي الذي أصبح أستاذاً في فنّ «قول الحقيقة» ليقول ويمارس حقيقة الثورة في الداخل وفي الخارج؟ ولم يتأخر التشي عن قول الكلام الجيد على كل الجبهات قول أكثر من الحقيقة، الحقائق الأربع عن أولئك الذين كانوا يعيقون مسيرة الثورة.

إنه وضع فريد في التاريخ، على الأغلب، وضع قائد لبلد حافظ بهذا الدأب، على لغة من هذا المستوى من الجذرية المتطابقة مع فعله وأفكاره. ولأن العمل السياسي هو فن التسويات، والتنازلات فقد انعقدت المأساة، هنا، لتنتهي في أحد الوديان البوليفية.

تحددت ستراتيجية التشي عندما صار على رأس وزارة الصناعة عام ١٩٦٣. وهي تقوم على إعادة نظر شاملة ليس فقط في العلاقات الاقتصادية، كما هي موجودة في نظام راسمالي، وهذا أقل الأشياء، بل ايضاً كما تجري ممارستها في البلدان الشيوعية. كان التشي يهدف، بكل وضوح وبساطة، إلى إلغاء قانون القيمة. فالاقتصاد يجب أن يكون ممركزاً: ووسائل الادارة الحديثة ينبغي أن تتيح القيام بمحاسبة شاملة تتجاوز مبدأ الريعية على قاعدة كل فرع بمفرده والعلاقات التجارية بين الفروع ليحل محلها وضع آخر، وضع الملكية العامة الشاملة. وهو يريد استبدال استقلال المؤسسات الذاتي المالي بنظام الميزانية العامة في التمويل الذي يقرر سلفاً اتخاذ خيارات بموجب الخطة، تحرير حركة الاقتصاد من قانون السوق، واحلال السياسة على رأس الاقتصاد.

يريد التشي بمعنى آخر استبدال «الحوافز المادية» ـ سلسلة الاجور، والمنح المرتبطة بمستوى الانتاجية والريعية ـ التي تميز مصلحة الفرد الخاصة، مع اعترافه بضرورة مرحلة، انتقالية، بـ«الحوافز المعنوية»: رفع قيمة الفرد في المجتمع الذي يميز المصلحة الجماعية ويشجع «العمل التطوعي»:«موقف جديد من العمل»، ذلك كان عنوان احد خطب التشي التي ألقاها في تجمع للعمال عام ١٩٦٤.

تميز عام ١٩٦٣ وجزء من عام ١٩٦٤ بنقاش اظهر الحجم الكبير لما

يلاقي التشي من مقاومة، ولم ينخرط فيديل كاسترو فيه مباشرة، وفي البداية، ساند عمل رفيقه الذي اختاره لهذا المنصب الأساس. وهو في مطلق الأحوال، لا ينزعج من مفهوم ادارة مركزية للجزيرة لأنه يوفر له سلاح حكم مطلق، حتى ولو ان التشي اشترط رقابة وثيقة للشغيلة، وهو شكل للديمقراطية معروف. ما آل إليه في الاتحاد السوفياتي، وقد حذر الخبراء الدوليون الذين طولبوا بابداء الرأي، منذ البداية، حتى الحلول الشمولية، الواسعة النطاق، والارادية: لا يقاد الاقتصاد كما تقاد حملة عسكرية، حتى ولو كانت في **حرب عصابات**، ويتأسف ريني دومون، مثلاً، لانهم لم يأخذوا بنصائحه: تكييف الهياكل القائمة، وتحسين الأساليب التقليدية، عوضاً عن قلب الزراعة رأساً على عقب وبصورة جذرية.

وإذا ما ترك فيديل الامور تسير طويلاً وبتاييد منه، فلم يكن الحال هكذا مع عدد من الملاكات القائدة، المكونة حديثاً، أو المارة في قالب الحزب الشيوعي الكوبي القديم، الذين يرون أن بناء الاشتراكية ينبغي في أن يأخذ في الاعتبار التجارب «القائمة فعلاً»: وكان ذلك في عصر الخروج من الجمود الستاليني، عندما كان الاتحاد السوفياتي والدائرون في فلكه يختبرون اصلاحات تهدف، بخاصة، إلى ادخال قسط من قانون السوق في الاقتصاد. هذا هو التناقض الذي وجد التشي نفسه فيه: إنه وهو ينطلق من مفاهيم وقيم الشيوعية، يواجه مباشرة الذين يجسدون فعلاً الشيوعية في العالم ويجسدونها في كوبا أولاً.

لقد دار السجال علناً ـ كما كان الوضع عند البلاشفة في السنوات التي اعقبت ثورة أوكتوبر ـ وبين مسؤولين سياسيين اولاً: فوزير التجارة الخارجية البيرتو مورا كان بين أوائل الذين تصدوا لمفاهيم التشي. ثم تتالى الخبراء: اختصاصي التخطيط الاشتراكي شارل بيتلهيم، المدعو بوصفه مستشاراً، حذره مما دعاه بناء «اقتصاد في القمر»[١١]. واجابه علناً ايضاً، خبير آخر استدعاه التشي لنجدته هو ارنست مونديل، الراس المفكر للأممية الرابعة التروتسكية (ذلك ليس أخف الاستفزازات) فقال: «ان السماح لقانون القيمة بتوجيه التوظيفات الحالية يعني المحافظة

(١١) شهادة شارل بيتلهيم في كتاب جان كورميي المذكور سالفاً.

أساساً على البنى الاقتصادية غير المتوازنة الموروثة عن الراسمالية[١٢].

وتختلط في هذا السجال، مع الاعتبارات الستراتيجية، اعتبارات أخرى غير شريفة. فمجتمع المساواة الذي يتكلم عنه التشي، الذي يعطي فيه المرء أفضل ما عنده، لا ينسجم وذوق الملاكات الجديدة المتمسكة بوضعها وبامتيازاتها (حتى ولو كانت هذه، في حينه، لا تقاس بما عند الصفوة (نيمنكلاتورا) السوفياتية). فكيف لا يشعر هؤلاء بالخطر عندما يؤكد التشي ضرورة متابعة الثورة بصورة «غير متقطعة» وعندما يعود إلى مفهوم حزب الطليعة اللينيني، إلى نخبة بين النخب ويضع معايير انتقائها على أساس «أخلاقي»؟ وقد أوجز فيما بعد، في حرب العصابات الافريقية، مفهومه لانتقاء الملاكات بهذه الصيغة المخيفة: «من ألف ينبغي تحويلهم إلى مئة، ومن مئة يستخرج عشرة، ومن عشرة اثنين»[١٣].

وهنا من المناسب ايضاً، أن نعيد اعطاء صورة أكثر دقة لعلاقات التشي مع العاملين معه. فهي نقيضة لـ«عيد كوبي» بهيج، لتلك الصورة التي ما تزال موجودة حتى اليوم، وتجعل منه رجلاً مرحاً عطوفاً على الطريقة الفرنسيسكانية. إن قدرته على إثارة روح قوية من التفاني يشهد عليها تاريخه كله في حياته وبعد مماته. إلا أن ذلك يقوم على احترام متبادل مكتسب من كثرة المعاناة المشتركة، والجهود المبذولة سوية. كدود في العمل انه هكذا فعلاً، ويتطلب ذلك من الآخرين أيضاً. فالذين عرفوه في وزارة الصناعة لا يبخلون برواية النوادر التي تظهر التشي شديد التطلب، مهلكاً جسدياً للقريبين منه، وراشقاً الكسالى بلاذع سخريته. تتفق ذكرياتهم، من كل النواحي، مع ذكريات ريجيس دوبري عندما يصفه في حرب العصابات البوليفية يقول: «إن لغيظه برودة مادة تتناقض مع الشعور بالتفوق الأخوي الذي يوحي به في الأوقات العادية. يصبح كأنه يريد القضاء على حالة التواصل ليحل محل حالة عزلة وطيدة. [...] ويبدو التشي كأنه يفرض الانضباط فرضاً صارماً، دون أي تحضير أو اعتبار للعلاقات الشخصية [...] لقد جعل من هذه القاعدة في المساواة، أو

---

(١٢) ارنست مونديل «الانماط التجارية في المرحلة الانتقالية». نيوسترا اندستريا، هافانا، حزيران (يونيو) ١٩٦٤.

(١٣) في السنة التي تكن فيها في أي مكان، مؤلف مذكور سابقاً.

التقشف والامانة، قانون إيمان وحجر زاوية»[١٤]. وأخيراً نضيف أن ليس لدى الجميع في كوبا نفس الرؤية «القارية» عن الوطنية، التي لدى فيديل، وان الذين يتحملون بصعوبة أوامر من أرجنتيني كانوا كثراً.

ومن الملفت أو له مغزى، كون مداخلاته الأخيرة في اجتماعات العمل في وزارته، حيث كان يكرر مجموع مفاهيمه ورؤاه، لم يجر نشرها في حياته. لم تنشر إلا بعد موته وفي مجلة اجنبية[١٥]. ويبدو التشي في هذه الخطب عميق الخيبة مما شاهد في البلدان الشيوعية من خلال جولة طويلة. وهو يفضح فيها «التزمت الاشتراكي»، وينتقد التوجهات الاقتصادية التي تمكّن من مشاهدتها ميدانياً، ويؤكد ازاء نظام الريعية المعتمد في بعض المصانع السوفياتية، «ان هذا النظام كان واسع التطور في كوبا قبل الثورة، لأن الامر كان يتعلق ببساطة براسمالية صافية».

في الواقع، كشف التشي منذ بداية عام ١٩٦٤، عن ممارسة مهماته في وزارة الصناعة إلا في فترات قصيرة. فالرحلات التي قام بها في العالم والتي قادته إلى الاتحاد السوفياتي والصين وآسيا وافريقيا كانت تحجب بصعوبة عزله عن القيام بدوره في شؤون البلاد الداخلية. بقيت الشؤون الخارجية، وقد خاضها طويلاً وفي مجابهة دائمة.

في البداية، هنا أيضاً، كان الاتفاق كاملاً بين فيديل والتشي. فرؤياهما ليست قارية وحسب بل كونية أيضاً، وهي تقوم على اعتقاد بأن الثورة المعزولة محكومة بالاختناق ولا تكتب لها الحياة إلى إذا اتبع مثالها في العالم. فعلى «اعلان فيديل الذي يؤكد عام ١٩٦٠ بأن «الديمقراطية لن توجد في أميركا اللاتينية إلا يوم تصبح الشعوب حرة فعلاً في الخيار، يوم لا يعود المستضعفون خاضعين لأبشع أنواع الطغيان»، تجيب نداءات التشي بـ«الاممية البروليتارية». لكنه حدد مفهومه لهذا التغيير بالصورة الأكثر وضوحاً في الخطاب الذي القاه، لدى ظهوره الرسمي الأخير في الجزائر شباط (فبراير) ١٩٦٥، بصفته وزيراً يمثل كوبا في الندوة الاقتصادية للتضامن الآسيوي ـ الافريقي. فهو قد طور المواضيع التي كان قد تعرض لها أمام الأمم المتحدة في نيويورك قبل شهرين. والأم

---

(١٤) ريجيس دوبري ـ الاقنعة مؤلف سبق ذكره.

(١٥) «الخطة والناس» ١٩٦٤، نشرت للمرة الاولى في الجريدة الايطالية المانيفستو عام ١٩٦٩

يتعلق بادانته، على الصعيد الدولي، هذه المرة، لقانون القيمة الذي حاول الغاءه على الصعيد الوطني. فهو قد أعلن متوجهاً على أعلى مستوى، باسم دولة وشعب إلى مجموع دول وشعوب العالم، ادانته مرة أخرى، وباستمرار الامبريالية، ودعا إلى وحدة جميع الشعوب المضطهدة أو المستقلة حديثاً إلى اقامة جبهة مشتركة. وحدد الموقعين الأساسيين اللذين يجري فيهما، حالياً، الكفاح: الفييتنام، حيث يخوض الاميركيون حرباً جديدة لسحق جبهة التحرير الوطني الجنوبية المدعومة من الفييتنام الشمالية، والكونغو ـ كينشاسا، حيث تم اغتيال باتريس لومومبا الرئيس الأول لعهد الاستقلال، ويحاول أنصاره مقاومة وضع اليد النيوكولونيالية من جانب البلجيكيين (رجلهم تشومبي)، ومن جانب الأميركيين (رجلهم موبوتو). في هذا «الكفاح حتى الموت الذي لا حدود له»، الحلفاء الوحيدون المحتملون هم البلدان الاشتراكية. إلا أن ذلك لن يكون فعالاً إلا إذا كانت مساعدتهم غير مشروطة. بدون اصطفاف ايديولوجي مفروض، وهو يستعيد هنا مثال كوبا: «اننا لم نسلك طريق الشيوعية محددين كل مراحل التطور الايديولوجي الذي من شأنه انه يؤدي إلى هدف معين. فالحقائق الاشتراكية، مقرونة إلى الحقائق القاسية للامبريالية قد صهرت شعبنا ودلته على الطريق التي سلكناها فيما بعد...» ورفض، بنوع خاص، الشروط الاقتصادية: فقد أعلن رفضه لنمط العلاقات التي تقيمها البلدان الاشتراكية مع البلدان الضعيفة التطور، فهي «علاقات يزيفها قانون القيمة والتبادل غير المتكافىء الناتج عنه [...] فإذا ما أقمنا هذا النمط من العلاقات علينا الاقرار بأن البلدان الاشتراكية هي، في هذه الدرجة أو تلك، متواطئة مع الاستغلال الامبريالي.

خطاب استفزازي، وذلك في وقت تضطر فيه كوبا أن تكافح على جبهتين، جبهة الحصار الاميركي، العدواني والشامل، وجبهة المساعدة السوفياتية، وهي نفحة الأوكسيجين الوحيدة «ضد الاختناق»، التي تأثرت سلباً، إن لم يتم التشكيك فيها، في اعقاب أزمة الصواريخ في تشرين أول (أوكتوبر) ١٩٦٢، لرفض كوبا أن تكون بيدقاً بين بيادق أخرى في الكتلة الاشتراكية.

عاد بعد بضعة أيام إلى هافانا وقد جاء فيديل كاسترو ينتظره في المطار. كان ذلك آخر ظهور علني للتشي، فقد انعزل لمدة يومين بصحبة

رئيس الجمهورية دورتيكوس. والأرجح اننا لن نعرف أبداً المضمون الدقيق لمحادثاتهما. فالشاهد الوحيد، دورتيكوس انتحر بعد عدة سنوات وكان قد صار مهمشاً. وصوّر هذا الانتحار في كوبا بأنه نتيجة ارهاق، وهو التفسير المعتاد لكل انتحار سياسي، وهو لن يكون المسؤول الوحيد في الثورة الكوبية الذي ينتهي بهذه الصورة. لقد اختفى التشي!

*

كان قد ترك، سابقاً، نصاً يشكل وجهة سياسية حقيقية. وهو كناية عن رسالة طويلة موجهة إلى مدير مجلة **مارشا** الاوروغوايية جواباً عن طلب حديث معه. وقد تم نشرها، فيما بعد، في هافانا بكراس تحت عنوان **الاشتراكية والانسان في كوبا**. وهو يستعيد فيها المواضيع العزيزة عليه مواضيع ماركسية شخصية جداً، حيث لا يشكل النضال الطبقي بل الانسان محركاً للتاريخ. «انسانية» هي الكلمة المفتاح الشديدة الترداد، كما كانت دائماً، منذ سنوات خمس، على لسانه وعلى لسان فيديل، وهو يعيد التأكيد أنه: «بمتابعة الوهم عن تحقيق الاشتراكية بالأسلحة الفاسدة، الموروثة عن الرأسمالية (البضاعة باعتبارها وحدة اقتصادية، والربحية، والمصلحة المادية الشخصية بوصفها حافزاً، إلخ)، يكمن خطر الوصول إلى المأزق». بيد انه ينطلق إلى الأبعد هذه المرة، لأن الانسان بالذات هو مركز كل شيء. وما ينبغي تغييره ليس علاقات الانتاج، بل الانسان نفسه. وما يجري في كوبا هو إذن. بناء **انسان جديد**. فكتب يقول: «حتى اليوم.. لم نفهم ضرورة خلق انسان جديد لا يكون انسان القرن التاسع عشر، ولا انسان قرننا المنحط والفاسد، علينا أن نخلق انسان القرن الواحد والعشرين حتى ولو لم يكن ذلك، الى الآن، إلاّ مجرد طموح ذاتي وليس نمطاً ثابتاً. [...] فالثورات التي تنشد الانسان الجديد بصوت الشعب الحقيقي تحقق مبتغاها»(١٦).

أنه نص مخيف حيث نقرأ عن ارادة لاقامة نوع من «مدينة الله»

---

(١٦) «خطاب الجزائر» و«الاشتراكية والانسان» في المجلد III.

اوغسطينية على الأرض، عوضاً عن مجرد مجتمع أكثر عدالة. نص نعيد فيه اكتشاف كل المراهنات الكامنة عند روسو. كيف يمكن أن نفرض على الناس باسم الانسانية مجتمع أخلاق مطلقة، دون اللجوء إلى الإكراه؟ إنه نص تصعب قراءته اليوم بعد رؤية الأحلام بالمجتمع الجديد تغرق في نزوات جنون العظمة التي طغت على تنظيم المدينة الفاضلة بوجهها الأوضح في بوخارست شاوشيسكو كإطار لحياة الانسان الجديد، وبفظاعة الغولاك للذين يعاندون رافضين هذه السعادة. كان التشي في السادسة والثلاثين عندما كتب هذا النص، وثمة ما يدعو إلى اعتباره استفزازاً أخيراً، نوعاً من الرغبة في المساجلة، في نهاية نقاش واجه فيه الانكسار عند كل خطوة ضد الجمود والرداءة. فهل كان يمكنه أن يتصور بأن الثورة الثقافية التي يدعو إليها، ستأخذ بعيد ذلك، في الصين، ذلك الوجه العظيم؟ إلا انه من المسموح به، حكماً، اعتبار أن هذه الرسالة ليست مجرد طوبى باردة بل صرخة غضب وتعبيراً عن قلق شديد ضد كل مظاهر الاطمئنان، وفي الوقت نفسه، لا يمكن لأحد أن يجزم بأن هذا التفسير هو التفسير الصحيح. كما لا يمكن لأحد أن يتصور الطريقة التي كان يمكن للتشي أن يحاكم بها هذا النص الآن.

يبقى فقط هذا اليقين: عندما هب التشي من جديد ليصنع الثورة فإنه ذهب تحديداً لبناء هذا العالم، ليخلق هذا الانسان. وقارىء يوميات بوليفيا يجب الا ينساه ابداً: ففي خلفية كل شطر توجد هذه الرؤية الكونية للكفاح المطلوب خوضه والمجتمع المطلوب بناؤه.

*

أثار اختفاء التشي في العالم موجة من التعليقات بعضها مجرد نزوات غريبة والبعض الآخر تعبير عن الاهتمام. والتعليق الذي تردد كثيراً زعم بكل بساطة ان فيديل صفّاه اثر مشاجرة بينهما. ورد أحد مسؤولي وكالة الاستخبارات الاميركية على متسائل قدر انه لجأ إلى العمل السري ليمارس نشاطه تحت الارض: «**أجل، انه تحت الأرض: ستة اقدام تحت الأرض**»(١٧). وقيل ايضاً، إنه في السجن، وحتى في مستشفى سوفياتي

---

(١٧) ذكر ذلك مارسيل نييدرغانغ في جريدة لوموند ١١ تشرين أول (أوكتوبر) ١٩٦٧.

للامراض العقلية[١٨].

اما اليوم، وعلى ضوء الأحداث التي تلت الاختفاء، واستناداً إلى معرفة اطباع المعنيين والعلاقات التي جمعت بينهما، حتى ذلك الحين، فلم يعد ثمة ما يسمح بالشك بالرواية الرسمية التي تكررت كثيراً. أي قرار تقاسم المهام: لفيديل متابعة المهمة العامة، مهمة بناء الاشتراكية في كوبا آخذاً في الاعتبار كل التزامات **السياسة الواقعية** التي تترك له هامشاً محدوداً للمناورة. وللتشي استعادة طريق المناضل الاممي، ووضع مشروع يمكن أن يكون لانسان، أو لحركة، لكن ليس لحكومة: مشروع فتح أو دعم جبهات كفاح أخرى في العالم. وفي مواجهة واجبات الدولة التي يمثلها فيديل، يمثل التشي واجبات الناس ـ أو بالأحرى واجبات انسان واحد ـ فهو وحيد متفاهم مع ذاته، لكنه مستقوٍ بالتضامن الذي أخذ يثيره اسمه في العالم منذ ذلك الحين. فمن جهة، ثمة عقبات ومن جهة أخرى حرية؛ وقد ساند فيديل التشي في مهماته الجديدة لانه لم يكن بينهما اختلافات حول الهدف النهائي ـ كسر تطويق الثورة الكوبية، وتحرير الشعوب. فأمنّ له المساعدة اللازمة في المواصلات (لوجستيك) والرجال الموثوقين، إلا أن المساندة كان ينبغي أن تبقى سرية. فالسرية من شأنها ان توفر، من جهة، ظروفاً مؤاتية لبدء عمل التشي، وهي من جهة أخرى، وبنوع خاص، لا تزيد من تعريض كوبا للمخاطر: فالأمر كان يتعلق بعدم اعطاء ذرائع لعدوان أميركي، وفي الوقت نفسه يحرم ازعاج الجانب السوفياتي الذي كان يراهن على «التعايش السلمي» للتغلب على مصاعبه الخاصة.

ما سوف يبقى وسيظل، على الارجح، غامضاً هو الحالة النفسية للرجلين عند افتراقهما: هل حصل توافق شامل، ليس فقط على الأساس بل على الوسائل ايضاً؟ هل وافق فيديل على مشروع التشي وشجعه كما اعتبره منطقياً وممكن التحقيق فعلاً؟ أم اعتبره، على العكس من ذلك وفوراً، نوعاً من الجنون؟ وفي هذه الحالة، هل حاول ثنيه؟ أم، ايضاً، تركه يذهب سائماً من المقاومة، واثقاً من أن التشي سيمضي بالفشل، مع بعض

---

(١٨) هذا ما يفهم من قول جاسوس الاستخبارات الاميركية «المرتد» فيليب اجي، مؤلف يوميات عميل سري، لي سوي، باريس، ١٩٧٦.

ارتياح في نهاية الامر؟ ان هذه الأسئلة تضغط بثقلها عندما نعرف ما تبع ذلك، أي الظروف التي جرت فيها محاولات التشي، وعندما نرى إلى محصلة المساعدة الفعلية التي قدمتها كوبا له.

لقد تقرر منذ هذه اللحظة، إن هافانا ستدعو، في موعد قريب، إلى انشاء منظمة اتصال بين كل البلدان والشعوب التي ترغب في مواجهة «الامبريالية» وهكذا فقد تم أخذ إحدى الافكار التي عبر عنها التشي في خطاب الجزائر: كانت تلك منظمة القارات الثلاث التي عمل زعيم اليسار ـ المغربي المهدي بن بركة داعية لها متنقلاً وفعالاً.

لقد كرس الانفصال وترسخ برسالة إلى فيديل، تمت قراءتها بصورة احتفالية بعد ثمانية اشهر في ٣ تشرين أول (اوكتوبر) ١٩٦٥ أمام المؤتمرين المجتمعين من اجل تاسيس الحزب الاوحد الجديد الذي سيتخذ إسم الحزب الشيوعي الكوبي». وهو رسالة طافحة بعاطفة عميقة ازاء الزعيم الكوبي وشعبه. يعلن التشي في رسالته على الفور أنه ياخذ حريته الكاملة: «اتخلى بصورة قاطعة عن مسؤولياتي في قيادة الحزب، وعن منصبي كوزير وعن رتبتي كقائد، وعن وضعي ككوبي. لم يعد أي رابط شرعي يربطني بكوبا، فقط تبقى روابط من طبيعة اخرى لا يمكن القضاء عليها بالاوراق الرسمية». ويذكّر بزمن السييرا مايسترا وما أعقبها: «لقد عشت أياماً رائعة وتذوقت إلى جانبك فخر الانتماء إلى شعبنا في الأيام الوضاءة والمحزنة لازمة الكراييب. [...] من النادر أن يلمع رجل دولة بالمستوى الرفيع الذي لمعت به في تلك الايام، إنني فخور باللحاق بك دون تردد، متمثلاً أسلوبك في التفكير، وفي الرؤية، وفي تقويم المخاطر والمبادىء». ويعلن، أخيراً، مشروعه: «ثمة أراض أخرى من العالم تطالب بمساهمة جهودي المتواضعة. يمكنني أن أقوم بما هو ممنوع عليك وأنت على رأس كوبا، وقد حانت ساعة افتراقنا». لكن الرسالة، تحتوي، أيضاً، على بعض من حنين عميق. حنين رجل على جبهات حياته السياسية كلها: «هنا، اترك الجزء الأصفى من آمالي كبانٍ...».

*

اين التشي؟ طوال عام ١٩٦٥ كان التساؤل عاماً. لقد ذكر وجوده في أكثر المناطق غير المتوقعة، ويمكن أن يكرر، على سبيل الاستعادة

والتقليد، الاسطر الاولى من بيان الحزب الشيوعي: «الشبح يخيم على العالم...».

لقد رأينا التشي يحدد، في خطاب الجزائر، موقعين في العالم يعتبر أن الكفاح فيهما حاسم: الفييتنام والكونغو. واعتقد العديد من الذين يعرفون عمله، لوقت ما، انه ذهب ليضع قدراته كمحارب في خدمة القضية الفييتنامية.

كان، في الواقع، في افريقيا، فالفعالية، بالنسبة له، لا تكمن في مد يد العون للفييتناميين ميدانياً، بل في فتح جبهات جديدة. فكان عنوان الكلمة التي ارسلها في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٥، إلى المؤتمر الاول والاخير لمنظمة القارات الثلاث الذي نجح فيديل في أن يفي بوعده ويجمعه رغم اغتيال منظمه ـ المهدي بن بركة: «لخلق فيتنامين أو ثلاث... العديد من الفيتنامات». ونص هذه الرسالة في الملحق لانها تختزل ستراتيجية التشي وتفسر عجلته لخلق بؤر كفاح جديدة في العالم. وإذا ما فضل في الحال، بين تلك البؤر افريقيا، فذلك لانه يعتقد أن منازلة عالمية تجري هناك، في قارة غنية بكل الطاقات. ففي انقسام العالم آنذاك، كما في رؤية التشي، حيث افريقيا تلعب دور المورد لثروات عظيمة، وبنوع خاص للثروات المنجمية الضرورية لسير الصناعة الثقيلة، التي كانت ما تزال معتبرة أساساً للاقتصاد العالمي. فتخلفها ذاته مع اكتساب الجماهير فيها لوعي جديد جداً عن استغلالها، يجعلان هذه القارة «الحلقة الضعيفة» في جسم الامبريالية. إن من يسيطر على افريقيا يرجح ميزان القوى في العالم لصالحه. وقد التقى في جولاته الافريقية وفي المؤتمرات الدولية، بزعماء أفارقة، وكان على يقين بأن القوى التي يمثلونها تتطلب فقط ان تنظم للكفاح. لهذا أراد، قبل كل شيء، ان يقيم مدرسة الملاكات للحركات الثورية المسلحة في الادغال الكونغولية[١٩].

إنّ هذه الرؤية لافريقيا بوصفها حجر الزاوية لعالم ثالث مستعد للثورة تعززت بقراءة كتاب صادر بعد الوفاة لمارتيينكي ـ لاتيني أميركي شبيهه بمعنى ما ـ كان قد انخرط في الثورة الجزائرية. وكان في عداد المشاريع التي لم يسمح الوقت للتشي لتحقيقه كتابة مقدمة للطبعة

---

(١٩) السنة التي لم نكن فيها في أي مكان، مؤلف سبق ذكره.

الكوبية للـ «المعذبون في الأرض» حيث وجد صدى لقناعاته الخاصة(٢٠). لقد كتب فرانس فانون يقول: «لنهرب ايها الرفاق من هذه الحركة ـ الجامدة التي تحول الديالكتيك فيها، رويداً رويداً، إلى منطق التوازن. لنستعد قضية الانسان [...] فالعالم الثالث بحاجة ليضع، من جديد، تاريخاً للانسان».

اقام التشي، إذن، على الحدود الزائيرية على ضفاف بحيرة تنغانيكا من نيسان (ابريل) إلى تشرين الثاني (نوفمبر) على رأس مئة وخمسة وعشرين كوبياً. وظل هو نفسه متخفياً باسم «تاتو» لمدة طويلة، ظل ذلك الوجود مجهولاً من العالم في حينه إلا من أجهزة المخابرات الأميركية، على الأرجح، التي لم يكن لها أي مصلحة في نشر الخبر. لكنه لم يبق سراً على أحد في السنوات التي أعقبت موته، أقله بسبب واقع شهادات العديدين الذين قالوا انهم التقوا به هناك. ومن المعروف، أيضاً، وجود «يوميات» عن هذه المرحلة مكتوبة على مفكرة شبيهة بيوميات بوليفيا: ولم يخف ريجيس دوبري إطلاقاً انه رآها لدى زيارته أواخر عام ١٩٦٦ لمكتب التشي في هافانا، وكان محافظاً عليه كما تركه صاحبه ولم تنشر مقتطعات من هذه اليوميات إلا في عام ١٩٩٤.

انتهت هذه التجربة الافريقية بفشل اليم، والكلمات الأخيرة استخدمها التشي نفسه. فسرعان ما بدأ انقشاع الأوهام. القادة الكونغوليون (سوميالو، وكابيلا، وجبينيي، وكانزا، وجيزنغا) كانوا مقسمين، وكان مستواهم السياس ضعيفاً، ويفضلون البقاء في المؤخرة دون الاشتراك في القتال وهم شغوفون بالمال والكحول والنساء. الوحيد الذي نجا من حكم التشي القاسي كان موليلي، الذي ظلت فرقته «المجهول الكبير» لأنها كانت تعمل في منطقة أخرى. لم يكن لدى القوات أي تدريب عسكري، وأي انضباط، وكانوا مشتتين وإيمانهم بالـ«داوا»، السحر الذي يعتقدون انه يجعلهم لا يحسون بالاصابات كان يحول دون أي تدريب قتالي عقلاني. وراح الكوبيون يعانون من الظروف المناخية (برد المناطق المرتفعة، والأمطار) ومن الامراض (الملاريا، والديزنتيريا)، ومن الجوع. كانت

(٢٠) مشروع أكده لي التشي نفسه في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ خلال لقاء في باريس وكان ماراً في طريقه إلى الجزائر.

خطط القادة الكونغوليين تعطي الافضلية لعمليات واسعة النطاق: احتلال البرت فيل ودخول كاتنغا لنجدة ستانلي فيل. وكانت خططاً غير قابلة التحقيق. فالعدو كان منظماً ويقوده من قبل ضباط أوروبيون، ومدعّماً بمرتزقة وتحت تصرفه طيران، ومدرعات. وقد فشلت محاولات الكمائن وضربات العصابات بسبب استحالة تنسيق التحركات.

في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ كان التشي ما يزال يعتقد أن عليه «حصر جهوده لاعداد طابور مستقل متقن التجهيز قادر أن يشكل قوة هجوم ومثالاً للآخرين عل حد سواء: إنْ نجحنا سوف تتغير الحالة بصورة نوعية، وان لم ننجح، فسيصبح من المستحيل تنظيم جيش ثوري: النوعية الرديئة للقادة تحول دون ذلك». لكنه بعد بضعة أيام سجل انه بكتابته ما سبق بيّن مرة أخرى، عن «تفاؤل أعمى». العناصر الوحيدة التي اعتبرها ايجابية فعلاً هي نجاحه في المحافظة على عمل «أكاديمية عسكرية» فعلية، وفي إقامة علاقات ثقة مع السكان الفلاحين رغم حاجز اللغة (عدد كبير من الأطباء كان في القوات الكوبية) وفي المحافظة على تماسك رجاله ومعنوياتهم.

في خريف ١٩٦٥ صار من الضروري الاعتراف بواقع الحال. فالجيش المعزز بالمساعدات الأميركية لحكومة موبوتو الذي حل محل تشومبي كان يعد هجوماً عاماً. وتشكل أكثرية المقاتلين في عصابات مبعثرة، كان المخرج الوحيد لدى الكوبيين هو القتال المنفرد. لكن أي معنى لذلك؟ «لا نستطيع بمفردنا أن نحرر بلداً ليست لديه إرادة القتال، فيجب خلق روح الكفاح هذه والبحث عن الجنود بمصباح ديوجين...». في هذه الأثناء تحركت حكومة تانزانيا ـ رغم أن رئيسها يوليوس نيريري كان واحداً من الافارقة الاكثر تقدمية ـ بضغط غربي ضد وجود المقاتلين على حدود أراضيها التي تشكل لهم قاعدة تحرك ومواصلات: فطلبت سحب الكوبيين. واتخذ القرار في تشرين الثاني (نوفمبر). فعاد الكوبيون المنهكون إلى بلادهم. وذهب التشي للنقاهة إلى أحد مستشفيات براغ، حيث لم تكن السلطات المحلية مستعجلة للافراج عنه على ما يقال: وكان ان حضر فيديل نفسه لاسترداده.

إنّ المحصلة التي يخرج بها التشي من هذه المهمة الفاشلة لم تكن سلبية بالكامل: «النصر، كما كتب يقول، هو مصدر كبير للخبرة الايجابية،

إلا أن الهزيمة في اعتقادي هي مصدر أكثر أهمية، في وضع كهذا، يكون لاعبو الأدوار اغراباً خاطروا بحياتهم على أرض مجهولة، حيث يتكلمون فوقها لغة اخرى، ولا يربطهم بها غير الأممية البروليتارية، مدشنين اسلوباً لم يسبق أن مورس في حروب التحرير الحديثة»[٢١].

كان يعد للمرحلة اللاحقة وستكون في بوليفيا.

*

لقد انضج الخيار طويلاً، وحضور التشي في هذه الساحة لا يشكل أية مفاجأة. فقد رأينا ان الثوار الكوبيين لا يخفون أبداً طموحهم في انتقال العدوى إلى اميركا اللاتينية، لضرورات بقائهم. إلى ذلك فان الانتفاضات وحروب العصابات الثورية تضاعفت في نصف القارة منذ سنوات خمس. ففي عام ١٩٦٣ تم سحق حركة عصابات مسلحة في شرق البيرو، في بويرتو مالدونادو وليس بعيداً عن بوليفيا، وتمكن الناجون من الاستمرار سنتين بارتدادهم إلى لاباز. وفي عام ١٩٦٤ حاول أحد رفاق التشي القدامى جورج ماسيتي إقامة حركة عصابات ثورية في شمال الأرجنتين عند الحدود البوليفية ولاقى حتفه في تلك المحاولة. وظهرت حركات أخرى في البيرو ومن بينها محاولة الزعيم الفلاحي التروتسكي هيجو بلانكو تنظيم «روابط فلاحية» مع الجماعات الهندية. وكانت توجد بؤر هامة في كولومبيا وفنزويلا وغواتيمالا في حين كان كارلوس ماريغيلا تهيأ للانتقال من حرب العصابات الريفية المتوطنة إلى حرب المدن. وفي المقابل تزداد الانظمة القائمة تصلباً. وتتالت الانقلابات العسكرية للامساك بالأوضاع ـ تسعة في سبع سنوات ـ وتجهد الولايات المتحدة للسيطرة على الأوضاع باقران العون الاقتصادي للأنظمة القوية (التحالف من أجل التقدم) بالعون العسكري: يتم هذا العون الأخير بصورة غير مباشرة ـ تدريب عشرات الالوف من «القناصة» في القواعد الاميركية في باناما وفي سواها، وارسال أعداد كبيرة من المستشارين ـ وبصورة مباشرة. وكان أكثر ذلك اثارة غزو جنود البحرية الاميركية لجمهورية الدومانيكان عام ١٩٦٥، للاطاحة بالحكومة التقدمية جداً التي خلفت الدكتاتور تروخيلو الذي جرى اغتياله.

---

(٢١) السنة التي لم تكن فيها في أي مكان، مؤلف سبق ذكره.

لكن لماذا بالتحديد بوليفيا؟ في البدء ربما كان الاختيار رمزياً؟ فهذه البلاد التي تضم اعلى معدل من السكان الهنود في القارة وتحمل اسم المحرر العظيم بوليفار، لقد كان يراد لهذه البلاد عند قيامها، على اثر حروب الاستقلال، أن تكون البلاد النموذجية في أميركا الجنوبية الجديدة. وقد أعد دستورها المفكر ومرشد بوليفار سيمون غونزاليس، حيث وضع فيه كل ما حفظ من تعاليم **العقد الاجتماعي**. غير أن ذلك كان دون جدوى لأنه تبين انها الدولة الأكثر عدم استقرار في المنطقة والمعرضة لدسائس جيرانها ولتداول السلطات العسكرية والثورات الشعبية. في تلك الفترة، كانت دكتاتورية الجنرال باريانتوس قد حلت محل حكومة بان استنسورو الذي سانده عمال مناجم القصدير الذين تنظموا في «سوفياتات» حقيقية، وقد سحقت الميليشيا التابعة لها. كان التشي واثقاً انه سيجد في بوليفيا تقاليد وطنية قوية يزيدها الاذلال صلابة، وطبقة عاملة من بين الأكثر تنظيماً في اميركا اللاتينية ـ لكنها معزولة في مناطق المناجم ـ وفلاحين متشبثين بالدفاع عن ارضهم. وفوق كل ذلك هي بلاد ذات مناطق شاسعة موحشة وتشكل تقاطع حدود حقيقياً يسمح بالاشعاع إلى البلدان المحيطة.

لم يكن مشروع التشي، إذن، خلق حركة مسلحة بوليفية، بل التحضير لـ«رص» صفوف الحركات المشتتة في المحيط. وهو مشروع ضخم قال عنه ريجيس دوبري: «إنه من الممكن امتداده على سنوات، بل على عشرات السنين». لذلك فان طابور الثوار المسلحين المتوجه إلى بوليفيا لم يكن معداً للقتال المباشر، بل لتاسيس نواة، «بؤرة» سرية تكون، حسب التعبير الذي استخدمه التشي في افريقيا، شبيهة بـ«اكاديمية عسكرية» لحرب العصابات بانتظار أن تنضج الظروف لفتح عدة جبهات في آن معاً.

تم الاعداد لهذا المشروع، كما يبدو، منذ زمن طويل، وعلى كل حال، فان عام ١٩٦٦ قد استنفد بكامله للبحث عن المكان الافضل. وكان يمكن أن يكون الهوبيني والشاباري، وهما منطقتان بكثافة فلاحية منظمة ـ عند انسحاب الناجين من الثوار بعد استشهاد التشي، تحدثوا عن سماعهم عن زعيم فلاحي لديه ألف رجل متأهبون للتحرك ـ والاتصالات لديهم مع المدن والخارج سهلة جداً. وكان يمكن الاعتماد ميدانياً على نواة ثورية مشكلة في شبكة سرية بفضل اقامة المسلحين البيروفيين ـ وخاصة

الاخوين كوكو وانتي بيريدو ـ وعلى من تبقى من منظمة الميليشيات العمالية ـ التي لجأ زعيمها جوان ليشين إلى البيرو. أراد التشي تشكيل الطابور الاول من حوالي مئتي رجل من الكوبيين المتمرسين، ومن البوليفيين والمناضلين «الامميين» من الفلاحين المجاورين، وكان هدفه ليس البدء فوراً بالعمل بل الاعداد لفتح جبهات أخرى.

وفي آخر عام ١٩٦٦ حبس العالم كله أنفاسه مترقباً ظهور التشي بعد سماع الرسالة المجلجلة المرسلة إلى مؤتمر القارات الثلاث. وقد أُستنفرت الاجهزة الاميركية ووضعت كافة المطارات تحت الرقابة المشددة. ورغم ذلك وصل التشي إلى موعده المحدد مموهاً شكله حسب الاصول وحاملاً جواز سفر أورغوايياً يجعل منه «مبعوثاً خاصاً لمنظمة الدول الاميركية التي كانت، حينذاك، خاضعة لسيطرة الولايات المتحدة الواسعة». كانت تنتظره هناك المجموعة الكوبية الاولى التي اختارها بنفسه ـ والكثيرون منهم كانوا رفاقه في افريقيا وفي السييرا مايسترا أيضاً ـ والنواة البوليفية. غير انه تم، في اللحظة الاخيرة، نقل المكان جنوباً إلى منطمة نانكاهوازو، الصحراوية تقريباً، المجدبة، المكونة من تضاريس حادة وأودية ضيقة، بنباتات متداخلة غير سالكة، وزراعة تكاد تكون معدومة، يتناثر فيها سكان يعيشون في ظروف غير بشرية.

التكملة نقرأها في يوميات التشي. فقد تم في كانون الأول (ديسمبر) اللقاء مع سكرتير الحزب الشيوعي البوليفي، ماريو مونسخي، الذي طالب بالقيادة السياسية ـ العسكرية وووجه برفض من التشي. وفي الحال امتنع الحزب الشيوعي البوليفي عن تقديم الدعم البشري المرتقب، ولم يؤمن لا المواصلات ولا الاتصال بالسكان، وبخاصة مع عمال المناجم. ولم يشترك في الحركة المسلحة إلا موويزس غيفارا زعيم فريق منشق مع ثمانية رجال غير مدربين بتاتاً. اما المشاركة «الاممية»، فلم تتح لها فرصة التكون واقتصرت على ثلاثة بيروفيين بينهم «ال شينو» (جوان بابلو شانغ).

وقد وقع في آذار (مارس) ١٩٦٧، الصدام غير المتوقع مع الجيش اثر وشاية مدني، وفرار اثنين من البوليفيين الملتحقين حديثاً، ودارت المعركة الأولى في مضائق بانكاهوازو. وهكذا فرض على التشي البدء بالعمليات باكراً جداً. واحتل الجيش المعسكر الذي قاده إليه الفاران. فاضطر

المقاتلون الذين لم يتجاوزوا الخمسين رجلاً ان يتنقلوا باستمرار. أما عنصرا الارتباط الأرجنتينيان سيرو بوستوس (كارلوس، أوال بيلادو، أوبيلاوو) المكلف بتأمين الصلة مع بقية القارة، ورجيس دوبري (دانتون) الذي كان عليه أن يعود إلى هافانا، فقد انزلا في قرية مويوبامبا مع توجيه وحيد بتدبر الخروج من المنطقة. وفي الحال وقعا في الأسر. أما المكلفة الثالثة بالارتباط، الأرجنتينية تامارا بونكي (تاتيانا ابنة أحد الشيوعين الألمان المهاجرين) التي كانت مهمتها الاتصال بلاباز وبقية مناطق بوليفيا، فانها «احترقت» وكان لا بد من بقائها مع المقاتلين. وبالتالي أصبح المقاتلون محرومين من أي اتصال خارجي، ومما زاد في المأساة تعطل جهاز الاتصال. كان يمكن تلقي الاتصالات ولم يكن في الامكان بثها.

إلا أن الحدث الأخطر والأكثر تأثيراً على الصعيد العسكري كان حتماً فقدان الاتصال مع «الحرس الخلفي» بقيادة الكوبي جواكيم (القائد في الجيش الثوري فيلو آكونا نونس). وصار أمام التشي هدفان مباشران يتكرران كاللازمة في يومياته: العثور على «الحرس الخلفي» وبلوغ منطقة هو ـ بيني في الشمال الاكثف سكاناً. وقد قام في سبيل انجاز الهدف الأول بالتفاف طويل غير مفيد قاده إلى المكان الذي كان فيه، قبل أن يعرف، آخر آب (اغسطس) ان «الحرس الخلفي» الذي كانت فيه تاتيانا قد جرت تصفيته في كمين. آنذاك فقط سلك طريق الشمال وكان قد تاخر كثيراً.

في هذا الوقت، توجهت أنظار العالم إلى بوليفيا اثر اعتقال ريجيس دوبري وتعرض حياته للخطر، ودفاعه الشجاع، والحملة الدولية التي قامت دفاعاً عنه. ولم تتوجه الانظار وحدها، فقد سارع المستشارون العسكريون الأميركيون لنجدة «قناصة» الجيش البوليفي الذين يمشطون المنطقة. وقد أضحى وجود التشي فيها مسألة مفروغاً منها. وعلى كل حال فان الفارين قد وشوا به، وأيضاً سيرو بوستوس الذي على أثر تهديده بعائلته، سلم الجيش جملة رسوم لرجال المجموعة المسلحة وكان رساماً جيداً.

تعرضت في هذا الوقت أيضاً مناجم منطقة أورورو لقمع وحشي بعد ان أعلن عمال المناجم «مناطق محررة» بالتعاون مع الطلاب، إنما باستقلال كامل عن حركة العصابات المسلحة. حدث ذلك في مذبحة «ليل القديس حنا» في ٢٤ حزيران (يوليو) ١٩٦٧. وهكذا تم القضاء على كل

امل في اقامة صلة بين عمال المناجم وحركة العصابات المسحلة، في حين تمكنت الشرطة باستخدامها الخيوط التي وفرها الفارون، من تمزيق القليل الذي تبقى من الشبكة السرية في المدن.

في ٣ أيلول (سبتمبر) لم يعد في طابور التشي إلا اثنان وعشرون رجلاً. ورغم ما ألحق بالعدو من خسائر ورغم بعض الانتصار مثل احتلال بلدة سمايبابا و«المهرجان» السياسي في قرية التوسيكو، فانه لم يتمكن من الافلات من سيطرة القوات التي تطوق المنطقة. وفي ٢٦ أيلول (سبتمبر) وقعت الطليعة في كمين في لاهيغويرا: قتل فيه كوكو بيرودو ورجلان آخران. وبلغت القصة نهايتها في مضيق يورو يوم ٨ تشرين أول (اوكتوبر). لقد جرح التشي في ساقه وتعطّل سلاحه باصابته بطلقة، فاعتقل كما أعتقل البيروفي جوان شانغ ويلي (سيمون كوبا، وهو بوليفي وعامل منجم في بوتوسي) وتم اعدام الثلاثة في اليوم التالي بأمر من الجنرال باريانتوس في لاباز بعد استشارة سفير الولايات المتحدة.

من أصل عشرين ناجين تمكن خمسة من اختراق الطوق، بعد شهرين من العذاب والقتال ضد قوى تفوقهم قوة ألف مرة، والوصول إلى منطقة اكثر عدداً حيث توافرت لهم مساندة عفوية من الشعب قبل أن يؤمنوا اتصالاً مع لاباز ويتكفل أمورهم التضامن الكفاحي. كوبيون ثلاثة، بومبو (النقيب هاري مليغاس وهو اليوم جنرال) وأوربانو (النقيب ليوناردو تومايونونس) وبينينيو (النقيب داريل آلاركون، وهو اليوم كولونيل) وقد تمكنوا من العودة إلى بلادهم عن طريق التشيلي. أما البوليفيان، داريو (عامل منجم فتى، أمي تماماً، كان نوعاً ما الابن المدلل للقوات) وانتي بيريرو ظلا ليتابعا الكفاح. وسوف يقتلان كلاهما بعد بضع سنوات. وكان انتي بيريدو الذي حل محل التشي في قيادة «جيش التحرير الوطني» قد حاول خلق بؤرة جديدة للكفاح المسلح.

*

لقد جرى كلام كثير عن «الاخطاء» التي ارتكبت في هذه الحركة المسلحة. واثنان منهما وهما الأهم جرت الاشارة إليهما.

الخطأ الاول هو دون ريب، تغيير الموقع في اللحظة الاخيرة. ففي هذا الموقع الجغرافي الشديد الصعوبة الكثير العقبات مع سكان مشتتين،

معزولين، بدون تلاحم اجتماعي، مؤلفين من عائلات ليست بأصولها من المنطقة وتعيش في كفاف شديد، يصبح التنقل مرهقاً للغاية ولا تتاح أية فرصة لعمل سياسي. الوضع كان تغير تماماً لو تم النزول أبعد شمالاً في المنطقة التي أوصي بها خاصة ريجيس دوبري في تقرير سابق بعد دراسة طويلة ومعمقة، وهي المنطقة التي لم يستطع التشي الوصول إليها. يؤكد ذلك ما رواه بينينيو أحد الناجين في نهاية الحملة الذي قال انهم ما ان بلغوا هذه المنطقة حتى تغيرت الظروف وانقلبت رأساً على عقب.

كان الخطأ الثاني حصر عملية الاسناد الشعبي للحركة المسلحة بالحزب الشيوعي البوليفي. ويتحدث فيديل كاسترو في «تحذيره» عن «خيانة».

إلى هذين الخطأين لا بد من إضافة ثالث، وهو الذي يؤكد انه حتى ولو لم يحصل الخطآن السابقان وغيرهما الكثير، فان العملية، في كل الأحوال، كانت محكومة بالفشل. فهذا الخطأ يقوم على المبالغة في تقدير «نظرية البؤرة» المصاغة استناداً إلى تجربة **حرب العصابات** الكوبية كما حددها التشي في **حرب العصابات** والتي طورها عام ١٩٦٦ ريجيس دوبري في **«ثورة في الثورة»** قضاءً لحاجات القضية. بكلام آخر، فان ستراتيجية التشي كان محكوماً عليها قبل ان يبدأ تنفيذها، لأن النظرية التي قامت عليها كانت خاطئة. هذا السجال اسال الكثير من الحبر في أواخر الستينات في عصر كانت فيه الدعوات النظرية قائمة، على قدم وساق.

من الواضح، في كل حال، إن التشي قد يكون ارتكب خطأ كبيراً في حال اعتقد، كما يرجح، وجود ظروف في القارة الأميركية الجنوبية عام ١٩٦٧، شبيهة بتلك التي عرفها في السييرا مايسترا بين أعوام ١٩٥٦ و١٩٥٩، أو حتى في افريقيا في العام السابق. فالعدو لم يعد نفسه، دكتاتورية باتيستا كانت في نهاياتها وكانت مدعومة بدون حماسة من جانب الولايات المتحدة، وجيشها قليل الدوافع، وتجهيزاته متواضعة، كان مقاتلو فيديل كاسترو يمثلون مجهولاً والحدث ظل محلياً بصورة عامة. أما في عام ١٩٦٧ فالأمر مختلف تماماً. ففي الوقت الذي كانت فيه حرب الفييتنام في ذروة اندلاعها وتبذل فيها الولايات المتحدة مجهوداً حربياً ضخماً، كان خطر قيام بؤرة مسلحة في أميركا يقلق البنتاغون بشدة. ولم يكن ثمة

تشابه بين «القناصة» البوليفيين المدربين في مدرسة قاسية وبين الحرس الريفي والعسكريين الكوبيين، ولا أي شيء مشترك بين ضباطهم ومستشاريهم الاميركيين وبين ملاكات باتيستا المترهلة والفاسدة. ورغم شعورهم الدائم بخوف شديد (أسطورة التشي والعصابات التي لا تقهر كانت من أمضى أسلحته ورفاقه) كان في حوزتهم سلاح متطور ودعم جوي ولوجستي (مواصلات واتصالات) تماماً كما في الفييتنام. أي كل ما يجعل حملة التشي ورفاقه اكثر بطولة. أجل، هذا ما يجب قراءته بين اسطر يومياته، فابعد من «موكب المشردين المحدودبين» هذا، (التعبير لريجيس دوبري الذي كان في صفوفهم) السائر في الجبل، كان ثمة منطقة على أهبة الحرب، وألوف الرجال من «القوات الخاصة» فيها وخلفهم اضافة لذلك، آلة الحرب الاميركية الضخمة العاملة على مدى أربعة وعشرين ساعة على أربعة وعشرين ساعة في اسناد حملة مقاومة الحركة الثورة المسلحة.

*

يبقى السؤال الاهم: هل حصل التشي فعلاً على دعم فيديل كاسترو وبعد الاتفاق بينهما، وعلى كامل الدعم الكوبي الذي كان بحاجة إليه؟ هذا السؤال يعيدنا، بكل أبعاده المأساوية، إلى تلك الساعة من شهر شباط (فبراير) ١٩٦٥ حين بحث فيديل والتشي فيما بينهما من خلاف ـ أو اتفاق. نحن نرفض القول المبسط عن تخلي الأول عن الثاني لأنه، كما رأينا، يتعارض مع الوقائع: توافق الرجلين على رؤية واحدة لتوسيع «الجبهة الثورية» في العالم بأي ثمن، وكما يبدو لنا بوضوح لم يكن من الممكن القيام بالحملة الافريقية ولا بالمحاولة البوليفية بدون أن توضع في تصرف التشي الوسائل الضرورية. فالرجال الذين تم اختيارهم هم من نخبة الجيش الثوري الكوبي، وقد تأمن تدريبهم في كوبا، وحرص فيديل شخصياً على إعادة التشي بعد فشل حملة الكونغو. لكن هل تم بذل ما يكفي؟ هل كان يمكن أن يبذل اكثر؟ هل الوضع الدولي الذي كان على فيديل مواجهته قد منعه من العمل لتأمين نجاح التشي؟ هل جرى، بقصد أو بدون قصد، سوء تقدير للجهد المطلوب بذله؟ هناك ثمة شيء يفوتنا سره ربما تلمسناه في تلك المقارنة الشكسبيرية التي رسمها بيير كليرك

في كتابه عن سيرة فيديل كاسترو: «في العلاقات بين غيفارا وكاسترو شيء يذكرنا بالعلاقات بين توماس بيكيت وهنري الثاني. الصداقة الحميمة والتواطؤ الرائع اللذان يلتبسان بتعارض سياسي. فما عاد الملك يعرف ابداً لا سعادة ولا راحة...»[٢٢].

لناخذ، أولاً، مسالة «خيانة» الحزب الشيوعي البوليفي. الم تكن متوقعة منذ البداية، اليست، بالاحرى، ترجمة طبيعية للسياسة التي كانت تمارسها، آنذاك، الاحزاب الشيوعية في أميركا اللاتينية: سياسة الانسياق للخط السوفياتي الداعي إلى التخلي عن كل عمل ذي طابع عنيف وممارسة معارضة شرعية «جماهيرية» لا تشكل اية إعاقة لـ«التعايش السلمي»؟ فالاحزاب الشيوعية الاميركية ـ اللاتينية كانت تندد بالحركات المسلحة وتصفها بالمغامرة، وكانت تشير، غالباً، إلى التشي بالاسم. وهافانا، من جهتها، كانت تندد يومياً بـ«اصلاحية» هذه الأحزاب وبـ«اعوجاجها» حسب التعبير السياسي الكوبي. كل هذا كان يحصل على مرأى ومسمع العالم. وليس ثمة أي سبب لخروج الحزب الشيوعي البوليفي على القاعدة. وليس ثمة اي شيء غير طبيعي في رحلة مونيي، سكرتير الحزب، إلى موسكو لأخذ الراي وهي الرحلة التي يشتبه بانه قام بها لهذه الغاية. الشيء غير الطبيعي، فعلاً، هو هذا الاصرار على خيار حصر التعامل مع هذا الحزب دون سواه من المنظمات الثورية في بوليفيا ـ باستثناء مجموعة ميوزس غيفارا المنشقة الصغيرة التي تبين ان افرادها «الكامباس» وهو تعبير يشير إلى الفلاحين البوليفيين) قد شكلوا عبئاً ثقيلاً ومؤذياً لحركة الثوار. لقد حضر وفد الحزب الشيوعي البوليفي،بعد رفضه التعاون، ورغم وصفه بـ«القذر» في إحدى الرسائل، مؤتمر منظمة أميركا اللاتينية، للتضامن في هافانا، الذي عقد في تموز ـ آب (يوليو ـ أغسطس) ١٩٦٧، وتحديداً في الوقت الذي كانت تعاني فيه الحركة المسلحة، التي تخلى عنها، النتائج المفجعة لهذا التخلي. «خائن» ربما، لكنه مدعو من قبل الكوبيين بكل احترام بعد «خيانته». كانت الأمور كلها تجري وكان فيديل رهين واجب التضامن مع التشي وضرورة مراعاة تحالفاته. فكان التشي محكوماً، عملياً، بدفع الثمن.

---

(٢٢) جان بيير كليرك، فيديل كوبا، مؤلف مر ذكره.

لننظر، بعد ذلك، إلى العزلة المتزايدة التي تعاني منها المجموعة المسلحة. فجهاز الارسال تعطل، وعدد الرجال ليس كما كان متوقعاً، وعناصر الاتصال تم شلهم. لقد أصبح الفهم مستحيلاً. ذلك لانه تبين مع مرور الزمن، عدم حصول أي تفكير في محاولة لدعم التشي بالرجال والعتاد الضروري، أية تكن الصعوبات الموضوعية الناتجة عن الحصار العسكري للمنطقة. لقد اقتصرت حملة التضامن على الدعاية. وبالفعل لم توفر الجهود في هذا الميدان، ففي الرسالة التي تسلمها التشي والتي يطلبون منه فيها توقيع نداء من أجل الفييتنام إلى جانب توقيع الفيلسوف العجوز برتران رسل، يفيدونه، أيضاً، بانه جرت في هافانا إشادة عظيمة بالحركة الثورية المسلحة في بوليفيا. وفي الاتجاه ذاته نمت وتعاظمت حملة التضامن مع ريجيس دوبري التي وان كانت قد افادت الحركة بتعميم التعريف بها فانها قد ارتدت عليها وآذتها في نهاية المطاف. فالتشي يقول في يومياته ان هذه الحملة قد أعطت الحركة مقدار ما تعطيه عشرة طوابير مسلحة. بيد أن العدو، وبسبب هذا الادراك بالذات، سارع عند اعتقال التشي إلى تصفيته الفورية كافضل وسيلة لقطع الطريق على قيام حملة مماثلة مضاعفة القوة والاتساع.

في نهاية الأمر، هل كان الكوبيون، وفيديل نفسه، ضحايا أسطورة التشي الذي لا يغلب؟ هذا بالذات ما يصب الماء في طاحونة الذين يكررون بأن فيديل «قد أرسل التشي لينتحر في بوليفيا».

ان مسألة الاتصال تستحق التوقف. في آخر شهر أيار (مايو) يسجل التشي في يومياته، ببرودة، بأن «العزلة ما تزال تامة». ويتابع انه بعد ان «احترقت» تاتيانا، التي لا غنى عنها للصلة مع لاباز، انقطعت الاتصالات مع كوبا (دانتون) وفقدت خطة العمل في الأرجنتين (كارلوس). انه كلام مخيف. فالعملية كلها متوقفة على ثلاثة أشخاص فقط. يضاف إلى ذلك تصرف مقلق للغاية. فالعميل الكوبي الذي كان يعمل سراً في لاباز والذي حضّر الساحة بفعالية، تم استدعاؤه عندما باشرت الحركة المسلحة عملها.

لم يكن أي واحد من عناصر الاتصال الثلاثة يعتقد، انه في حقله،

العنصر الوحيد الذي يقوم عليه التنظيم كله. فعندما يكون المرء منخرطاً في عملية بهذه الضخامة يحق له أن يعتقد بانه بيدق، هام ربما، لكن يمكن تحريكه على الرقعة الواسعة. فإذا بكل منهم يكتشف انه لم يكن مجرد بيدق بل البيدق الوحيد، وانه لم يكن ثمة آخرين. وقد مررت شخصياً، وعلى قياسي الفردي، في هذه التجربة.

*

في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ عندما أعلن مانيلا (الاسم المرمز لهافانا) بواسطة الجهاز، التشي بأن «ماسبيرو سيذهب إلى هذه» (الاسم المرمز لبوليفيا)، كان من المشروع، مرة أخرى، التساؤل عما يحمل هذا الخبر من ايجابيات للحركة المسلحة. في الواقع لا يحمل لها شيئاً، كما لا تحمل لها شيئاً تظاهرات التضامن المعنوية المختلفة التي تم اعلامه بها. فيما يتعلق بي، بدأ الأمر قبل هذا التاريخ بقليل.

ففي نهاية عام ١٩٦٦، طلب مني في هافانا ان اسهم في اعداد ونشر مجلة **القارات الثلاث** كناطقة باسم المنظمة التي تحمل الاسم ذاته ـ كان يراد لها ان تكون حجر زاوية للستراتيجية المتفق عليها بين فيديل والتشي. آنذاك امكنني الاستنتاج من خلال عدة لقاءات مع فيديل ومن سماعي لاحاديثه المكررة الطويلة بانه لا يخفي همه في ايجاد الوسائل للافلات من الاصطفاف مع السوفياتيين: من جهود تفوق طاقة البشر لتأمين استمرار الحياة للجزيرة عن طريق تعبئة داخلية غير مسبوقة على جبهة الانتاج، وجهود أيضاً، لايجاد حلفاء خارجيين لاستعادة التوازن. تلك كانت مرحلة بحث الكوبيين عن كل محاولة ثورية في العالم وتشجيعها. وتسنى لي ايضاً أن أتبين كم كان مستحيلاً، خارج فريق القيادة الصغير، ذكر اسم التشي. فالصمت كان ثقيلاً، وكانوا يكتفون في محيط فيديل بابداء الثقة التامة بظهوره المقبل.

في بداية أيار (مايو) ١٩٦٧ عندما عرف نبأ اعتقال ريجيس دوبري ـ أعلنت وفاته سابقاً ـ ذهبت من جديد إلى هافانا. كان ذلك لسببين: أولاً لصداقتي معه التي تتجاوز علاقة، ناشر بمؤلف، التي تلزمني بمساعدته ولاعتقادي بأن واجب الذين ارسلوه إلى هناك أن يؤمنوا لي افضل وسيلة

للتحرك. وثم لاعتقادي بانني قادر، بما أملك من امكانيات، ان أسهم في استمرار العمل الكفاحي الذي كان يقوم به.

اخبرت الكوبيين بقراري الذهاب إلى لاباز لأطلب مقابلة ريجيس دوبري في السجن، وأؤكد ادعاء أن الكاتب ملاحق بدون وجه حق. وكانت إحدى «التغطيات» اللازمة لذلك رسالة مني تكلّفه السفر إلى المنطقة لبحث شؤون تتعلق بمنشوراتي. وافق الكوبيون بالطبع، وأشاروا علي القيام بأقصى ما يمكن من الحركة بشأن قضية دوبري، وتشكيل لجنة دفاع، والعمل على ضم مشاهير إليها وارسال اناس إلى لاباز بأسرع ما يكون للمطالبة باطلاق سراح السجين. وأضافوا إلى ذلك فصلاً جديداً، فقد كلفت، في الوقت ذاته القيام باتصالات بطائفة من المتعاطفين مع الحركة المسلحة (بما في ذلك الاتصال بالشخص الثاني في الحزب الشيوعي، كولي)، وتقويم الوضع، باختصار، كان مطلوب مني أن اقرن عملي العلني بنشاط سري.

ويمكن بدون جهد، تصور، هذه اللعبة المستحيلة. فرحلتي الأولى إلى لاباز برفقة كريست ماركر، وكانت والدة ريجيس دوبري قد سبقتنا، أسهمت في اثارة الموضوع بشدة بفعل التصريحات التي ادليت بها والنشاطات التي مارستها. لكن الصلات بدت مستحيلة، وخطرة على الأشخاص المعنيين الذين يعيشون تحت ضغط حالة حصار حقيقية. فالمناضلون متخفون والجامعة مغلقة. الانطباع العام الذي استخلصته والذي يستخلصه مطلق سائح فطن يشير إلى أن: الجهاز السري مختف تماماً في حال انه ما يزال موجوداً... أما الحركة المسلحة فمعزولة تماماً، وتبدو القوات المسلحة في قوة ظاهرة، والعون الأميركي باد للعيان (طائرة البرانديف التي اقلتنا كان بين ركابها زهاء مئة أميركي من القوات الخاصة). وأخيراً، فان وجود التشي، الذي يصر الكوبيون على نفيه أصبح في لاباز أمراً مفروغاً منه. طلبوا مني، في كوبا، ان آتي لاقدم تقريراً. وهو ما قمت به قادماً عن طريق موسكو (كانت الطرق الموصلة إلى كوبا، آنذاك، معقدة، والطائرة العادية التي تنطلق من براغ كانت معطلة) هذه الطريق التي تسببت لجواز سفري بختم سوفياتي بارز رغم طلبي الملح للمسؤول الكوبي المكلف بتامين هذا المرور بأن لا يتم ذلك.

ماذا يمكن أن أفعل أيضاً؟ وجاءني الجواب بالعودة إلى لاباز ومتابعة

المساعي... وجمع المزيد من المعلومات، وقد عدت في الأول من تموز (يوليو) برفقة صديقي المحامي جورج بيني الذي قبل أن يقوم هناك بمهمة رفضها جميع المحامين الباريسيين الذين تم الاتصال بهم من قبله. ليحصل ما يحصل: فقد تم بالفعل توقيفي وجرى التحقيق معي طويلاً من قبل (الديك) البوليس البوليفي، بحضور عسكريين وعميل للمخابرات المركزية الاميركية، وهو اميركي من أصل كوبي كما تدل لهجته وينتحل اسم الدكتور غونزالس. واسمعوني «اعترافات» ريجيس دوبري التي هي في الواقع عرض جامعي أكاديمي طويل حول الستراتيجية العالمية للتشي. ويمكن الاطلاع عليه في كل ما نشر من كتابات هذا الأخير، وفي ما عرضه ريجيس دوبري ذاته في كتابه **الثورة في الثورة**. لم يكن ثمة أي تفصيل يعرّض الحركة المسلحة للخطر. واني مازلت، حتى اليوم، شديد الاعجاب بهذا الموقف الباهر في مواجهة معذبيه. لم يدل إلا بنقطة واحدة دقيقة. فقد أقر ريجيس بوجود التشي. وماذا كان يمكنه ان يفعل خلاف ذلك بعد أن قال سيرو بوستوس كل شيء، وأمام معرفة المخابرات المركزية بكل شيء أيضاً؟ ومن خلال سؤال بعد سؤال، وحجة داعمة اثر حجة داعمة، تسنى لي أن أعرف شخصياً، الكثير عن الحالة في الاربع والعشرين ساعة. أعقب ذلك نقاش حاد حول شخصي المتواضع. فالعسكريون طالبوا باستلامي لاحاكم في الوقت نفسه مع ريجيس دوبري، لقد كان يعتقد أني ما زلت في باريس، فزعم بما أدلى في عرضه بأني من أمّن له القناة التي قادته إلى التشي. إلى ذلك فان الختم السوفياتي في جواز سفري قد فعل ما يمكن تصوره، البرهان عن يد موسكو. فهل ثمة افضل من ذلك؟ أما العناصر السياسية في وزارة الداخلية، فانها، بالمقابل، كانت تفضل، بصورة ظاهرة، عدم إضافة متهم جديد إلى ملف قضية ريجيس دوبري التي بدأت تقض مضاجعهم. فانتصرت وجهة نظرهم. ولا شك انه كان لدفاع جوزرج بيني دور كبير في ذلك. فقد تم إبعادي، لكن ليس قبل أن أجر إلى زاوية مهجورة في الالتيبلانو، على حافة المطار ويجري ارهابي بتمثيلية اعدام حقيقي.

عدت فوراً إلى هافانا. وقد وجدت نفسي في خضم اختلاط المندوبين إلى

مؤتمر التضامن الاميركي اللاتيني (الذي يعقد تحت صورتين ضخمتين للتشي وبوليفار)، وإلى بطولة العالم في الصيد تحت البحر، مع المشاركين في صالون أيار (مايو) المنقول من باريس إلى كوبا. وقد وضعتني الصدفة وجهاً لوجه مع فيديل الذي كان يصافح مدعويه. كان الحديث موجزاً: «كيف الحالة في لاباز؟ ـ سيئة أيها القائد ـ سأراك قريباً. تشرح لي ذلك». وأدار لي ظهره. أسرت جارتي المناضلة الثورية المجربة الي قائلة: «انك مجنون، لا يتكلمون هكذا مع فيديل كاسترو» كانت على حق، لم أر القائد مرة ثانية طوال اقامتي.

أنها إقامة طالت، عملياً، حتى الايام التي سبقت مصرع التشي. كان يستحيل علي استعادة جواز سفري. وكان من الواضح انهم لا يرغبون رؤيتي أغادر. هل ذلك لمعرفتي الكثير؟ وفي الوقت الذي كانت صحافة العالم كله تتكلم عن وجود التشي في بوليفيا، كانت كوبا تصر على الصمت. وعدم رؤيتي لفيديل مرة ثانية لم تمنع اخضاعي، في ساعة متقدمة من الليل، لاستجواب طويل من رئيس «الأجهزة» الكوبية القائد بينيرو. المسؤول الكبير عن «متابعة» عملية التشي. وللغرابة فان الأسئلة لم تكن اخف ضغطاً من تلك التي واجهتني في بوليفيا. وبدا لي أن تقريري لم يرض شأن جوابي لفيديل، فقد أعطيت لوحة متشائمة عن الوضع وخاصة عما يبدو من معرفة كاملة للعدو عن ظروف العملية وخواتيمها.

تشاؤم كان يتعزز، في ما يخصني، بالانباء التي تصل يومياً إلى وكالة برنسا لاتينا ولا تنشرها الصحف الكوبية. ففي آب (اغسطس) تمكنت أن أشاهد برفقة بينيرو ورجاله فيلماً صوره مبعوثو الصحافة الدولية، كان يعرض جثث أعضاء «الحرس الخلفي» بقيادة جواكيم. خلال ذلك تمكنت من احصاء أعضاء خلية اجهزة بينيرو، وهي الخلية التي تهتم بالمسألة البوليفية. إنها شديدة التقلص: اربعة أشخاص بمن فيهم بينيرو نفسه، ونقيبان (منهم «آرييل» الذي سنجده في رسائل «مانيلا») وملازم «لينو». كلهم كانوا على تفاؤل لا يتزعزع. «التشي يعرف ما يفعل ويفعله جيداً».

مع مرور السنوات أصبح بامكاني التحقق من أن خبرتي البوليفية ليست كما اعتقدتها آنذاك، حيث كنت على يقين ساذج بأني في الجهاز الثوري الكوبي مجرد حبة رمل، حصاة صغيرة منفردة بين حجارة

عديدة. فجملة: «ماسبيرو يذهب إلى هذه» لم تعد بالنسبة لي غير لائقة، بصورة غامضة، فهي قد ارتدت الآن معنى أكثر تفاهة وأكثر ماساوية على حد سواء. والنواة الكوبية التي كانت تهتم بالعملية البوليفية والتي ظلت متكئة على قناعاتها، ثابتة في اكتفائها، لم يكن عندها عملياً، وسائل استخبار وجمع معلومات ـ بضعة صحافيين أصدقاء كان يمكن تعدادهم على أصابع يد واحدة ـ لمتابعة الوضع ميدانياً والاخبار عنه. وأنا أيضاً لم اكن بيدقاً بين العديد من البيادق بل كنت في إحدى اللحظات، البيدق بالذات. لقد تُرك التشي وحيداً في مواجهة الموت، سواء كان ذلك عن قصد أم كان فقط عن مجرد اهمال.

*

ان نبأ موت التشي قد قوبل، في البدء، بعدم التصديق العام، نظراً للقوة التي كانت تتمتع بها أسطورة استحالة النيل منه. كان على فيديل كاسترو، بالذات، ان يعلن النبأ من مذياع راديو ـ هافانا ويدعو الشعب إلى سهرة جنائزية في ساحة الثورة كي يتأكد المشككون بصحة النبأ. وقد أطلق في هذه السهرة الموضوعات التي سوف ترسم، منذ ذلك الحين، صورة التشي في الايقونوغرافية الثورية: «القضية التي قضى التشي في سبيلها هي قضية الدفاع عن الوضعاء... لقد صار التشي نموذجاً للانسان. رفع إلى أعلى مدى التعبير عن الصلابة الثورية، وروح الفداء، والكفاحية، وعشق العمل الثوري. رفع افكار الماركسية ـ اللينينية إلى تعبيراتها الأكثر اصالة، والأكثر نقاءً، والأكثر ثورية. لم يكن في قلبه وفي ذهنه اعلام، ومظالم، وتعصب قومي، وانانية...» لقد فشل التشي في خلق انسان جديد، لكنه في تجليه بالموت أصبح نفسه، وبصورة دائمة هذا الانسان الجديد.

انتشرت الضجة فوراً عن وجود يوميات خاصة على جثمانه. وقد تضاربت التخمينات عن مضمونها في كل وكالات الأنباء في العالم. روايات مجلجلة يكاد لا يخالجها الشك. وتحولت أيضاً لاباز طوال صيفها الجنوبي إلى مسرح يذهب ويعود منه المبعوثون القادمون للتفاوض مع السلطات البوليفية على شراء اليوميات. وعرض ناشرون دفع مبالغ طائلة. أما في الواقع فان يوميات التشي وصلت إلى أيدي فيديل بواسطة وزير الداخلية

البوليفي الذي كان قد «بدل موقعه» في هذا الوقت ولجأ إلى هافانا.

سيرى القارىء أن هذا النص لا يتضمن أية اعترافات سوى تسجيل مسيرة طويلة لرجل يجمع بين نكساته وايمانه، بين الاعتراف بهزائمه ويقينه بالنصر.ولن يستطيع أحد القول، طي هذه اليوميات، ان التشي جاء إلى بوليفيا لينتحر. لكن لن يستطيع أحد، أيضاً، ان يؤكد انه لم ير الموت آتياً. يتساءل ريجيس دوبري بقوله: في اية لحظة، قرر التشي أن ينتهي ربما كان الجواب قد سبق وجاء في آخر جملة من رسالته إلى منظمة تضامن القارات الثلاث: «لا يهم اين يفاجئنا الموت، مرحباً به، شرط أن تسمع صرخة الحرب التي نطلقها...».

لدى قراءة هذا النص ينبغي أن يكون حاضراً في الذهن ما نعرفه اليوم عن الطريقة التي كان يكتب فيها التشي هذا النوع من «اليوميات» ومعروف انه عمد إلى طريقة مماثلة في أول رحلة له عبر أميركا، وفي خلال حرب العصابات الكوبية، واثناء الحملة الافريقية؛ ملاحظات مقتضبة في مفكرة، كما هي هنا. وكان يستخدمها منطلقاً لكتابة سيرة متماسكة ـ كما جرى، مثلاً، بالنسبة لـ«**ذكريات عن الحرب الثورية**». المفكرة، إذن، لا تشكل مذكرات على الاطلاق، إنها ليست سوى رؤوس اقلام لمذكرات. فكل ما يمكن أن ينسى مذكور، وكل ما يمكن ان يشكل معلماً مدون. وفي المقابل لا يوجد فيها اي اعتبارات استراتيجية لان هذه الاخيرة ماثلة تماماً في ذهن المؤلف بحيث لم يكن بحاجة ليذكر نفسه بها. وهذا هو السبب في الانطباع الذي يمكن أن يتكون من قراءة هذه اليوميات عن الانطواء على الذات، وعدم الاكتراث بكل ما هو غير مسيرة الفريق الصغير ومحيطه المباشر. ولا يوجد فيها أيضاً، للاسباب ذاتها، اعتبارات وجدانية ـ لذا جرى الكلام عن «نشافها». لكننا نعرف أنه ذكر في آخر ما نطق من كلمات اسم زوجته اليدا: أما هنا فلا اثر لذلك.

*

لم التق من جديد ـ وللمرة الاخيرة ـ بفيديل كاسترو إلا في بداية أيار (يوليو) ١٩٦٨. لقد استدعاني إلى هافانا ليطلعني على يوميات التشي ويعطيني نسخة منها. كان يرغب في أن يصدر الكتاب بعدة لغات في آن معاً، وينشر في أرجاء المعمورة كلها وفي آجال سريعة جداً. لكنه كان

يرفض على الاطلاق السماح باخراج الكتاب من كوبا ويطالب بأن تتم الترجمة فيها. وجاءت فانشيتا غونزالس باتلي التي سبق وترجمت نصوصاً عديدة هامة للتشي، من باريس، للقيام بهذه المهمة وفي رفقتها فرانس بينار. كان الوقت المفروض ثمانية أيام ظلت فيها المترجمتان معزولتين في منزل بحراسة عسكرية، وكان القائد بنييرو يأتي بنفسه ليراقب، في ساعات الليل الأولى، تقدم العمل.

لم يعدل النص المنشور. وهو يحافظ على الأخطاء التي ارتكبها التشي في كتابة تعابير محلية ـ هكذا يمكن، على سبيل المثال، قراءة ناكاهووازو، نكاهووازي، وأخطاء بسيطة مماثلة في الأمكنة وأسماء العلم، إلى بعض التقريبية في الترجمة بسبب ظروف العمل الخاصة، ذلك ان كل ذلك أصبح جزءاً من التاريخ، والنص في حالته هو وثيقة تاريخية(٢٣).

في هذه الأمسية من شهر أيار (مايو) ١٩٦٨ التي امضيتها برفقة فيديل في إحدى **استراحاته** كانت الأخبار ترد بغزارة. وللصدق في القول، فان ما كان يهم قائد الثورة الكوبية منها، لا بل ما يشده تماماً، هو تلك المتعلقة بحصاد قصب السكر الجاري اعداده. كان يتصل بالهاتف إلى كل النقاط الحساسة في الجزيرة. ذلك انه في أحد انقلاباته العديدة والمدهشة، أدار ظهره لتنويع الاقتصاد، وأعلن في بداية العام «حصاد» القرن، أي الحصاد الأكبر غير المسبوق. كان الهدف المحدد عشرة ملايين طن، ما يوازي ضعفي الحصاد المحقق في السنة السابقة. وقد تم ارسال جميع العمال المتوافرين في المدن إلى الحقول. هذه المرة سيجد الاقتصاد الكوبي الدافع لانطلاقه. ومعلوم ان هذا المشروع غير الواقعي انتهى إلى اخفاق تام، وترك البلاد عليلة تواجه المصير المخيف: التبعية للاتحاد السوفياتي.

---

(٢٣) لقد أضيف إلى النص، رغم ذلك، الايام السبعة عشر التي لم تكن في الطبعات السابقة. في الواقع هذه لم تكن موجودة في المسودة التي نقلها إلى كوبا وزير الداخلية البوليفي ارغيداس. وهي قد أصدرها فيما بعد ناشر اميركي مكلف عادة باصدار نصوص ترى وكالات الاستخبارات الاميركية مصلحة فيها، وقد نقلتها صحف أميركا اللاتينية، والترجمة المنشورة هنا مأخوذة عن النص المنشور في المجلة التشيلية، بوانتو فينال، الصادرة في سانتياغو، تشيلي، ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٦٨. وهو يتعلق بالايام التالية: ٤، ٥، ٨، ٩ و١٦ كانون الثاني (يناير) و٨ و٩ شباط (فبراير) و١٤ آذار (مارس) و٤ و٥ و٢٠ نيسان (ابريل) و٩ و١٠ حزيران (يونيو) و٤ و٥ و٢٦ تموز (يوليو) و٢٠ آب من عام ١٩٦٧.

كانت الاخبار الاخرى ترد من باريس ومن براغ. كنت قادماً من فرنسا التي قال عنها بصورة رائعة بيير فيانسون ـ بونتي، في جريدة «**لوموند**» انها «تضجر» وقد فشلت في شرح الآمال التي يمكن أن تنجم الانفجار الطلابي الذي ما كان يصلني عنه إلا اشارات. لقد علق فيديل على ذلك بقوله: العالم يغدو مجنوناً.. وكان واضحاً ان الحرية التي يطالب بها الرافضون في أيار (مايو) ١٩٦٨ ليست حريته، وعالم الغد الذي يتوقون إليه ليس عالمه. أما بخصوص «الاشتراكية ذات الوجه الانساني» التي كانت تحاول الانبعاث في براغ فان فيديل كان أصمَّ تماماً ازاءها، ولم تنل منه تلك الليلة إلا السخرية. وبعد شهرين أيد التدخل السوفياتي.

كانت صورة التشي، رسم كوردا، تنتشر معلقة في كل أرجاء هافانا، كما ستنتشر وتعلّق في كل أرجاء المعمورة. لقد انطلق التجلي، وربما التشويه.

فرانسوا ماسبيرو، تموز (يوليو) ١٩٩٥

ترجمة الناشر

مقدمة لا بد منها

بقلم : الدكتور فيديل كاسترو

كان من عادة «تشي»، في حياته كمحارب، أن يدوّن ملاحظاته اليومية بكل عناية واهتمام. وخلال المسيرات الطويلة، في الأراضي الوعرة الصعبة، وفي الغابات الرطبة، وعندما كانت قافلة الرجال، وقد ناءت ظهورهم بعبء حقائبهم وذخائرهم وأسلحتهم... تتوقف للاستراحة، أو عندما كان الرتل يتلقى أمراً بالتوقف لإقامة المخيم في نهاية نهار مضن... كنا نستطيع أن نرى تشي ـ كما سماه الكوبيون بكل مودة منذ الأوقات الأولى ـ وهو يُخرج دفتراً ويسجل فيه ملاحظاته بخط الطبيب الذي تصعب قراءته لصغر حروفه.

إن ما استطاع حفظه من مذكراته ساعده فيما بعد على كتابة ذكرياته التاريخية البديعة عن الحرب الثورية في كوبا، الغنية بمحتواها الثوري والتربوي والإنساني. ونحن في هذه المرة، وبفضل تلك العادة التي لم يتخل عنها، عادة تسجيل الأحداث البارزة في كل يوم، نمتلك معلومات مفصلة في غاية الدقة، معلومات ثمينة عن الأشهر البطولية الأخيرة من حياته في بوليفيا.

إن هذه اليوميات التي لم تكتب في الحقيقة كي تُنشر، كانت تفيده

كادوات عمل للحكم باستمرار على الأحداث والحالات والأفراد، وكانت تتيح له إطلاق العنان لفكر الناقد الثاقب. وقد كُتبت بشكل بسيط، وهي تشكل، من البداية حتى النهاية، كلاً متناسقاً كل التناسق.

ويجب ألاّ ننسى أنها قد كُتبت في لحظات الراحة النادرة. وفي زحمة جهد جسدي، وكفاح بطولي يفوق طاقة البشر، كُتبت في وسط التزاماته المضنية كرئيس لمجموعة المحاربين، في المرحلة الصعبة من بداية نضال قام في ظروف مادية، بلغت من القسوة مبلغاً لا يُصدّق: وهذا ما يكشف النقاب مرة أخرى عن طريقته في العمل، وعن إرادته الحديدية.

ويُبرز «تشي» في هذه اليوميات، وفي سياق تحليله المفصّل لحوادث كل يوم، الأخطاء والانتقادات والمآخذ التي تلازم بشكل حتمي نمو الحرب الثورية.

إن مثل هذه الانتقادات، لا يمكن أن تكون سوى السجل اليومي للفصيلة المحاربة، وخاصة في مرحلة لا تزال فيها هذه الفصيلة مجرّد نواة صغيرة: فهي ملزمة بمجابهة شروط مادية في غاية الصعوبة، وعدو متفوق عددياً.. وقد يقود أقل إهمال وأبسط خطأ إلى الهلاك، وعلى القائد أن يكون متشدداً كلياً، وأن يستفيد من كل واقعة ومن كل حادثة، مهما بدت ضئيلة، لإعداد المقاتلين والكادرات المقبلة لفصائل المحاربين الجديدة.

يتطلب تشكيل العصابات التوجه باستمرار إلى شرف كل فرد وضميره، وقد كان «تشي» يعرف كيف يستثير الأوتار الحساسة للثوريين.

عندما وجه الملامة مرات متتالية إلى ماركوس، وهدد هذا الأخير بالفصل من المجموعة المحاربة، صرخ قائلاً: اقتلوني رمياً بالرصاص قبل أن تفعلوا ذلك! وثم وهب ماركوس حياته بكل بطولة... وكان الرجال الذين محضهم ثقته... ثم اضطر، ذات يوم، لسبب أو لآخر، إلى تقريعهم، يسلكون المسلك نفسه. كان قائداً أخاً، وإنساناً، ولكنه كان يعرف أيضاً، كيف يتشدد ويقسو حينما يتطلب الأمر ذلك.. وكان قاسياً صلباً مع نفسه إلى أقصى الحدود وأكثر مما كان مع الآخرين. لقد أقام «تشي» الانضباط على أساس الوجدان الأخلاقي للمحارب، وعلى القوة العظيمة النابعة من

ذاته كمثال وقدوة.

يتحدث أحياناً عن دوبريه في يومياته: فيكشف عن مدى الشجن الذي سببه له توقيف واعتقال الكاتب الثوري، الذي كان قد عهد إليه بمهمة في أوروبا، على الرغم من أنه تمنى في أعماق قلبه بقاءه في حرب العصابات. ولهذا فإنه يُظهر بعض التردد، وأحياناً بعض الشكوك، في حكمه على سلوكه.

إن «تشي» لم يتمكن من معرفة الملحمة التي عاشها دوبريه بين مخالب أجهزة القمع، ولم يتمكن أيضاً من معرفة موقفه الحازم الشجاع أمام أولئك الذين قاموا بتوقيفه وتعذيبه.

ومع ذلك، فقد أشاد بالأهمية السياسية الهائلة لمحاكمته، وكتب في يومياته في الثالث من تشرين الأول، أي قبل ستة أيام من موته، وفي وسط وضع متوتر ومرير: «لقد سمعنا عن مقابلة مع دوبريه، وكان شجاعاً للغاية في مواجهته لطالب قد استفزه»، وكانت هذه الكلمات بمثابة آخر إشارة إلى الكاتب.

ولما كانت هذه اليوميات، تشير مرات عديدة إلى علاقات الثورة الكوبية بحركة العصابات، فقد يزعم بعضهم أننا، حينما نقوم بنشرها، نقوم بعمل استفزازي من شأنه أن يزود أعداء الثورة والامبرياليين اليانكيين وحلفاءهم، طغاة أميركا اللاتينية، بالذرائع لتعزيز خططهم المستهدفة محاصرة كوبا، وعزلها، والاعتداء عليها.

ومن الخير أن نذكّر أولئك الذين يطلقون مثل هذه الاحكام، بأن الإمبريالية اليانكية لم تكن في ذات يوم من الأيام بحاجة إلى تبريرات للقيام بأعمالها المشينة في أي مكان من العالم، وبأن جهودها من أجل سحق الثورة الكوبية قد بدأت مع صدور القانون الثوري الأول في بلادنا، للسبب الواضح البيِّن المعروف، وهو أن هذه الإمبريالية تقوم بدور الحارس للرجعية العالمية، وهي المحرك الأساسي للثورة المضادة، وحامية البنى الاجتماعية المتأخرة واللاإنسانية القائمة في العالم.

قد تتخذ من التضامن مع الحركة الثورية ذريعة، ولكنه لن يكون أبداً سبب الاعتداءات اليانكية. إن نفي التضامن الأممي لانتزاع الذريعة من الإمبريالية، ما هو إلا سياسة نعامة مضحكة وغريبة تماماً عن الطابع الأممي للثورات الاجتماعية المعاصرة، كما ان الانقطاع عن التضامن مع الحركة الثورية، لا يعني انتزاع الذريعة من الإمبريالية اليانكية، وإنما يعني، في الواقع، التضامن معها، ومع سياستها التي تستهدف السيطرة على العالم واستعباده.

إن كوبا بلد صغير، واقتصادها متخلف، شأنها في ذلك، شأن جميع البلدان التي سيطر عليها الاستعمار والإمبريالية واستغلالها طيلة قرون عديدة. وهي كائنة على بعد ٩٠ ميلاً عن الولايات المتحدة، وللأخيرة قاعدة بحرية في أراضيها... وهي تواجه عقبات عديدة في سعيها لتحقيق نموّها الاقتصادي والاجتماعي.

ولقد أحدقت أخطار كبيرة بوطننا منذ انتصار الثورة،ولكن الإمبريالية، لم تتوصل أبداً إلى اخضاعه، ونحن لا نُقيم وزناً كبيراً للمصاعب التي يجرّها علينا انتهاج خط ثوري صحيح.

أما من وجهة النظر الثورية، فإن نشر يوميات «تشي» في بوليفيا، أمر لا يحتمل لتردد لحظة واحدة. فقد وقعت يوميات تشي في أيدي باريانتوس، الذي أسرع إلى تقديم نسخة عنها إلى المخابرات المركزية الاميركية، وإلى البنتاغون، وإلى حكومة الولايات المتحدة. وقد استطاع بعض الصحافيين المرتبطين بالمخابرات المركزية الاميركية، سبيلاً إلى الحصول على هذه اليوميات في بوليفيا ذاتها، وصوروها متعهدين بالامتناع عن نشرها في الوقت الحاضر.

إن لدى حكومة باريانتوس وكبار القادة العسكريين، أسباباً كثيرة لطي هذه اليوميات، التي تتيح لنا أن نلمس مدى العجز الكلي الذي يعاني منه الجيش البوليفي، وكذلك الهزائم العديدة التي مني بها على أيدي قبضة من المحاربين المصممين الذين استطاعوا، في بضع أسابيع فقط من القتال، أن

ينتزعوا منه قرابة مائتي قطعة من السلاح.

إضافة إلى ذلك فإن «تشي» يصف بارينتوس ونظامه بعبارات بلغت من الصحة والدقة مبلغاً سيخلّدها التاريخ إلى الأبد، وقد كان للإمبريالية أسبابها الخاصة: فـ «تشي» ومثاله الفذ، يزدادان قوة في العالم يوماً فيوماً. إن أفكاره.. والصورة المرسومة عنه، واسمه، ونضاله ضد المظالم التي يتعرّض لها المضطهدون والمستَغَلون، تثير اهتماماً وتعاظماً قوياً لدى الطلبة والمثقفين في العالم أجمع.

ففي الولايات المتحدة نفسها، رفعت الحركة السوداء والطلاب التقدميون.. صورة «تشي»... ورفعت صورة في التظاهرات النضالية الكبرى من أجل الحقوق المدنية، وضد العدوان على فييتنام... وكأنها شعارات المعركة. لم يكشف التاريخ لنا إلا نادراً، إن لم يكن أبداً، عن صورة واسم ومثال، فرضت نفسها على البشرية بهذه السرعة الكبيرة، وبهذه القدرة العظيمة. ذلك لأن «تشي» يجسّد الروح الأممية التي تميز عالم اليوم وأكثر منه عالم الغد... في شكل هو أكثر أشكالها صفاء وطهارة.

ومن تلك القارة المضطهدة، حتى الأمس القريب، على أيدي الدول الاستعمارية، والتي تستغلها، حتى اليوم، الإمبريالية اليانكية، وتُبقيها في حالة من التأخر والتخلف الظالم الرهيب، ينتصب هذا الوجه العجيب فيحمل النضال الثوري، عاصفة شاملة حتى إلى قلب العواصم الإمبريالية والاستعمارية.

إن الإمبرياليين يخشون قوة هذا المثال وكل ما يساعد على تعريفه... إن ما منعهم حقاً من نشر هذه اليوميات... هو قيمتها الأساسية: وأعني في كونها تعبيراً حياً عن شخصية عجيبة، ودرساً في حرب العصابات، كُتب بحرارة وتوتر كل يوم، وبرميلاً من البارود، وبرهاناً حقيقياً على أن الإنسان الأميركي ـ اللاتيني، ليس بالإنسان العاجز أمام أولئك الذين يستعبدون الشعوب، وأمام جيوشهم المرتزقة.

وقد لا يكون من مصلحتهم أيضاً، كشف النقاب عن الثوريين ـ

المزيفين، والانتهازيين والدجالين من كل الأنواع، الذين يعتبرون أنفسهم ماركسيين وشيوعيين ويتباهون بالكلام، والذين لم يترددوا في الحكم على «تشي» بأنه قد أخطأ، وأنه ليس سوى مغامر، أو مثالي، في نظر أولئك الذين يبدون أقل تهجماً، وما موته سوى اختصار النضال الثوري المسلح في أميركا اللاتينية... يقولون: «إذا كان «تشي»، وهو أعظم مدافع عن هذه الأفكار والمحارب المجرِّب، قد سقط قتيلاً في حروب العصابات، ولم تحرر حركته بوليفيا.. فإن ذلك يدل على مدى توغله في الطريق الخاطىء!..».

كم من الأشقياء فرحوا لموت «تشي»، دون أن يحمرّوا خجلاً، من أن تكون مواقفهم وتعليلاتهم، متفقة كلياً مع مواقف الطغاة الممعنين في الرجعية، كما تتفق مع الإمبريالية!

وهكذا، فإنهم يبررون أنفسهم، أو يبرِّرون القادة الخونة، الذين لم يترددوا، في لحظة معينة، من تبني النضال المسلح، بينما كانت نواياهم الحقيقية، كما تأكد ذلك فيما بعد، تستهدف تدمير مجموعات المحاربين، وإعاقة العمل الثوري، وفرض حلولهم السياسية المخجلة والمضحكة، لكونهم عاجزين كلياً عن انتهاج خط آخر... وهكذا، فإنهم يجدون المسوغات لأولئك الذين لا يريدون القتال، والذين لن يقاتلوا من أجل الشعب ومن أجل تحريره، لأولئك الذين شوهوا الأفكار الثورية، وحوّلوها إلى أفيون مذهبي، لا يقدم للجماهير لا مضموناً ولا رسالة، لأولئك الذين حولوا منظمات الشعب النضالية إلى أدوات للتفاهم مع المستغلين في الداخل والخارج، إلى أدوات للدفاع عن سياسات بعيدة كل البعد عن المصالح الحقيقية للشعوب المستَغَلة في هذه القارة.

لقد اعتبر «تشي» موته في المعركة شيئاً طبيعياً ومحتملاً، وقد اجتهد، خاصة في كتاباته الأخيرة، بإبراز هذا الحدث، ألا وهو أن موته لا يوقف المسيرة الحتمية للثورة في أميركا اللاتينية. وقد أكد، مرة أخرى، ما كان يؤمن به في رسالته إلى مؤتمر القارات الثلاث: «إن عملنا كله هو صرخة حرب ضد الإمبريالية... وأهلاً وسهلاً بالموت أينما فاجأنا، شرط أن تُسمع صرختنا هذه، وتمتد يد أخرى لتحمل سلاحنا...» لقد اعتبر نفسه

جندياً في الثورة، ولم يكن يهتم على الإطلاق بالحفاظ على حياته. إن أولئك الذين يرون، في نهاية نضاله في بوليفيا، فشلاً لأفكاره، يستطيعون، بنفس هذا التفكير الساذج، أن ينكروا قيمة أفكار وكفاح جميع المناضلين والمفكرين الثوريين العظام الذين سبقوه.. بمن فيهم مؤسسو الماركسية، الذين لم يتمكنوا من إنجاز رسالتهم وتأمُّل ثمار جهودهم النبيلة قبل مماتهم.

وفي كوبا لم يمنع مصرع مارتي أو ماسييو في ساحة القتال... وما أعقب ذلك في نهاية حرب الاستقلال، من تدخل يانكي... وموت مدافعين رائعين عن الثورة الاشتراكية مثل جوليو انطونيو ميلا، الذي اغتاله عملاء الإمبريالية، لم يمنع هذا كله، وعلى المدى الطويل، انتصار حركة بدأت منذ مائة عام... ولن يستطيع أي شخص على الإطلاق أن يشكك في العدالة الخالصة للقضية التي كافح من أجلها هؤلاء المناضلون السابقون، أو في صحة أفكارهم الأساسية التي ألهمت على الدوام الثوريين الكوبيين.

إن يوميات «تشي»، تتيح لنا، بفضل الملاحظات الواردة فيها، أن نقدِّر كم كانت إمكاناته في النجاح حقيقية، وكم كانت عجيبة القدرة الانقلابية لحرب العصابات. وأمام الأعراض الأكيدة لضعف النظام البوليفي، وانهياره السريع، كتب يقول: «إن الحكومة تنهار بسرعة... لو كنا نمتلك في هذه اللحظة مائة رجل إضافي!».

وكان «تشي» يعرف، بحكم تجربته الكوبية، عدد المرات التي كانت فيها مجموعتنا الصغيرة الثائرة على وشك أن تباد. ولو حدث ذلك، لكان مرده الوحيد تقريباً، الصدف وظروف الحرب الصعبة... ولكن هل كان ذلك يعطي الحق لأي إنسان في اعتبار خطنا، خطأ خاطئاً.. وتقديمه كمثال من شأنه إخماد الثورة وحمل الشعوب على الشعور بالعجز؟

إن التاريخ مليء بالحركات الثورية التي منيت بالفشل، مرات عديدة، وفي كوبا نفسها، ألم نعش تجربة المونكادا، قبل ست سنوات تقريباً من الانتصار النهائي لنضال الشعب المسلح؟ لقد اعتبر الكثيرون بين السادس والعشرين من تموز ١٩٥٣، موعد الهجوم على ثكنة مونكادا، في سنتياغو كوبا، والثاني من كانون الأول ١٩٥٦، موعد النزول في «غرانما»، أن

النضال الثوري لا أمل له على الاطلاق في وجه جيش عصري، حسن التجهيز، وأن عمل حفنة من المقاتلين ليس سوى مجرد وهم من أوهام المثاليين وأصحاب الرؤى البعيدة، الذين «يخطئون بشكل عميق».

وجاءت الهزيمة الساحقة، التي مُنيت بها المجموعة الثائرة غير المحنكة، وتشتتها الكامل في الخامس من كانون الاول ١٩٥٦، ليؤكد كلياً صحة هذه التنبؤات المتشائمة. ولكن بعد مضي ٢٥ شهراً فقط... اكتسب ما بقي من هؤلاء المقاتلين القوة والتجربة الضروريتين لسحق هذا الجيش.

سيكون هناك دوماً المزيد من الذرائع... في كل الحقبات، وفي شتى الظروف، للامتناع عن القتال... ولكن هذا الموقف سيكون دوماً الطريق الوحيد الذي لا يقود إلى الحرية. إن «تشي» لم يعش ليرى صحة أفكاره ولكنه أخصبها بدمه. وإنه لمن المؤكد أن منتقديه الثوريين المزيفين... بجبنهم السياسي وافتقارهم الابدي إلى العمل... سيعيشون حتى يلمسوا حقيقة تفاهتهم الخاصة.

ومما له مغزاه، أن يدّعي أحد نماذج هؤلاء الثوريين، الذين يظهرون كل يوم في اميركا اللاتينية ـ أعني به ماريو مونجي، الذي كان يحمل، كما سنرى في اليوميات، لقب سكرتير الحزب الشيوعي البوليفي ـ أن من حقه انتزاع القيادة السياسية والعسكرية للحركة من «تشي». ولما كان قد التزم بالتخلي عن منصبه في وسط الحزب، في سبيل استلام القيادة المذكورة... فقد بدا له أن مجرد شغله هذا المنصب يعطيه حق المطالبة بهذا الامتياز. وبالطبع، لم يكن ماريو مونجي يمتلك أية تجربة في حرب العصابات، وهو لم يقاتل على الإطلاق... وعندما اعتبر نفسه شيوعياً فهو لم يشعر، ذات يوم، أن من واجبه تجاوز الشوفينية الحقيرة والدنيوية لمقاتلي الاستقلال الاول، كما عرف ذلك المناضلون السابقون. لقد بقي «قادة شيوعيون» من هذا النوع ويمثل هذا المفهوم للنضال المعادي للإمبريالية في هذه القارة، دون المستوى الاممي الذي تميزت به القبائل الوطنية، في صدها لغزو

المستعمرين الأوروبيين.

ها هو ذا إذاً زعيم الحزب الشيوعي في بلد يحمل اسم بوليفيا، وتحمل عاصمته التاريخية اسم «سوكر» على شرف محرريها الأولين، وكلاهما من فنزويلا... كان يستطيع أن يعتمد من أجل تحرير شعبه نهائياً، على مساعدة الموهبة السياسية والعسكرية لعملاق ثوري حقيقي، لم تكن قضيته مطلقاً محصورة ضمن الحدود الضيقة والمصطنعة وحتى الظالمة لهذا البلد... ولكنه لم يجد شيئاً أفضل من الدخول في مطالبات مخجلة وغير صحيحة... في سعيه لاستلام القيادة.

لا تملك بوليفيا أي منفذ على البحر... وحتى تتحرر وتنجو من حصار رهيب، فإنها في حاجة أكثر من أي بلد آخر، إلى انتصار الثورة لدى جاراتها... وكان في نفوذ «تشي» الواسع وإمكاناته وتجاربه... ما جعل منه حقاً الإنسان المهيأ تماماً لدفع حركة التحرر فيها. وقبل أن يتم الانشقاق في الحزب الشيوعي البوليفي، أقام «تشي» علاقات مع بعض قادته ومناضليه، وطلب منهم مساعدة الحركة الثورية في أميركا اللاتينية. وعمل معه بعض هؤلاء المناضلين، وبترخيص من الحزب في مهام مختلفة طيلة سنوات عديدة.

وقد أوجد الانشقاق في الحزب وضعاً خاصاً... وتوزع المناضلون الذين تعاونوا معه بين الفريقين. ومع ذلك فإن «تشي» لم يكن يعتبر النضال في بوليفيا حدثاً معزولاً، وإنما جزءاً من حركة التحرر الثورية... التي لن تتأخر في الامتداد إلى البلدان الأخرى من أميركا الجنوبية. وكان ينوي تنظيم حركة مجرّدة من كل روح انعزالية، تعبّىء جميع أولئك الذين يريدون النضال من أجل تحرر بوليفيا، وجميع الشعوب الخاضعة للإمبريالية في أميركا اللاتينية. ولكنه كان مرتبطاً في المرحلة الأولية من إعداد قاعدة حرب العصابات، بشكل أساسي، بمساعدة جماعة من الأعوان الشجعان والكتومين الذين بقوا في حزب مونجي أثناء الانشقاق. وهكذا، واحتراماً لهؤلاء، فقد دعا أولاً مونجي للقدوم إلى زيارته في المعسكر، رغم أنه لا يميل إليه بشكل خاص. ودعا بعد ذلك أيضاً موازيس غيفارا وهو زعيم نقابي لعمال المناجم، وزعيم سياسي قطع صلاته بالحزب

الشيوعي، ليشارك في إيجاد تنظيم آخر، ثم ابتعد عن هذا التنظيم أيضاً بعد أن اختلف مع أوسكار زامورا.. كان زامورا شبيهاً بمونجي فقد التزم هو أيضاً من قبل أمام «تشي» بالعمل على تنظيم النضال المسلح في بوليفيا، ولكنه بدلاً من الوفاء بالتزاماته... وقف مكتوف اليدين بشكل خسيس... حين دقت ساعة العمل.. وقد أصبح فيما بعد، وبعد موت «تشي» أحد نقّاده وأكثرهم حقداً عليه... باسم «الماركسية ـ اللينينية».

أما موازيس غيفارا فقد التحق بـ «تشي» دون تردد، ليقدم له دعمه الذي كان قد عرضه عليه قبل قدومه إلى بوليفيا، وقد وهب حياته ببطولة من أجل القضية الثورية.

وحذت حذوه مجموعة المحاربين البوليفيين، الذين بقوا حتى ذلك الوقت في تنظيم مونجي.. وكان يقودهم أنتي وكوكو بيريدو، اللذان برزا فيما بعد، كمقاتلين شجاعين ومرموقين... إنفصل هؤلاء عن الحزب وساندوا «تشي» بكل تصميم... ولكن مونجي استاء من هذه النتيجة، فكرس جهده لتخريب الحركة، وذلك بتوقيف المناضلين الشيوعيين المدربين في لاباز، وكانوا على وشك الالتحاق بالمحاربين. إن هذا يبين لنا وجود رجال مستعدين كل الاستعداد للقتال في الصفوف الثورية، ثم لا يلبثون أن يجدوا أنفسهم وقد انحرفوا بشكل إجرامي، نتيجة لمناورات القادة العاجزين... الدجالين.

لم يكن «تشي» يكنُّ أي اهتمام شخصي بالمناصب والقيادات وحفلات التكريم، ولكنه كان يؤمن إيماناً حازماً، بأن القيادة العسكرية والسياسية في النضال الثوري المسلح ـ حرب العصابات وهي شكل أساسي للعمل من أجل تحرر شعوب أميركا اللاتينية نظراً للوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي السائد في جميع بلدان القارة ـ يجب أن تكون موحدة... كما أن النضال لا يمكن قيادته إلا من خلال حرب العصابات، وليس من مكاتب بيروقراطية مريحة في المدن. ولم يكن حول هذه النقطة بالذات، مستعداً لأن يتنازل قيد أنملة، كما لم يكن مستعداً لأن يعهد إلى دماغ فارغ لا تجربة له، ونظرته ضيقة وشوفينية، بقيادة نواة من المحاربين الثوار، مهيأة للقيام بنضال واسع في أميركا اللاتينية، حالما تتعزز صفوفها. كان

«تشي» يعتبر أن لا بد من مكافحة هذه الشوفينية المنتشرة أحياناً بين العناصر الثورية في بلدان مختلفة من أميركا اللاتينية، كعاطفة رجعية مضحكة وعقيمة. وقد قال في رسالته إلى مؤتمر القارات الثلاث: «يجب أن ننمي أممية بروليتارية حقيقية... بحيث يمسي العلم الذي نناضل تحت ظله، القضية المقدسة لخلاص البشرية، وبشكل يصبح فيه الموت، تحت شعارات فييتنام أو فنزويلا أو لاووس أو غينيا أو بوليفيا ـ إن لم نرد سوى ذكر المسارح الحالية للنضال المسلح ـ مشرّفاً ومرغوباً فيه. سواء بالنسبة للأميركي أو الآسيوي أو الافريقي وحتى للأوروبي. إن كل نقطة دم تهرق على أرض، وتحت علم لم تولد تحته... هي تجربة ثمينة للمناضل الذي عاشها، من شأنها أن تساهم في تحرير موطنه الاصلي. وإن كل شعب يتحرر... مرحلة تكسب في المعركة لصالح تحرير شعب آخر».

وكان «تشي» يعتقد أيضاً أن المجموعة الثائرة، يجب أن تضم محاربين من مختلف البلدان الاميركية ـ اللاتينية، وأن حرب العصابات في بوليفيا يجب أن تكون مدرسة للثوريين. يقومون فيها بالتدريب على القتال، وقد رأى أيضاً أن تقوم بمساعدته في هذه المهمة إلى جانب البوليفيين، نواة صغيرة من المحاربين المجربين، الذين كانوا تقريباً جميعاً، من رفاقه في السييرا ماسترا أثناء النضال الثوري الكوبي، وكان يقدر كفاءتهم ومقدرتهم وحبهم للتضحية. لم يتردد أي منهم في الاستجابة لندائه، ولم يتخل عنه أحد، ولم يستسلم كذلك أحد.

لقد قاد «تشي» المعركة في بوليفيا بعناد، ومهارة، وثبات جنان، وسلوك مثالي، أصبح مضرب المثل. ونستطيع القول إنه، ولإدراكه العميق لأهمية الرسالة التي ارتضاها لنفسه، قد تصرف، في كل لحظة، بروح خالصة من المسؤولية لا يرقى إليها اللوم. وعندما ارتكب المحاربون الثائرون بعض الإهمالات، هب لتحذيرهم ومعالجة هفواتهم، وذكر ذلك في يومياته.

تشابكت مجموعة عجيبة من العوامل المادية ضده. وطال الانفصال الذي ظن أنه لن يتجاوز أياماً قصيرة معدودة، إنفصال قسم من

المحاربين الاكفاء، كان بعضهم مريضاً أو قيد النقاهة... طال شهوراً لا تنتهي... كرس خلالها «تشي» كل جهده للبحث عنهم... ذلك لان الاتصال بين المجموعتين قد قطع في أرض وعرة للغاية... وفي تلك الفترة، هاجمه مرض الربو الذي اعتاد على تهدئته بأدوية بسيطة للغاية... والذي كان يتحول إلى عدو مخيف حالما تنقصه المسكنات، هاجمه بلا رحمة، وأصبحت المشكلة خطيرة بعد أن اكتشف العدو الأدوية التي قام بتخزينها للمحاربين على سبيل الحيطة... وكان لهذا الحدث، كما كان لإبادة مجموعة المحاربين في نهاية آب والتي فقد الاتصال بها، اهمية اساسية في مجرى الاحداث. ولكن «تشي» سيطر على الالم الجسدي بإرادة فولاذية، ولم يضعف ذلك من عمله، أو يقلل من شجاعته.

كانت اتصالاته بالفلاحين البوليفيين عديدة... ولم تكن طباع هؤلاء، المتوجسة الحذرة، لتفاجىء «تشي»، الذي كان يعرف تماماً عقليتهم، لكونه قد عاشرهم في مناسبات أخرى. كان يدرك أن من الضروري قيادة عمل طويل وصعب وصبور في سبيل كسبهم إلى جانب قضيته، ولم يتطرق الشك مطلقاً إلى نفسه في أنه لن يتوصل إلى تحقيق غايته مع مرور الزمن. ولو تابعنا بانتباه مجرى الأحداث، لرأينا أن حرب العصابات حافظت، حتى في شهر ايلول، اي قبل بضعة اسابيع من موته، وعندما انخفض عدد رجاله إلى ادنى مستوى... على إمكانيتها في العمل، وأن بعض الكادرات البوليفية كالأخوين أنتي وكوكو بيريدوا قد تميزت وبشّرت بإمكانات قيادية. إن كمين هيغيراس هو العمل الوحيد الذي قام به الجيش ضد المجموعة التي يقودها «تشي» وتكلل بالنجاح، حينما قتل طليعة المجموعة، وجرح عدداً من أفرادها في وضح النهار... بينما كان هؤلاء في طريقهم إلى منطقة يتمتع فلاحوها بوعي سياسي افضل (لم يذكر هذا الهدف في اليوميات وقد أورده لنا بعض من نجوا من الكمين).

هذا الكمين بالذات، وضعهم في موضع صعب لا يمكن التغلب عليه. إن هذه المسيرة النهارية طيلة أيام متتالية، وفي نفس الطريق، أثارت شبهات سكان هذه المنطقة التي يجتازونها للمرة الأولى، مع إيمانهم المطلق بأن العدو سيعترض سيرهم في لحظة معينة... كانت هذه المسيرة حقاً مفعمة

بالمخاطر، وكان «تشي» مدركاً حقيقة ذلك وقد قرر المجازفة بها بغية مساعدة الطبيب الذي كان في حالة جسدية سيئة للغاية، كتب في عشية الكمين: «وصلنا إلى بوجيو... كان هناك أناس رأونا البارحة في الأسفل... وبعبارة أخرى لقد أعلن راديو بامبا عن وصولنا[1].. فأصبح من الخطورة بمكان أن نسير مع البغال، وجل جهدي أن تتم رحلة الطبيب في أفضل الظروف الممكنة فقد أصبح في غاية الضعف»... وكتب في اليوم التالي: «مضت الطليعة في الساعة الواحدة (الساعة الثالثة عشرة) في محاولة للوصول إلى جاغوي، واتخاذ قرار هناك بخصوص البغال والطبيب»... وكان يبحث إذاً عن حل للمريض حتى يستطيع مغادرة هذا الطريق واتخاذ الاحتياطات الضرورية. ولكن الكمين القاتل تم بعد ظهر هذا اليوم بالذات وقبل أن تصل الطليعة إلى جاغوي، مما وضع الفصيلة في مأزق لا مخرج منه، وبعد أيام قليلة، شنت الفصيلة معركتها الأخيرة بعد أن حوصرت في وادي اليورو.

إن العمل البطولي الذي قامت به هذه القبضة من الثوريين.. لعمل مدهش للغاية. إن مجرد النضال ضد الطبيعة المعادية التي كانت تحيط بهم... تشكل صفحة بطولية. أن يأخذ مثل هذه العدد الصغير من البشر، على عاتقهم القيام بهذه المهمة العملاقة، فذلك لم يشهد التاريخ له مثيلاً. إن إيمانهم واقتناعهم المطلق بأن القدرة الثورية الهائلة لشعوب أميركا اللاتينية يمكن إيقاظها.. وإن ثقتهم العميقة بأنفسهم وقرارهم بتكريسها لتحقيق هذا الهدف، كل هذا يقدم لنا الأبعاد الحقيقية لهؤلاء الرجال.

قال «تشي»، ذات يوم، للمحاربين في بوليفيا: «إن هذا النوع من النضال، يتيح لنا فرصة التحول إلى ثوريين، وبلوغ أعلى مستوى للجنس البشري، ولكنه يتيح لنا أيضاً أن نصبح رجالاً، وعلى أولئك الذين يشعرون بعجزهم عن بلوغ هاتين المرحلتين أن يشدوا رحالهم ويتخلوا عن حرب

---

(١) راديو بامبا: تعبير شعبي في كوبا ليشير الى الاشاعات الشعبية.

العصابات».

إن الذين ناضلوا معه، حتى اللحظة الاخيرة، قد برهنوا على جدارتهم بهذه الصفات المجيدة. إنهم يرمزون إلى نوع الرجال الثوريين الذين يدعوهم التاريخ، في أيامنا، للقيام بمهمة صعبة وشاقة حقاً: مهمة التحويل الثوري لاميركا اللاتينية.

كان العدو الذي جابهه أبطال النضال الاول من أجل الاستقلال، يتمثل في السلطة الاستعمارية المتّحطة. أما الثوريون في أيامنا فعدوهم يتجسد في أقوى معقل للمعسكر الإمبريالي، مزود بالتقنيات والصناعة الحديثة. لقد أقام هذا العدو جيشاً بوليفياً جديداً، وزوده بالمعدات، في بلد قام فيه الشعب بتدمير القوة العسكرية القديمة الإرهابية، ثم قدّم له معونة السلاح وساعده عسكرياً من أجل مكافحة حرب العصابات... وهو يقدم بنفس الطريقة مساعدته العسكرية والتقنية إلى كافة قوى الإرهاب والقمع في القارة. وعندما لا تكفي هذه الإجراءات، فإنه يتدخل مباشرة بقواته... كما فعل في الدومينيكان.

إن انتصار النضال ضد هذا العدو يتطلب هذا النوع من الثوريين والرجال الذين تحدث عنهم «تشي». وبدون هذا النوع من الثوريين والرجال المستعدين للقيام بما قاموا به، بدون هذه الشجاعة في مجابهة العقبات الكبيرة، بدون قرار الموت هذا الذي رافقهم في كل لحظة، بدون هذا الاقتناع العميق بعدالة قضيتهم، وبدون إيمانهم الذي لا يتزحزح بقوة الشعوب التي لا تقهر، في وجه سلطة كالإمبريالية اليانكية تشمل مواردها العسكرية والتقنية والاقتصادية العالم أجمع... بدون هذا كله، لا سبيل إلى تحرير شعوب هذه القارة.

إن الشعب الاميركي الشمالي نفسه، قد بدأ يدرك أن البنية السياسية العليا الهائلة التي تدير بلاده، لم تعد، ومنذ زمن طويل، تلك الجمهورية الشاعرية التي أقامها مؤسسوها، منذ مائتي عام تقريباً.. وهو يتعرض في كل يوم وبقساوة إلى بربرية نظام لا عقلاني ومهووس، لا إنساني وشرس، ينال بشكل متعاظم الاميركيين، من ضحايا حروبه العدوانية وجرائمه السياسية وانحرافاته العنصرية، وتمييزه التعيس بين الكائنات

البشرية وتبديده المفضوح للموارد الاقتصادية، والعلمية، والبشرية العائدة لجهازه العسكري الرجعي الإرهابي، في عالم يعيش ثلاثة أرباعه في جوع وتخلف.

إن التحول الثوري في أميركا اللاتينية هو وحده الذي يستطيع أن يتيح لشعب الولايات المتحدة تصفية حساباته الخاصة مع الإمبريالية.. وفي الوقت نفسه فإن نمو حركة نضال الشعب الاميركي ضد هذه السياسة الإمبريالية تؤهله لأن يصبح حليفاً حاسماً للحركة الثورية الاميركية اللاتينية.

إن على هذا الجزء من نصف الكرة الارضية أن يعرف تحولاً ثورياً عميقاً: وإلا فإن الاختلاف الهائل والاختلال اللذين استتبا في بداية هذا القرن بين الأمة القوية من جهة، والتي كانت تتصنع بسرعة، بينما كان قانون ديناميتها الاجتماعية والاقتصادية بالذات يحملها إلى الذرى الرفيعة، وبين المجموعة «المبلقنة» في بقية هذه القارة، من جهة أخرى، إن هذا الاختلاف، وهذا الاختلال سيزدادان بشكل رهيب، ليس فقط بسبب التباين الحالي الشاسع في الاقتصاديات والعلوم والتقنيات، وإنما أيضاً بسبب الاختلال المخيف الذي ستفرضه الإمبريالية خلال العشرينات المقبلة على شعوب أميركا اللاتينية وبدرجة متسارعة.

إننا مهياون في سلوكنا هذا الدرب، لأن نصبح اكثر فقراً، واكثر ضعفاً، واكثر ارتباطاً بهذه الإمبريالية، وعبودية هذه النظرة القاتمة إلى المستقبل تنطبق على شعوب افريقيا وآسيا بقدر ما تنطبق على بلدان أميركا اللاتينية. وإذا كانت الأمم الصناعية المرتبطة بأوروبا، بسوقها المشتركة ومؤسساتها العلمية على مستوى القارة المذكورة، يساورها القلق من جراء إمكانية البقاء في مؤخرة السباق وتتدارس بخشية إمكانية تحولها إلى مستعمرات اقتصادية للإمبريالية اليانكية، فما الذي يخبئه المستقبل لشعوب أميركا اللاتينية؟

أمام لوحة هذا الوضع الحقيقي الظاهر للعيان والذي ينيخ بشكل حتمي على مصير شعوبنا.. إذا استطاع ليبرالي أو إصلاحي بورجوازي أو ثوري مزيف ودجال، عاجز عن القيام بأي شيء، إذا استطاع تقديم حل للتأخر

الاقتصادي والعلمي ـ التقني المتراكم خلال عصور عديدة، بالنسبة للعالم الصناعي، وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة التي نرتبط بها، وسوف نرتبط بها بشكل أوثق في المستقبل، وإذا لم يكن هذا الحل تحولاً ثورياً عميقاً وعاجلاً يعبىء القوى الاخلاقية والمادية والبشرية في هذا الجزء من العالم لدفعها إلى الأمام: وإذا تقدم بالصيغة السحرية، وأشار إلى الطريق السحري للتوصل إلى ذلك، وإذا كان هذا الطريق مختلفاً عن الطريق الذي رسمه «تشي» والذي يكنس الديكتاتوريات، والطغاة، والسياسيين، وأعني الأجراء اليانكيين وسادتهم من أصحاب الاحتكارات اليانكية... فليفعل ذلك بأقصى سرعة تتطلبها الظروف ولينهض حينئذ ليفند «تشي».

ولكن ليس من يمتلك في الواقع جواباً مشرفاً ولا عملاً منطقياً يبعث الأمل الحقيقي في قلوب ٣٠٠ مليون كائن بشري هم سكان أميركا اللاتينية الفقيرة بشكل بائس في أغلبيتها الساحقة، هؤلاء السكان الذين سيبلغون ٦٠٠ مليون في مدة ٢٥ سنة، والذين لهم الحق كل الحق في الحياة المادية الثقافية والحضارية: أليس من الأناقة المفرطة أن نصمت أمام بادرة «تشي»، وأمام أولئك الذين سقطوا إلى جانبه ليدافعوا بكل شجاعة عن أفكاره.. ذلك أن الملحمة التي حققتها هذه القبضة من البشر يحدوها ذاك المثل الأعلى النبيل في إنقاذ قارة كاملة، ستظل أسمى برهان على ما تستطيع أن تفعله الإرادة والبطولة والعظمة الإنسانية. إن مثالهم سوف يضيء الضمائر، ويرشد نضال شعوب أميركا اللاتينية، لأن نداء «تشي» البطولي سوف يلبيه الفقراء والمستغلون، الذين ضحّى بحياته من أجلهم، ولأن الأيدي التي سوف تمتد لحمل السلاح وتحقق تحررها النهائي.. ستكون عديدة.

كتب «تشي» الأسطر الأخيرة من يومياته في السابع من تشرين الأول. وفي اليوم التالي، وفي الساعة الثالثة عشرة، وفي واد ضيق قبع فيه ورفاقه بانتظار هبوط الليل، لفك التطويق... هاجمتهم قوات غفيرة من الأعداء. وقاتل الرجال القلة الذين كانوا يؤلفون الفصيلة في ذلك التاريخ ببطولة

حتى هبوط الليل وهم يتحضرون في مواقع فردية في مجرى الجدول، وعلى الأطراف العليا، في وجه جميع الجنود الذين كانوا يحيطون بهم ويهاجمونهم من كل حدب وصوب. ولم يبق من المجموعة القريبة من «تشي» حي واحد. ولما كان يصحبه الطبيب الذي ذكرنا من قبل خطورة حالته الصحية، وكذلك محارب بيروفي (من بيرو) يعاني، هو أيضاً، من سوء حالته الصحية، فإن كل شيء يدل على أن «تشي» قد بذل كل ما في وسعه لحماية انسحاب رفاقه نحو مكان أكثر أمناً وهذا ما يفسر كونه قد جرح بالذات... ذلك لأن الطبيب لم يمت في هذه المعركة، وإنما بعد عدة أيام من وقوعها، في مكان لا يبعد كثيراً عن وادي اليورو. وكانت طبيعة الأرض الصخرية الوعرة المنتظمة تجعل من الصعوبة الفائقة، إن لم يكن بحكم المستحيل، الاتصال البصري بين المحاربين أنفسهم، فالذين كانوا يدافعون عن الموقع في المدخل الثاني للوادي، على بضع مئات من الأمتار من «تشي»، ومن بينهم إنتي بيريدو، صدوا الهجوم حتى أول الليل، ثم نجحوا في الابتعاد عن العدو والتوجه نحو نقطة الالتقاء التي حددت مسبقاً.

وقد استطعنا أن نعرف بكل دقة أن «تشي» قد استمر في القتال، على الرغم من جراحه، حتى دمرت سبطانة بندقيته م ـ ٢ من جراء رصاصة طائشة وأمست غير صالحة للاستعمال. ولم يقدم له المسدس الذي كان يحمله أية فائدة بعد ضياع مخزنه... إن هذه الظروف العجيبة تفسر لنا كيف استطاعوا أن يقبضوا عليه حياً.. كانت الجراح التي أصيب بها في ساقيه تعيقه عن المسير وحيداً ولكنها لم تكن بالجراح القاتلة.

نقل تشي إلى قرية هيغيراس، وبقي حياً قرابة ٢٤ ساعة. وقد رفض أن يتبادل كلمة واحدة مع أولئك الذين أسروه، أما الضابط الثمل الذي حاول إذلاله، فقد تلقى منه صفعة على وجهه.

وفي لاباز حيث اجتمع باريانتوس وأوفاندو والقادة العسكريون الآخرون.. اتخذ هؤلاء قرارهم باغتيال «تشي» بدون أن تطرف لهم عين. ولدينا معلومات مفصلة عن إجراءاتهم لتنفيذ هذا القرار المشين في مدرسة قرية هيغيراس. أعطى الماجور ميغيل آيوروا والكولونيل أندريس سيلنيش، وهما ضابطان تدربا في مدارس اليانكيين، التعليمات الضرورية لضابط

الصف ماريو تيران من اجل تنفيذ عملية الاغتيال. وعندما دخل هذا الاخير، بعد ان ثمل تماماً، إلى المدرسة، كان «تشي» قد سمع طلقات الرصاص التي أودت بحياة محاربين: أحدهما بوليفي والآخر بيروفي (من بيرو).. ولما لمس تردد الجلاد، قال له بشجاعة نادرة: «أطلق النار! لا تخف!» وتراجع ضابط الصف مخذولاً مما دفع برئيسيه آيوروا وسيلنيش إلى إعادة الأمر مرة أخرى على مسامعه، فعاد لتنفيذه بإطلاق عدة عيارات نارية من رشيشه من الأعلى آلى الأسفل، تحت الخصر.

تلقى الجلادون امراً بعدم توجيه نيرانهم إلى القلب أو الرأس حتى لا تودي جراحه بحياته على الفور خاصة بعد أن أشيعت رواية مصرعه بعد مضي عدة ساعات على القتال، وهكذا فقد أطيل احتضار «تشي» بقساوة إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصة من مسدسه في الجانب الايسر منهياً بذلك حياة الشهيد. إن هذا المسلك يتعارض بشراسة مع الاحترام الذي ابداه «تشي» بدون استثناء، لحياة ضباط وجنود عديدين من الجيش البوليفي كانوا قد وقعوا في أسره.

لقد كانت الساعات الاخيرة من حياته، بين أيدي أعدائه الحقيرين، في غاية المرارة. ولكن «تشي» كان مهيئاً، اكثر من أي رجل آخر في العالم، للصمود أمام هذه التجربة.

لا يمكننا الآن ان نكشف النقاب عن كيفية وصول هذه اليوميات إلينا. ويكفي أن نقول إننا قد حصلنا عليها بدون مقابل.. وهي تتضمن جميع الملاحظات التي كتبها بين السابع من تشرين الثاني ١٩٦٦، موعد وصول «تشي» إلى نانكا هوازو، والسابع من تشرين الاول ١٩٦٧، وهو اليوم الذي نشبت في مسائه معركة وادي اليورو. هناك بعض صفحات ناقصة

(٢) المقصود هي الايام التالية: ٤ و٥ و٨ و٩ كانون الثاني؛ ٨ و٩ شباط؛ ١٤ آذار؛ ٤ و٥ نيسان؛ ٩ و١٠ حزيران، ٤ و٥ تموز. هذه النواقص كانت في الطبعة الاصلية. اضيفت في هذه الطبعة، كما اشرنا سابقاً. فضلاً عن ذلك، فإن هذه الطبعة تتضمن ملحقاً ببيانات الفوار الى جانب البرقيات المرسلة من هافانا.

لم تصل إلينا بعد، وبما أنها تعود لأيام لم يجر فيها أي حدث هام، فإن مضمون اليوميات لم يتأثر من جراء غيابها، على الإطلاق.

إن أصالة هذه الوثيقة لا يرقى إليها الشك مطلقاً، ومع ذلك، فقد أخضعت جميع النسخ المصورة إلى فحص دقيق وليس ذلك للتحقق فقط من الاصالة وإنما أيضاً من أي تشويه ممكن، مهما بدا صغيراً. ومع ذلك، فقد قُورنت الاحداث بيوميات أحد المحاربين الذي نجا بحياته وتطابقت الوثيقتان في جميع النقاط، ثم إن الشهادة المفصلة التي ادلى بها المحاربون الآخرون الذين نجوا والذين عاشوا جميع الأحداث لم تترك ذرة من الشك في صحتها. وهكذا فقد حصلت لدينا القناعة التامة من أن جميع هذه النسخ المصورة تنقل إلينا بكل أمانة يوميات «تشي».

إن فك رموز هذه الكتابة الصعبة الصغيرة... كان عملاً مضنياً وقد تحقق بفضل مشاركة جادة من رفيقته ألبدا مارش دي غيفارا. ستقوم دور النشر والمجلات التالية بنشر هذه اليوميات في آن واحد، دار ماسبيرو في فرنسا، دار فليترينيلي في إيطاليا، دار تريكونت فيرلاغ في الجمهورية الاتحادية الالمانية، مجلة رمبار في الولايات المتحدة، دار رويدو أبيريكو في فرنسا باللغة الإسبانية، مجلة بونتوفينال في الشيلي، دار سيلغو في المكسيك... وسوف تنشر في بلدان أخرى أيضاً.

فحتى النصر دوماً

فيدل كاسترو

أيار ١٩٦٨

يوميات بوليفيا

تشرين الثاني ١٩٦٦

٧ تشرين الثاني

تبدأ اليوم مرحلة جديدة. وصلنا ليلاً إلى المزرعة، بعد رحلة لا باس بها، دامت يومين. وبعد وصولنا، أنا وباشنغو[١] متخفيين في سيارَتَي «جيب»، عن طريق كوشا بمبا، قمنا باتصالاتنا على الفور.

وحينما اقتربنا من المزرعة أوقفنا إحدى السيارتين واستخدمنا فقط واحدة حتى لا نثير ريبة ملاّك في الجوار كان قد بدأ في ترويج شائعات باننا نعمل لحساب مؤسسة تنتج الكوكايين. ومن الغريب أن تومينى[٢]، الذي يعجز الكلام عن وصفه هو الذي اعتبر كيميائي الجماعة كلها. وبينما كنا نتابع طريقنا، خلال المرحلة الثانية كاد بيغوت أن[٣]، يسقط في الوادي عندما عرفني وأوقف سيارة الجيب على حافة الهاوية. وهكذا تابعنا طريقنا، مسافة ما يقرب من ٢٠ كيلو متراً، ووصلنا، بعد منتصف الليل، إلى المزرعة حيث كان ينتظرنا ثلاثة من عمال الحزب.

---

(١) سيظهر أيضاً تحت إسم باشو.

(٢) إسمه توما في أماكن أخرى.

(٣) سيظهر أيضاً تحت إسْمَي لورو وجورج.

أبدى بيغوت استعداده للتعاون معنا، مهما كان موقف الحزب، ولكنه سيظل على ولائه لمونجي فهو يحترمه ويحبه، كما يبدو. قال إن رودولفو وكوكو يُبديان نفس الاستعداد، ولكن يجب أن نسعى لحمل الحزب على الاشتراك في القتال. طلبت إليه ألاّ يطلع الحزب على شيء قبل أن يعود مونجي الذي سيساعدنا من رحلته إلى بلغاريا، فوافق على كلا النقطتين.

٨ تشرين الثاني

قضينا النهار في الغابات قرب نهر لا يبعد عن البيت أكثر من مائة متر. طاردتنا بعوضة جد مزعجة على الرغم من أنها لا تلسع. كانت مختلف الحشرات التي التقينا بها حتى الآن من أنواع البعوض الكبير والصغير وقراد الخراف.

أخرج بيغوت سيارة الجيب بمساعدة ارغاناراز، واتفقا على شراء بعض ما نحتاج إليه، كالخنازير والدجاج. كنت أعتزم تدوين حوادث الرحلة لمجرد الإعلام فقط ولكنني تركت هذه المهمة إلى الأسبوع المقبل بانتظار المجموعة الثانية.

٩ تشرين الثاني

لا جديد. قمنا أنا وتوميني باستطلاع مجرى نهر ناكاهوازي (وهو جدول في الحقيقة) ولكننا لم نصعد إلى منبعه. فمجراه وعر، والمنطقة تبدو غير مأهولة. إننا نستطيع أن نبقى فترة طويلة هنا بشيء من ترويض النفس. اضطررنا إلى مغادرة الغابات، بعد هطول أمطار غزيرة، وعدنا إلى البيت. وهناك أخرجت ستة من قراد الخراف من ملابسي.

١٠ تشرين الثاني

خرج باشنغو وبومبو للتعرف على الأمكنة، يرافقهما سيرافان، أحد الرفاق البوليفيين. توغلوا أكثر منا قليلاً، ووصلوا إلى نقطة تفرع النهر... إنه مجرى صغير على ما يبدو، وبعد عودتهم، مكثوا في البيت يتسامرون فرآهم سائق ارغاناراز الذي جاء ليرافق الرجال مع مشترياتهم. أنّبتهم، وقررنا أن ننتقل في الغد الباكر إلى الغابات حيث نقيم مخيماً نهائياً. أما توميني فيمكنه أن يتنقل لأنهم يعرفونه، وسوف يعتقدون أنه من مستخدمي المزرعة. إن الوضع يسوء بسرعة، ويجب أن أتأكد من أن

الامور تتيح لنا أن نرسل في طلب رجالنا، على الرغم من كل شيء. فمعهم وحدهم ساكون مرتاحاً.

١١ تشرين الثاني

نهار مضى بدون جديد، قضيناه في مخيم جديد على الجانب الآخر من البيت حيث قضينا ليلتنا.

اضطرنا الوباء اللعين إلى الاحتماء في السرير المعلّق المغطى بكلّة (إنني الوحيد الذي يمتلك كلة). قام توميني بزيارة لأرغاناراز واشترى منه بعض الحاجيات: كالدجاج والديوك الرومية. يبدو إنه لا يشك بشيء.

١٢ تشرين الثاني

نهار آخر لا جديد فيه. قمنا بجولة استطلاعية قصيرة لإعداد الأرض الصالحة لإقامة مخيمنا عند وصول أفراد المجموعة الثانية الستة. تقع المنطقة المختارة على بعد مائة متر تقريباً من بداية المقبرة، وعلى هضبة صغيرة فيها عدد من الحفر يمكن تحويلها إلى كهوف لتخزين الطعام والأشياء الاخرى. كان على المجموعة الأولى من أصل المجموعات الثلاث التي تتألف كل منها من رجلين، أن تصل في القريب العاجل إلى المزرعة أي في نهاية الأسبوع الذي نحن فيه. إن شعري ينمو بالرغم من قلته، كما أن شعراتي البيضاوات قد تحولت إلى شقراوات، وبدأت تسقط ولحيتي قد أخذت تنمو أيضاً. وخلال شهرين تقريباً، ساعود إلى وضعي الطبيعي.

١٣ تشرين الثاني

الأحد. مرَّ بعض الصيادين بالقرب من مسكننا... إنهم من عمال ارغاناراز، وهم رجال جبليون وشبان عازبون يصلحون تماماً لتعبئتهم في صفوفنا، ثم إنهم يكرهون سيدهم كراهية شديدة. وقد أخبرونا بأن هناك بيوتاً على بعد ثمانية فراسخ من هنا، تقوم على طريق النهر، ومنحدرات مليئة بالماء. لا جديد سوى ذلك.

١٤ تشرين الثاني

أسبوع في المخيم. يبدو باشنغو حزيناً بعض الشيء وكأنه يشكو من الغربة. يجب أن يتماسك مجدداً. بدأنا اليوم بحفر نفق نضع فيه كل

الأشياء التي تسترعي الانتباه وسوف نغطيه بجذوع الشجر ونعمل على حمايته من الرطوبة قدر الإمكان. لقد انتهينا الآن من إعداد حفرة يبلغ عمقها متراً ونصف المتر، وبها بدأ النفق.

١٥ تشرين الثاني

تابعنا العمل في النفق: في الصباح بومبو وباشنغو، وبعد الظهر أنا وتوميني. وعندما توقفنا عن الحفر في الساعة السادسة، كان النفق قد بلغ المترين من العمق. نأمل أن ننهيه غداً ونودع فيه كل الأشياء التي قد تثير الشكوك. اضطرني المطر أثناء الليل إلى مغادرة سريري المعلّق بعد أن ابتل لصغر غطاء البلستيك، وفيما عدا ذلك فليس هناك من جديد.

١٦ تشرين الثاني

انتهى حفر النفق وتم تمويهه، ولم يبقَ سوى إخفاء الطريق المؤدي إليه. سوف ننقل حوائجنا إليه غداً. ونسد مدخله بأغصان من الخشب وبالطين أيضاً. إن تصميم النفق الذي يحمل رقم ١ موجود في الوثيقة رقم ١. لا جديد سوى ذلك... وابتداء من مطلع الغد، نستطيع أن نتوقع وصول أنباء من لاباز.

١٧ تشرين الثاني

إمتلأ النفق بالأشياء التي قد تسيء إلى سكان المسكن، وكذلك تم تخزين قسم من الطعام المحفوظ فيه. وقد مُوِّه بشكل لا بأس به.

لم يصلنا أي جديد من لاباز. لقد تحدث شبان الدار مع ارغاناراز واشتركوا جميعاً بشراء بعض الحوائج، وأصر هذا الأخير، مرة ثانية، على مشاركتهم في صنع الكوكايين.

١٨ تشرين الثاني

لا خبر من لاباز. قام باشنغو وبومبو، مرة أخرى، بعملية استكشاف جديدة للنهر، ثم أبديا شكهما في أن يكون هذا المخيم هو المخيم المثالي. سنذهب يوم الإثنين مع تومييني لتقصِّي الأمر. قدم ارغاناراز لإخراج بعض الحجارة من النهر، وإصلاح الطريق. وبقي فترة طويلة حتى انتهى من عمله. لا يبدو أنه يشك بسبب وجودنا هنا. وكل شيء يجري بطريقة

رتيبة. قد بدأت آثار لذع البعوض والقراد تظهر على أجسادنا. البرد قارس عند الفجر.

١٩ تشرين الثاني

لا نبأ من لاباز. ولا جديد هنا. قضينا النهار متخفين داخل البيت لأن اليوم هو السبت، وفيه يتنقّل الصيادون.

٢٠ تشرين الثاني

وصل ماركوس وورولاندو عند الظهر، فأصبحنا ستة. وقد قصّا على الفور تفاصيل الرحلة.. وعَزَيا تأخيرهما عن الموعد إلى وصول أمر السفر إليهما منذ أسبوع فقط. ومع ذلك، فقد سافرا بأقصى سرعة ممكنة عن طريق ساو باولو. يجب ألاّ نتوقع وصول الأربعة الآخرين قبل الأسبوع المقبل. وقد جاء رودولفو معهم وقع في نفسي موقعاً حسناً جداً، ويبدو انه مستعد أكثر من بيغوت لقطع ارتباطاته بكل شيء. أما بابي[(١)] فقد خالف تعليماتي، وأنباه بوجودي. كما أعلم كوكو بذلك أيضاً، وهذا تنافس على السلطة كما يبدو. كتبت إلى مانيلا ببعض توصياتي (الوثيقتان: ١ و٢) وإلى بابي، مجيباً على أسئلته. غادرنا رودولفو عند الفجر.

٢١ تشرين الثاني

إنه اليوم الأول من حياة المجموعة بعد ازدياد عددها.. السماء تمطر بغزارة وقد ابتلت ثيابنا ونحن ننتقل إلى مقرنا الجديد. ها قد استقر بنا المطاف، وقد تبين أن خيمتنا كانت في الأصل غطاء شاحنة شديد الامتصاص للماء، ومع ذلك، فقد وقتنا المطر إلى حد ما.

إن لدينا الآن فراشاً (ارجوحة) وغطاء من النايلون، وقد وصلت إلينا بعض الأسلحة الجديدة. لدى ماركوس «غاران»[(٢)] وسوف نعطي لرولاندو م ـ ١ من المستودع. بقي جورج معنا ولكنه أقام في الدار ليتولى الإشراف على تحسين المزرعة. طلبت من رودولفو أن يجد لي خبيراً زراعياً يمكن الوثوق به. سنعمل على إطالة هذا الوضع إلى أقصى مدة ممكنة.

---

(١) سيظهر أيضاً تحت اسْمَي: ريكاردو وشنشو.
(٢) نوع من السلاح. (المعرب).

٢٢ تشرين الثاني

قمنا انا وتوما وجورج باستطلاع الارض على طريق نهر: (ناكاموارو) لنتفحص ونسبر فرع النهر الجديد الذي اكتشفناه، لكننا، لغزارة الأمطار التي هطلت ليلة أمس، لم نستطع تمييز النهر، ولم نصل إلى المكان المنشود إلاّ بصعوبة ومشقة بالغتين. إن الفرع الجديد هو جدول صغير ضيق المصب، ويصلح إذا ما أُحسِنَت تهيئته لإقامة مخيم دائم بجانبه. عدنا بعد الساعة التاسعة بقليل، ولم نجد شيئاً جديداً يذكر.

٢٣ تشرين الثاني

اقمنا مرصداً يشرف على المزرعة ويتيح لنا مراقبة أي زائر أو مفتش غير مرغوب فيه. ولما كان اثنان منا سيقومان بجولة استطلاعية، فسيتولى الباقون أعمال الحراسة في نوبات تستمر الواحدة منها ثلاث ساعات. قام بومبو ومارتوس باستطلاع المنطقة المحيطة بمخيمنا حتى امتداد النهر الذي ما يزال يفيض بمياه الأمطار.

٢٤ تشرين الثاني

خرج باشو ورولاندو لدراسة منطقة النهر ولن يعودا قبل الغد.

حضر في نهاية السهرة اثنان من رجال ارغاراناز في زيارة مفاجئة وقد قادتهما إلينا خطاهما «بينما كانا يتنزهان». لم يكن هناك من شيء غريب؛ فانطونيو وتوما كانا غائبين: كان الأول في عملية استطلاع والثاني في الدار. كانت الحجة التي قدمناها لتفسير غيابهما، هي قيامهما برحلة صيد ـ عيد ميلاد اليوشا.

٢٥ تشرين الثاني

أعلمنا مرصد المراقبة أن سيارة جيب قد وصلت وهي تقل اثنين أو ثلاثة أشخاص. وتبين أن السيارة كانت تابعة لمصلحة مكافحة الملاريا ثم ما لبثت ان انصرفت مع ركابها بعد أن اخذوا عينات من دمنا. عاد باشو ورولاندو في ساعة متأخرة من الليل، وقد وجدا فرع النهر المشار إليه على الخارطة وتفحّصاه ثم صعدا بمحاذاة المجرى الرئيسي للنهر حتى وجدا حقولاً مهجورة.

٢٦ تشرين الثاني

لم نبارح المخيم لأننا في يوم السبت. طلبت من جورج أن يستطلع مجرى النهر والمدى الذي يصل إليه وهو يمتطي الحصان. ولم يكن الحصان هناك فاجتاز على قدميه مسافة ٢٠ إلى ٢٥ كيلو متراً ليطلب حصاناً من دون رمبرتو. جاء المساء ولم يكن قد عاد بعد. لا نبأ من لاباز.

٢٧ تشرين الثاني

حتى الآن لم يظهر جورج. وأصدرت أمراً بالحراسة طيلة الليل، ولكن سيارة الجيب الأولى وصلت من لاباز في الساعة التاسعة. جاء جواكين واوربانو مع كوكو للإنضمام إلينا ومعهم شاب من بوليفيا اسمه ايرنستو وهو طالب طب. قام كوكو برحلة أخرى، وأحضر معه ريكاردو، وبروليو، وميغيل، وبوليفياً آخر اسمه إنتي، قال إنه جاء ليبقى معنا. أصبح عددنا الآن ١٢ ثائراً، عدا جورج الذي يمثل دور مالك المزرعة. كلف كوكو ورودلفو باجراء الاتصالات. حمل ريكاردو إلينا خبراً سيئاً هو أن «الشينو» في بوليفيا، ويريد مقابلتي، وإرسال عشرين رجلاً ليقاتلوا معنا. إن في هذا بعض المحاذير لانه سيضع المعركة على صعيد دولي قبل استشارة إستانيسلاو[1].

إتفقنا أخيراً على ضرب موعد له في سانتا كروز حيث سيقوم كوكو بمرافقته إلى المخيم. ذهب كوكو عند الفجر مع ريكاردو الذي سيستقل سيارة الجيب الأخرى حتى لاباز. وكلف كوكو بزيارة رمبرتو ليعرف ما حدث لجورج. ذكر إنتي في سياق حديث سابق أنه يعتقد أن ايستانيسلاو لن يلتحق بالثورة... وأنه مصمم، على ما يبدو، على قطع صلته بها.

٢٨ تشرين الثاني

لم يظهر جورج حتى هذا الصباح، كما لم يرجع كوكو أيضاً. وقد وصلا فيما بعد، وكل ما حدث أنهما مكثا لدى رمبرتو. وهذا ما ينمّ عن

---

(١) المسمى أيضاً النيغرو، ماريو أو فقط مونجي. يجب تمييزه عن محارب من جماعة جواكين يسمى أيضاً النيغرو.

شيء من ضعف شعورهما بالمسؤولية. دعوت بعد الظهر مجموعة البوليفيين وأطلعتهم على العرض الذي تلقيته بانضمام ٢٠ رجلاً من البيرو إلينا، فوافقوا جميعاً على العرض، إنما شريطة أن ينفذ بعد بدء العمليات.

٢٩ تشرين الثاني

خرجنا للقيام بمسح طوبوغرافي للنهر، واستطلاع فرعه الذي سنقيم بجانبه مخيمنا المقبل. وكانت المجموعة مؤلفة من توميني وأوربانو وإنتي وأنا. إن النهر آمن جداً ورهيب وغامض في آن واحد. سنحاول أن نجد نهراً آخر على مسيرة ساعة من هنا. سقط توميني على الأرض وأصيب مفصل قدمه بشرخ. وصلنا إلى المخيم مساء بعد أن أنجزنا عملية قياس النهر. لا شيء جديد هنا. ذهب كوكو إلى سانتا كروز لينتظر الشينو.

٣٠ تشرين الثاني

خرج ماركوس وباشو وميغيل وبومبو مزودين بمهمة استكشاف نهر أبعد. على ان يعودوا بعد يومين. لقد أمطرت السماء بغزارة، ولا جديد في البيت.

التحليل الشهري

كل شيء يسير على ما يرام: وصلت بدون حادث كما وصل نصف الرجال الموجودين معي، على الرغم من تأخرهم قليلاً. إن أعوان ريكاردو الرئيسيين سيشتركون في حرب العصابات مهما كانت الظروف والأحوال. وتبدو الأشياء على أفضل وجه في هذه المنطقة المعزولة حيث تشير الدلائل إلى أننا نستطيع البقاء هنا كل المدة التي نراها ضرورية مهما طالت. أما خططنا فهي: انتظار بقية الرجال، ورفع عدد البوليفيين إلى عشرين رجلاً على الأقل، وبدء العمليات.

سنرى ما هو رد فعل مونجي، وكيف سيتصرف رجال غيفارا.

كانون الأول ١٩٦٦

١ كانون الأول

انقضى النهار بدون اي جديد. وفي المساء، وصل ماركوس ورفاقه، بعد أن قطعوا مسافة أطول مما حدد لهم وهم يجوبون تلال المنطقة. وفي الساعة الثانية صباحاً انبئت بوصول كوكو مع أحد الرفاق ولكنني طلبت تأجيل مقابلتهما لي حتى صباح الغد.

٢ كانون الأول

وصل الشينو باكراً... إنه يبدي عواطف جياشة. قضينا النهار في تبادل الأحاديث. الشيء الأساسي هو أنه سيذهب إلى كوبا ليقدم شخصياً تقريره عن الوضع. بوسعنا أن نضم خمسة بيروفيين إلى مجموعتنا في الشهرين المقبلين أي بمجرد بدء العمليات. أما في الوقت الحاضر، فسيلتحق اثنان منهما: أحدهما خبير في الراديو، والثاني طبيب، وسيمكثان بعض الوقت معنا. طلب الشينو اسلحة فوافقت على إعطائه BZ واحدة وبعض بنادق الموزر والقنابل وكذلك شراء بعض M - I لهم. وقررت ايضاً مساندته

بارسال خمسة بيروفيين ليقوموا بالاتصالات اللازمة لتسهيل مرور الاسلحة من تيتيكاكا إلى منطقة مجاورة لبيونو. حدثني أيضاً عن متاعبه في البيرو وعن خطة جريئة لتحرير كاليكستو بدت لي ضرباً من الخيال. يعتقد أن بعضاً ممن نجوا في حرب العصابات يعملون في تلك المنطقة، وإن كان غير واثق كل الثقة من وجودهم، فهم لم يستطيعوا الوصول إلى هذا المكان.

قضينا بقية الوقت في تبادل النكات الطريفة... ثم ودعني بنفس الحماسة ليذهب إلى لاباز، وحمل معه صوراً لنا. تلقى كوكو أمراً بترتيب الاتصالات مع سانشيه (الذي سأراه فيما بعد) والاتصال أيضاً برئيس الاستعلامات في الرئاسة الذي عرض تزويدنا بالمعلومات لكونه نسيباً لإنتي. إن شبكة الاتصال لا تزال في خطواتها الأولى.

٣ كانون الأول

لا جديد. لا جولة استطلاعية اليوم لأنه السبت. ذهب عمال المزرعة الثلاثة لقضاء بعض المهام في لاغونيلاس.

٤ كانون الأول

لا جديد. إلتزم الجميع جانب الهدوء لأننا في يوم الأحد. أدليت بحديث حول موقفنا من البوليفيين الذين سينضمون إلينا وعن موقفنا من الحرب.

٥ كانون الأول

لا جديد. كنا نعتزم التجول ولكن المطر لم ينقطع طوال النهار. ساد بعض الذعر بسبب عدة عيارات نارية أطلقها لورو دون سابق إنذار.

٦ كانون الأول

خرجنا للعمل في الكهف الثاني، بالقرب من الجدول الأول، واشتركنا في الحفر أنا وأبوليناز[١] وإنتي وأوربانو وميغيل. جاء ميغيل ليحل مكان توما الذي يتماثل للشفاء من سقطته. أعلن أبوليناز عن عزمه على الإلتحاق بالثوار ولكنه يريد أولاً أن يصفّي أعماله الشخصية في لاباز. سُمِح له

---

(١) سيظهر أيضاً تحت اسم بولو.

بالسفر شرط أن ينتظر بعض الوقت. بلغنا الجدول حوالي الساعة الحادية عشرة، وقمنا بشق درب مموه، واستطلعنا الأمكنة المحيطة بغية إيجاد مكان مناسب للكهف، ولكننا لم ننجح لكون المنطقة صخرية بينما يتابع الجدول، الذي جف في بعض الأماكن، مجراه البعيد بين صفين من الصخور. أجّلنا عملية الاستطلاع إلى الغد، وخرج إنتي وأوربانو إلى الصيد بعد أن خفّت كمية الطعام.. ولا بد من أن يكفينا حتى نهار الجمعة.

٧ كانون الأول

عثر ميغيل وأبولينار على مكان مناسب وشرعا في شق النفق، الأدوات غير صالحة على الإطلاق. عاد إنتي وأوريانو خاليي الوفاض ولكن أوربانو اصطاد في المساء طاووسة برية. ولما كان العشاء متوفراً فقد احتفظنا بها للغداء في اليوم التالي.

مر شهر على وجودنا هنا، ولكنني سأؤجل كتابة التحليل إلى نهاية الشهر، فهذا أبسط وأسهل.

٨ كانون الأول

خرجنا مع إنتي إلى التل الذي يشرف على الجدول واستمر ميغيل وأوربانو في إعداد الحفرة. وبعد الظهر حل أبولينار مكان ميغيل... وعند هبوط الليل، عاد مارتوس وبومبو وباشو. وكان هذا الأخير يجر قدميه جراً ويبدو تعباً للغاية. طلب مني ماركوس أن انقله من مجموعة الطليعة إن لم تتحسن صحته. وقد رسمت لهم الطريق إلى الكهف الموجود في التصميم رقم ٢، وحددت لهم الأعمال الهامة التي يجب إنجازها أثناء وجودهم هنا. سيبقى ميغيل معهم وسوف نعود غداً.

٩ كانون الأول

عدنا ببطء، في الصباح، ووصلنا حوالي الظهر. تلقى باشو أمراً بالبقاء لانتظار عودة المجموعة. حاولنا أن نلحق بالمخيم ٢ ولكننا أخفقنا. لم يحدث شيء جديد.

١٠ كانون الأول

إنقضى النهار بدون أي جديد ما عدا تحضير الخبز لأول مرة في البيت.

تحدثت مع جورج وإنتي عن بعض المهام العاجلة. لا نبأ من لاباز.

١١ كانون الأول

مضى النهار بدون جديد، ولكن حين حلّ المساء ظهر كوكو مع بابي، واحضرا معهما اليجندرو وارتورو وكذلك بوليفياً يدعى كارلوس. بقيت سيارة الجيب الأخرى كالعادة على الطريق. ثم أحضرا بعد ذلك الطبيب مورو(١) وبنينيو وبوليفيين اثنين من منطقة بوليفيا الشرقية (كامباس) ويعملان في مزرعة كاراناي. مَضت الامسية كالعادة ونحن نتحدث عن الرحلة ونعلّق على غياب انطونيو(٢) وفيلكس(٣) وكان ينبغي ان يصلا. جرى نقاش مع بابي وتقرر ان يقوم ايضاً برحلتين لإحضار رينان(٤) وتانيا. اتفقنا على تصفية الدور والمستودعات، وتقديم مساعدة مالية قدرها ١٠٠٠ دولار إلى سانشيه، وسوف يحتفظ بالشاحنة الصغيرة، ونبيع نحن سيارة جيب واحدة لتانيا ونحتفظ بالاخرى. بقي علينا أن نقوم برحلة لجلب الأسلحة وقد اصدرت أمراً بنقل كل شيء في سيارة «جيب» حتى لا يطول نقل الأسلحة ويؤدي ذلك إلى اكتشافها. ذهب الشينو إلى كوبا يحدوه حماس بالغ في الظاهر وهو ينوي أن يقوم بزيارتنا مرة أخرى حالما يعود. بقي كوكو هنا ليبحث عن الأغذية في كاميري. وذهب بابي إلى لاباز.

حدث أمر خطير: اكتشف صياد فاليه غراندي آثار أقدام كما وجد قفازاً كان بومبو قد فقده، ويبدو أنه لمح واحداً من مجموعتنا. تدعونا هذه الحادثة لتغيير خططنا، ومراعاة أقصى العناية والانتباه. سيذهب الصياد غداً مع أنطونيو ليريه الأمكنة التي نصب فيها أفخاخه لصيد التابير.

حدثني إنتي عن تحفظاته إزاء الطالب كارلوس الذي بدأ يتحدث، منذ وصوله، عن المشاركة الكوبية... وكان قد أعلن من قبل أنه لن يلتحق بالثورة ما لم يشترك الحزب في تفجيرها. ويبدو أن رودولفو قد عنّفه وأن مجيئه كان نتيجة سوء فهم.

---

(١) سيظهر ايضاً تحت اسْمَي مورو غورو وموغانفا أو الطبيب.

(٢) أو أولو.

(٣) في مكان آخر الروبيو.

(٤) ايفان.

١٢ كانون الأول

تحدثت مع أفراد المجموعة كلها ملقياً درساً حول حقائق الحرب وواقعها... وأكدت لهم ضرورة وحدة القيادة، والتمسك بالانضباط، وحذرت البوليفيين من المسؤولية التي تقع على عاتقهم لخرقهم تعليمات حزبهم وانتهاج خط آخر. قمت ببعض التعيينات: جواكين[١]، القائد العسكري الثاني، رولاندو وإنتي: مفوضان، اليجندرو رئيساً للعمليات، بومبو للجباية، إنتي للمالية، ناتو للتموين والتسليح، مورو للخدمات الطبية بصفة مؤقتة. خرج رولاندو وبروليو لتحذير المجموعة التزام الهدوء والسكنية حتى يقوم صياد فاليه غراندي بنصب أفخاخه ويعود من جولته الاستطلاعية مع أنطونيو. وقد عادا، في المساء، بعد أن وضعا المصايد في مكان غير بعيد. سكر الصياد وغادرنا في المساء نفسه وهو في غاية السرور بعد ان امتلأت معدته بزجاجة من السنغاني. رجع كوكو وكارانافي حيث قام بشراء المؤونة الضرورية، وقد رآه بعض من سكان (لاغونيلاس) الذين فوجئوا ودهشوا لوفرة الكميات المشتراة.

وصل ماركوس فيما بعد مع بومبو. إنه يتألم من جرح في حاجبه أصيب به وهو يقطع الخشب... وقد أجريت له عملية تقطيب.

١٣ كانون الأول

خرج جواكين وكارلوس والطبيب للإلتحاق برولاندو وبروليو. رافقهم بومبو ومعه أمر بالعودة في اليوم نفسه. عملت على تغطية الممر، وقمت بشق ممر آخر يبتدىء من نفس المكان وينتهي عند حافة الممر. وقد بلغ النجاح حداً جعل بومبو وميغيل وباشو يضلون طريقهم في أثناء عودتهم إلى المخيم.

جرى حديث مع أبولينار الذي سيتوجه إلى بيته في فياشا لقضاء بضعة أيام وقد زُوِّد ببعض المال لتقديمه إلى أسرته وأُوصي بالتزام الصمت المطبق. ودعنا كوكو هذا المساء ولكن في الساعة الثالثة اعطيت إشارة الخطر بعد أن سمع بعض الصفير والضجيج، وشرعت الكلبة بالعواء. تبين أن كوكو كان مصدر هذه الأصوات بعد أن ضل طريقه في الغابات.

---

(١) سيظهر أيضاً تحت اسم فيلو.

١٤ كانون الأول

يوم لا جديد فيه. زارنا صياد فاليه غراندي في البيت وهو في طريقه لتفقّد فخه الذي نصبه البارحة، عكس ما قاله أولاً. استدل انطونيو على الممر الذي شُق في الغابات ليصحب معه الصياد دون أن يثير الشكوك.

١٥ كانون الأول

لا جديد. تأهبنا لانتقال (ثمانية رجال) منا ليقيموا بصورة دائمة في المخيم رقم (٢).

١٦ كانون الأول

انطلقنا هذا الصباح نهائياً: انا وبومبو وأوربانو وتوما واليجندرو ومورو وارتورو وإنتي... مثقلين بالاحمال. قطعنا المسافة في مدة ثلاث ساعات. بقي رولاندو معنا، وانصرف جواكين وبروليو كارلوس والطبيب. تبين أن كارلوس يجيد المشي لمسافات طويلة عدا عن تحمُّله مشاق العمل. اكتشف مورو وتوما ثغرة في النهر مليئة بالاسماك الكبيرة واصطادا منها ١٧ سمكة. فذقنا بذلك طعاماً شهياً. جرحت إحدى الأسماك مورو في يده. جرى البحث عن مكان يصلح لإقامة كهف إضافي بعد الانتهاء من الكهف الأول وقد أرجئت الأعمال إلى الغد التالي. حاول مورو بالذات، وكذلك إنتي، أن يصطادا غزلان التابير Tapir وأمضيا الليل وهما يترصدان الطرائد.

١٧ كانون الأول

لم ينجح مورو وإنتي إلاّ في اصطياد طاووسة متوحشة. عكفت مع توما ورولاندو على حفر الكهف الإضافي وإعداده لليوم التالي، وبحث أرتورو وبومبو عن مكان يصلح للراديو ثم انصرفا بعد ذلك إلى تهيئة الطريق المؤدي إلى المدخل، وكان في حالة سيئة بالفعل. وفي المساء، بدأت السماء تمطر، ولم ينقطع المطر حتى طلوع الصباح.

١٨ كانون الأول

انهمر المطر طيلة النهار، ولكن العمل استمر في إعداد الكهف. لم يبق سوى القليل حتى يبلغ مترين ونصف المتر أي العمق المطلوب. قمنا

بتفتيش تل بدا صالحاً لوضع جهاز الراديو فيه. ولكن يجب التأكد من ذلك عملياً.

١٩ كانون الأول

يوم ممطر آخر لا يشجع على النزهة... ولكن في نحو الساعة الحادية عشرة وصل برولير وناتو يحملان أنباء إمكان اجتياز النهر على الرغم من عمق مياهه. وفي لحظة خروجنا، التقينا بماركوس وطليعته الذين جاءوا للإقامة معنا. سيحتفظ ماركوس بالقيادة. وقد أصدرت إليه الأوامر بإرسال ثلاثة إلى خمسة رجال، حسب الإمكان. قطعنا المسافة في مدة ثلاث ساعات.

وحوالي منتصف الليل، وصل ريكاردو وكوكو ومعهما أنطونيو والروبيو (لم يستطيعوا الحصول على بطاقاتهم في يوم الخميس المنصرم) وأبولينار الذي التزم نهائياً. وبالإضافة إلى ذلك، فقد وصل إيفان لتصفية كومة من الأعمال.

قضينا ليلة بيضاء في الحقيقة.

٢٠ كانون الأول

جرى نقاش حول بعض النقاط وكنت قد أصدرت جميع الأوامر حينما ظهرت مجموعة المخيم رقم (٢) يقودها اليجندرو ليعلن أنهم عثروا في الممر بقرب المخيم على طريدة مصابة بعيار ناري تحمل شريطاً في قدمها. وكان جواكين قد مرَّ في الطريق نفسه منذ ساعة تقريباً ولكنه لم يذكر شيئاً عن هذا الحادث. واتفقنا في الراي على أن صياد فاليه غراندي هو الذي جرَّ الطريدة إلى هناك ثم تخلّى عنها هارباً لسبب مجهول. وضعنا حراسة في المؤخرة وأرسلنا رجلين للبحث عن الصياد وإحضاره إذا ما عثرا عليه. وبعد مرور لحظة علم أن الطريدة قد ماتت منذ قليل وأنها كانت مليئة بالدود ثم عاد جواكين وأكد أنه قد رآها من قبل. أحضر كوكو ولورو الصياد ليرى الطريدة فأعلن أنه قد جرحها منذ عدة أيام بطلقة نارية وهكذا انتهى الحادث عند هذا الحد.

تقرر الإسراع في الإتصال برجل الاستعلامات الذي اهمله كوكو والتحدث مع ميجيا على أن يكون اداة الارتباط بينه وبين إيفان. ستتم

اتصالات هذا الاخير بميجيا وسانشيه وتانيا وبالشخص الذي سيختاره الحزب. لربما كان من فيلامونت ولكن يجب التأكد من ذلك. وصلت برقية من مانيلا تشير إلى أن مونجي في طريقه إلينا من الجنوب.

أنشئت شبكة للإتصال ـ ولكنها لم تعجبني لأنها تدل بوضوح على توجُس رفاق مونجي بالذات من رئيسهم.

في الساعة الواحدة صباحاً سيقولون لنا من لاباز إذا كان مونجي قد باشر رحلته. إن لإيفان قدرة على إنجاز الاعمال، ولكن جواز سفره غير المتقن لا يتيح له ذلك. يجب وينبغي تحسين هذه الوثيقة في مرة مقبلة، ويجب أن يكتب إلى مانيلا ليقوم الأصدقاء بتامين جواز سفر جديد.

ستاتي تانيا في المرة المقبلة لتاخذ بعض التعليمات... سوف أرسلها إلى بونس ايريس.

تقرر في النهاية أن يستقل ريكاردو وإيفان وكوكو الطائرة من كاميري وأن يتركوا سيارة الجيب هناك. وعندما يعودون من سفرهم يتصلون هاتفياً بلاغونيلاس للإعلام عن وصولهم. فيذهب جورج في المساء ليسأل عن الأخبار ويحضرهم إن كان ثمة ما يستدعي ذلك. لم نتلقَّ شيئاً من لاباز في الساعة الواحدة. وقد سافر الثلاثة إلى كاميري مع بزوغ الفجر.

٢١ كانون الأول

لم يترك لي اللورو الخرائط التي وضعها الذي قام بالاستطلاع، وما زلت أجهل طبيعة الطريق المؤدي إلى ياكي. إنطلقنا في الصباح، وقطعنا الطريق دون حدوث ما يعكِّر الصفو. يجب أن يهيأ كل شيء للرابع والعشرين... أي ليوم احتفالنا. قابلنا في الطريق باشو وميغيل وبينينيو وكومبا الذين يتولون نقل جهاز الراديو. وفي الساعة الخامسة بعد الظهر، عاد باشو وكامبو بدون الجهاز الذي أخفياه في الغابات لانه كان ثقيلاً فلم يستطيعا حمله. غداً سيتوجه خمسة من الرجال للقيام بهذه المهمة. إنتهى العمل في الكهف المعد للمؤن وغداً سنبدأ في تهيئة كهف للراديو.

٢٢ كانون الأول

بدأنا العمل في الكهف المخصص للراديو... كان العمل ناجحاً في البداية لكون الأرض طرية ولكن سرعان ما اصطدمنا بطبقة حجرية قاسية جداً

حالت بيننا وبين التقدم في الحفر. قام الرجال بإحضار جهاز الراديو الذي يبدو ثقيلاً ولكنهم لم يجربوه لعدم توفر المحروقات. أعلن لورو أنه لن يرسل الخارطة لأن التقرير شفهي وسوف يحمله غداً بنفسه.

٢٣ كانون الأول

خرجنا أنا وبومبو وأليجندرو لاستكشاف المنطقة الشمالية، وكان علينا ان نشق فيها طريقاً ولكن خيّل لنا أننا نستطيع ان نتقدم فيها بكل سهولة. قدم جواكين مع رفيقين ليعلن أن اللورو لن يستطيع المجيء بسبب فرار احد الخنازير واضطراره للبحث عنه. لا نبأ عن الطريق الذي سلكه رجل لاغونيلاس.

حضر الخنزير بعد الظهر، وكان سميناً، ولكننا كنا نفتقر للمشروبات. إن لورو عاجز عن ابتياع مثل هذه الأشياء ويبدو عمله في غاية الفوضى.

٢٤ كانون الأول

يوم مكرّس لسهرة عيد الميلاد. قام عدد من رفاقنا برحلتين، ووصلوا بذلك متأخرين، ولكننا اجتمعنا في النهاية وقضينا وقتاً ممتعاً حتى طفح الإناء لدى بعضهم، قال لورو إن رحلة رجل (لاغونيلاس) لم تثمر وإنه قد حصل على مجرد تصميم (كروكي) ليس دقيقاً في أية حال من الاحوال.

٢٥ كانون الأول

عدنا إلى العمل ولم نقم باية رحلة إلى المخيم الأول الذي سمي ث ٢٦، كما اقترح الطبيب البوليفي. خرج ماركوس وبينينيو وكامبا لشق طريق إلى سفح التل من ناحية اليمين، وعادوا متأخرين في المساء يقولون: إنهم شاهدوا ما يشبه مرجاً قاحلاً على مسيرة ساعتين من الطريق وسوف يتوجهون إليه في الغد. عاد كامبا محموماً. شق ميغيل وباشو بعض الدروب للتضليل والتمويه في الجزء الأيسر كما شقوا منفذاً إلى كهف الراديو. تابعت مع إنتي وانطونيو وتوما العمل في كهف الراديو وقد لاقينا مشقة كبرى بسبب طبقة الأرض الصخرية. إنهمك الحرس في المؤخرة بإقامة مخيمهم، وفي البحث عن مكان للرصد يشرف على طرفي منفذ النهر.

٢٦ كانون الأول

توجه إنتي وكارلوس لاستكشاف المكان المسمى ياكي على الخارطة.. إنها رحلة تتطلب يومين. تابع رولاندو واليجندرو وبومبو عملهم المتعب في الكهف القاسي التربة. خرجت مع باشو لاستطلاع الدروب التي فتحها ميغيل، ولم أرَ جدوى من إتمام الممر الذي يقود إلى منطقة التل. إن الممر المؤدي إلى الكهف ليس شيئاً ومن الصعب اكتشافه. قتلنا ثعبانين بالإضافة إلى ثعبان قتلناه البارحة. يبدو أن الثعابين منتشرة في المنطقة. ذهب توما وارتورو والروميو وانطونيو إلى الصيد وبقي درولبو وناتو في حراسة المخيم الآخر. ذكرا أن سيارة لورو قد انقلبت، وحملا إلي المذكرة التفسيرية التي تعلن عن وصول مونجي. خرج ماركوس وميغيل وبينينيو لتوسيع الطريق المؤدي إلى التل، ولكنهم لم يعودوا في المساء.

٢٧ كانون الأول

خرجنا مع توما نبحث عن ماركوس. سرنا ساعتين ونصف الساعة حتى وصلنا إلى جدول صغير ينحدر من الناحية اليسرى باتجاه الشرق وتتبعنا الآثار في هضاب وعرة. وتوقعت أن أصل إلى المخيم من هذا الطريق ولكننا وصلنا إلى ناكاهوازو على بعد خمسة كيلومترات من أسفل المخيم رقم (١) وانتهى بنا المطاف إلى المخيم في الساعة السابعة. وهناك علمنا بأن ماركوس قد قضى فيه الليلة المنصرمة. لم أنبىء أحداً بوصولي ظناً مني أن ماركوس قد أخبرهم عن الطريق الذي سوف أسلكه. رأينا سيارة الجيب المقلوبة وكانت شبه مخرّبة. ذهب لورو إلى (كاميري) سعياً وراء قطع الغيار. ويبدو أن النعاس داهمه أثناء قيادة السيارة كما روى ناتو.

٢٨ كانون الأول

بينما كنا نهم بالخروج للتوجه إلى المخيم، وصل أوريانو وانطونيو اللذان كانا يجدّان في البحث عني. إستمر ماركوس مع ميغيل في شق طريق إلى المخيم عبر سفح الهضبة ولم يعودا. وقد توجه بينينيو وبومبو للبحث عني، وسلكا نفس الطريق الذي سرنا فيه، وحين وصولي إلى المخيم التقيت بماركوس وميغيل اللذين أمضيا ليلتهما في السفح دون أن يتمكنا من العودة إلى المخيم، وشكا هذا الأخير إلي من الطريقة التي عومل بها. ويبدو أن شكواه موجهة ضد جواكين واليجندرو والطبيب. عاد إنتي

وكارلوس بدون أن يجدا أي أثر لبيت ماهول... باستثناء دار مهجورة لا تتفق على الأرجح مع النقطة المسماة ياكي على الخارطة.

٢٩ كانون الأول

توجّهت مع ماركوس وميغيل واليجندرو إلى المرج القاحل لكي نتفقد المكان. يبدو أن هذا هو بداية (البامبا ديل تيغر)، وهي سلسلة من الجبال العارية ذات ارتفاع متقارب بحدود ١٥٠٠ متر. يجب عدم سلوك السفح اليساري لأنه ينحدر نحو ناكاهوازو. باشرنا الهبوط ووصلنا إلى المخيم في غضون ساعة وعشرين دقيقة. أرسلنا ثمانية رجال لجلب الحوائج ولم ينجحوا في نقلها كلها. حل الرومبيو والطبيب مكان بروليو وناتو. قام هذا الأخير بشق ممر جديد قبل عودته... يبدأ من حجارة قاع النهر ثم يغوص في الغابات من الجانب الآخر.. إنه ممر تغطيه الحصى بكامله فلا يترك أثراً للأقدام. لم نعمل في الكهف. وقد سافر لورو إلى كاميري.

٣٠ كانون الأول

على الرغم من الأمطار التي رفعت منسوب النهر، توجه أربعة رجال للتخلص من بقايا المخيم رقم / ١/.. الآن، يبدو كل شيء واضحاً. لم تصلنا أنباء من الخارج. خرج ستة رجال إلى الكهف، في رحلتين، وأخفوا كل ما يجب إخفاؤه. لم ينته العمل في الفرن لأن الطين كان طرياً.

٣١ كانون الأول

قَدِم الطبيب في الساعة السابعة والنصف ليعلن وصول مونجي... ذهبت لمقابلته مع أنتي وتوما واوريانو وارتورو. كان اللقاء ودياً ولكنه مشوب بالتوتر... وكان هناك سؤال يحوم في الجو: «ما الذي تريده؟» كان يصحبه «بان ديفينو»[1] العضو الجديد وتانيا التي جاءت لتتلقى التعليمات، وريكاردو للبقاء معنا.

بدأ الحديث مع مونجي حول أشياء عامة ثم انتقل بسرعة إلى المشاكل الأساسية التي يمكن تلخيصها بثلاثة شروط أساسية:

---

(١) جرى ذكره في مكان آخر تحت اسم بيدرو.

١ ـ سيتخلى عن قيادة الحزب وسينجح في إقناعه بالتزام الحياد على الاقل، وستنضم بعض عناصره إلى المعركة.

٢ ـ تكون القيادة السياسية والعسكرية معقودة له طالما الثورة قائمة على الأرض البوليفية.

٣ ـ سيقيم علاقات مع احزاب اخرى في اميركا الجنوبية في محاولة يبذلها لإقناعها بتأييد حركات التحرر (وقدم مثالاً على ذلك: دوغلاس برافو).

اجبته بان النقطة الاولى تخصه بالذات بوصفه سكرتيراً للحزب مع انني اعتبر موقفه هذا خطيئة كبرى. إنه موقف متردد، ينبع من انصاف الحلول ويطمع لتخليد دور أولئك الذين يجب إدانتهم لموقفهم المتارجح. ستثبت الايام صحة ما اقول. لم اعترض بخصوص النقطة الثالثة على محاولة إنشاء هذه الاتصالات على الرغم من اعتقادي بأنها ستخفق. فمطالبة كودوفيلا بمساعدة دوغلاس برافو هي كمطالبته بتأييد تمرد يقوم في داخل حزبه بالذت. وهنا أيضاً سيحكم الزمن على صحة ذلك.

اما النقطة الثانية فلم أكن استطيع قبولها باي حال من الأحوال. لن يكون القائد العسكري سواي أنا ولا مجال للإلتباس حول هذه النقطة. توقّف النقاش هنا وأصبح حلقة مفرغة.

إتفقنا على ان يعيد مونجي النظر في موقفه ويعود إلى التشاور مع الرفاق البوليفيين. وانتقلنا إلى المخيم الجديد. وهناك تحدث مع جميع الرفاق طارحاً عليهم هذا الاختيار الصعب: البقاء أو مساندة الحزب. إختار الجميع البقاء.. وقد أحزنه ذلك كما يبدو. وعند حلول الظهر جرى تبادل الانخاب وأشار حينذاك إلى أهمية هذا اللقاء التاريخي، وانتهزت كلماته هذه لأشير إلى هذه اللحظة وكانها بداية الثورة في القارة... وإلى أن أرواحنا لا تعد شيئاً مقابل نجاح الثورة.

ارسل إليّ فيدل الرسائل المرفقة هنا.

التحليل الشهري

إكتمل الفريق الكوبي بنجاح: معنويات الرجال جيدة والمشاكل المطروحة صغيرة وقليلة، والبوليفيون على الرغم من قلة عددهم، جيدون.

إن موقف مونجي قد يعرقل نمو حرب العصابات من ناحية ولكنه يساهم فيها من ناحية أخرى بعد تحرره من أنصاف الحلول السياسية. إن الإجراءات المقبلة، إلى جانب انتظار بعض البوليفيين الآخرين، تتضمن التحدث مع غيفارا والأرجنتينيين موريسيو[1] وجوزامي (ماسيتي والحزب المنشق).

(١) سيظهر أيضاً تحت إسمي البيلاو وكارلوس.

كانون الثاني ١٩٦٧

١ كانون الثاني

اخبرني مونجي، هذا الصباح، دون سابق نقاش، بعزمه على الرحيل والاستقالة من قيادة الحزب بتاريخ ١/٨ فهو يرى ان مهمته انتهت. وقد غادرنا مقطب الجبين وكأنه يساق إلى المشنقة. يلوح لي أنه علم من كوكو بانني مصمم كل التصميم على عدم التفريط بالمسائل الستراتيجية، وأنه قد انتهز هذه الفرصة لقطع العلاقات معنا بعد أن أدرك أن حججه واهية.

عقدت اجتماعاً بعد الظهر لكافة المحاربين، وشرحت لهم موقف مونجي واخبرتهم باننا سوف نعمل على وحدة جميع أولئك المؤمنين بالثورة المسلحة، كما توقعت للبوليفيين لحظات صعبة وأياماً كاملة من العذاب النفسي... سوف نحاول إيجاد حل للمشاكل المطروحة عن طريق المناقشات الجماعية وبالاشتراك مع جميع المفوضين السياسيين.

عرضت بعض المعلومات عن رحلة تانيا إلى الأرجنتين للإلتقاء بموريسيو وجوزامي ودعوتهما للحضور إلى مخيمنا. وقد حددنا بالتفصيل المهام الملقاة على عاتق سانشيه واستقر رأينا على أن يبقى الرفاق: رودولفو ولويولا وهمبرتو في لاباز في الوقت الحاضر. أما في كاميري فقد

ابقينا شقيقة لويولا وفي سانتا كروز، كالفيمونت. سيقوم ميتمو برحلة إلى منطقة «سوكر» بحثاً عن مكان يقيم فيه وسيعهد إلى لويولا بالإشراف على الشؤون المالية... وسيصله قريباً مبلغ ٨٠,٠٠٠ بيزوس منها ٢٠,٠٠٠ بيزوس مخصصة لكالفيمونت لشراء شاحنة. سيتصل سانشيه بغيفارا لتحديد موعد لمقابلته، أما كوكو فسيذهب إلى سانتا كروز لإجراء محادثات مع شقيق لكارلوس، لتكليفه بمهمة استقبال الرجال الثلاثة الذين سيصلون من هافانا. كتبت إلى فيدل الرسالة المرقمة في الوثائق (١٠٢) س زو.

٢ كانون الثاني

أمضينا الصباح كله في كتابة الرسالة بالشيفرة. سافر سانشيه وكوكو وتانيا بعد الظهيرة، وبعد انتهاء خطاب فيديل مباشرة. لقد تحدث فيديل عنا بعبارات أثارت فينا مزيداً من الشعور بالمسؤولية ومن التصميم على العمل... إن أمكن ذلك.

أما في المخيم فقد تناولت الأعمال حفر الكهف. خرج الرجال بجولة استطلاعية في الشمال، بينما استطلع إنتي وكارلوس نهر (ناكاهوازو) إلى أن عثرا على أناس بقرب ياكي. عهد إلى جواكين والطبيب باستشكاف (الياكي) حتى منبعه أو إلى أن يصلا إلى منطقة مأهولة، وحددت لهم جميعاً مهلة خمسة أيام فقط لتنفيذ مهماتهم.

عاد رجال المخيم يقولون إن لورو لم يعد بعد وداع مونجي.

٣ كانون الثاني

إنصرفنا إلى إعداد سقف للكهف، ولكننا أخفقنا، ولا بد من إنهاء ذلك غداً. خرج رجلان فقط لنقل الحاجيات وعادا، بعد ذلك، ليعلنا أن جميع الرفاق قد سافروا مساء البارحة. إنهمك بقية الرجال في سقف المطبخ وانتهوا من إعداده.

٤ كانون الثاني

يومٌ عادي لا جديد فيه، أمضاه الرجال في أعمال النقل، من جهتنا، انهينا حفر الملجأ المخصص لجهاز الاتصال. توقفت التدريبات على الرماية بسبب المطر.

٥ كانون الثاني

تابعنا أعمال النقل. لا يزال أمامنا البعض منها انتهى بناء الملجأ وتوابعه (ملجأ أصغر للمولد الكهربائي). كشف على بنادق مؤخرة الطابور والعديد من بنادق وسطه، انها في حالة جيدة، ما عدا بندقية أبوليناريو. عاد جميع الكشافين. إنتي وكارلوس سلكا طريق نانكاهوازو لكي يلتقيا ببعض السكان. لقد وجدا عدة بيوت، من بينها منزل لمربيين للحيوانات، يمتلك احدهما ١٥٠ بقرة ويعيش في لاغونياس. هناك قرية صغيرة تسمى ايتي، تنطلق منها طريق للماشية باتجاه لاغونياس؛ من تلك الطريق وصلا إلى تيكوشا، المتصلة بقرية ياكا غوزمان عبر طريق مخصص للشاحنات، ثم عادا عبر ممر يقود إلى نهر ايكيري، الذي أطلقنا عليه اسم ياكي. المكان الذي يسمى ياكي هو مزرعة قريبة من ذلك المخيم، مهجورة من ساكنيها بسبب الطاعون البقري. تابع جواكيم والطبيب طريقهما بمحاذاة مجرى ايكيري إلى أن اصطدما بصخورٍ عالية وعرة، دون أن يلتقيا بأحد، لكنهما لاحظا آثار اقدام. استكشف ماركوس وميڤيل وبينينيو أراضي الداخل حتى وصلوا إلى مكان لا يمكن بلوغه، يظهر على الخريطة كأنه جرف (شاطىء صخري).

لدينا متطوع جديد، دجاجة حبشية برية التقطها إنتي.

٦ كانون الثاني

توجهنا في الصباح، أنا وماركوس وجواكين واليخاندرو وإنتي لتفقد الهضبة الجرداء... وهناك اتخذت قراري التالي: سيحاول ماركوس وكامبا وباشو أن يصلوا إلى ناكاهوازو من الجانب الأيمن تجنباً لأي لقاء بالسكان... أما ميغيل وبروليو وانيسيتو فسوف يبحثون عن ممر في سفح الهضبة ويسلكون بذلك الطريق الرئيسي. ويقوم جواكين وبينينيو وإنتي بالبحث عن ممر باتجاه (الفرياس) الذي يبدو مجراه على الخارطة موازياً لمجرى ناكاهوازو، على الجانب الآخر من الهضبة التي يعتقد أنها: (البامبا ديل تيغر).

وصل لورو بعد الظهر يجر وراءه بغلتين كان قد اشتراهما بمبلغ ٢٠٠٠ بيزوس... صفقة موفقة ولا شك، فهي حيوانات لطيفة وقوية. أرسلت في اثر بروليو وباشو ادعوهما للحضور حتى يستطيع باشو أن

يسافر في الغد باكراً، وقد حل مكانهما كارلوس والطبيب.

بعد انتهائي من إلقاء محاضرتي على الرفاق، تحدثت قليلاً عن خصائص حرب العصابات وعن ضرورة انضباط أفضل... وشرحت للحاضرين أن مهمتنا تتضمن قبل كل شيء تكوين نواة مثالية، نواة فولاذية... ثم انتقلت بعد ذلك إلى شرح أهمية الدراسة التي لا غنى عنها، وهي في نظري ضرورية لعملنا في المستقبل. وعقدت بعد ذلك اجتماعاً لقادة المجموعات: جواكين وماركوس واليخاندرو وإنتي وورولاندو وبومبو والطبيب وناتو ريكاردو وشرحت لهم الأسباب التي دعتني لتعيين جواكين في منصب الرئيس العسكري الثاني بدلاً من ماركوس الذي ارتكب عدة مرات الأخطاء نفسها. انتقدت موقف جواكين من الحادثة التي جرت بينه وبين ميغيل في مطلع السنة الجديدة، ثم شرحت بعض المهام التي يجب إنجازها لتحسين منظمتنا.

وفي النهاية، قص عليّ ريكاردو حادثاً جرى له مع إيفان، بحضور تانيا... ويبدو أنهما قد تشاتما وأن ريكاردو طلب من إيفان إخلاء سيارة الجيب. إن هذه المشادات التي تقع بين الرفاق تسيء إلى عملنا.

٧ كانون الثاني

خرج المستطلعون. تألفت «الفوندولا» فقط من اليخاندرو وناتو ووقف جهد الآخرين على القيام بأعمال داخلية. أحضرنا الراديو وجميع حاجيات أرتورو وقمنا بتهيئة سقف إضافي للكهف، كما أصلحنا آبار المياه وأقمنا جسراً صغيراً على الجدول.

٨ كانون الثاني

يوم أحد، استمرت الفوندولا حتى الساعة الثامنة. تم نقل كل شيء تقريباً، أعلن اللورد عن رحلة غير مخطط لها إلى سانتا كروز، لايجاد طقومة للبغال كما يبدو. لا دروس ولا أي نشاط آخر، اضطررت للعمل في الخارج، متعرضاً للطقس السيء.

٩ كانون الثاني

هطل المطر، كل شيء تبلل، فاض النهر وأصبح عبوره مستحيلاً، بحيث تعذر اجراء التبديل في المخيم القديم.

يوم دون أي حادث آخر.

١٠ كانون الثاني

استبدل الحرس الثابت للمخيم القديم روبيو وابولينار مكان كارلوس والطبيب. كان النهر ما يزال طافحاً بالمياه رغم انخفاض منسوبه. وتوجه لورو إلى (سانتا كروز) ولم يعد بعد.

تسلقنا أنا والطبيب (مورو) وتوما وانطونيو الذي عهد إليه بحراسة المخيم، جبل (البامبا ديل تيغر). وهناك شرحت لانطونيو مهمته في صباح الغد والتي تقضي باستطلاع جدول يعتقد بوجوده في غربي مخيمنا. وسعينا من هناك لبلوغ طريق ماركوس القديم ووصلنا إليه بسهولة. وعند هبوط الليل عاد ستة من المستكشفين: ميغيل مع برووليو وأينستو ثم جواكين مع بينينيو وإنتي. نجح ميغيل وبرووليو في إيجاد منفذ إلى النهر الذي يمر بسفح الهضبة واكتشفنا بعد ذلك فرعاً آخر يبدو انه (ناكاهوازو). نجح جواكين في السير مع النهر وهو في الغالب نهر (الفريياس)، ولعله نفس النهر الذي استكشفته المجموعة الأولى... مما يدل على أن خرائطنا سيئة للغاية... لقد ذكر فيها أن النهرين تفصل بينهما أحراش كثيفة ليصبا بعد ذلك كل على انفراد في الغرانديه.

وصلتنا رسالة من هافانا تعلن أن الشينو سيغادرها في الثاني عشر بصحبة الطبيب وخبير الراديو... وسيسافر (ريا) أيضاً في الرابع عشر... ولم تتحدث الرسالة عن رفاقنا الآخرين.

١١ كانون الثاني

خرج أنطونيو لاستطلاع الجدول المجاور يصحبه كارلوس وأرتورو، وعادوا في المساء، وكل ما جاؤوا به هو أن الجدول يصب في (ناكاهوازو) مقابل المراعي التي نصطاد فيها.

إنهمك اليخندرو وبومبو في رسم الخرائط في كهف أرتورو ثم جاءا ليخبراني أن كتبي قد بللتها الأمطار وبأن بعضها قد تلف وأن أجهزة اتصال الراديو قد تبللت هي أيضاً وعلاها الصدأ. ولو عرفنا ان جهازي الراديو قد تلفا.. لادركنا مدى مواهب ارتورو الفذة.

وصل ماركوس في المساء... لقد استكشف (ناكاهوازو) عبر مسافات بعيدة، ولم يستطع أن يصل إلى نقطة التقاء هذا النهر مع فريياس. لست

واثقاً تماماً من صحة الخرائط ولا من صحة هوية المجرى الأخير.

بدأنا في دراسة «الكيشوا» بقيادة انيستو وبيدرو.

يوم «البورو»[١]. أخرجنا من ملابس ماركوس وكارلوس وبومبو وانطونيو ومورو وجواكين يرقات الذباب.

١٢ كانون الثاني

أرسلنا «الغوندولا» لإحضار الحاجيات المتبقية. لم يعد لورو حتى الآن... وقد قمنا بالتدريب على تسلق التلال المحيطة بجدولنا، فقضينا ساعتين حتى وصلنا إليها من الجانبين، بينما لم يستغرق صعود التلال من الوسط أكثر من سبع دقائق... يجب أن نقيم ترتيباً دفاعياً في هذه المنطقة بالذات.

أخبرني جواكين بأن ماركوس قد تأثر من الملاحظة التي أبديتها بخصوص أخطائه أثناء الاجتماع السابق. يجب أن أتحدث معه حول هذا الموضوع.

١٣ كانون الثاني

تحدثت إلى ماركوس. وقد شكا من توجيه اللوم إليه بحضور البوليفيين.. كانت حجته واهية ولا شيء بالذات يثير الاهتمام عدا حالته العاطفية التي تستحق المراعاة.

استشهد ماركوس بعبارات محقرة صدرت بحقه عن اليجندرو، وقد تقصيت حقيقة الأمر مع هذا الأخير، وتبين أن ذلك لا أساس له من الصحة، وأن كل ما جرى لا يتعدى بعض المزاح. وقد هدأ ماركوس قليلاً.

خرج إنتي وأمورو إلى الصيد ولكنهما عادا خاويي الوفاض.

توجه بعضهم لحفر الكهف في المكان الذي تستطيع البغال الوصول إليه... ولكن المشروع فشل واستعضنا عنه بكوخ صغير من الطين.

قام أليخندرو وبومبو بدراسة حول وسائل الدفاع عن المنفذ المؤدي إلى المخيم ووضعا العلامات لحفر الخنادق وسيتابعان عملهما في الغد.

عاد الروبيو وأبولينار وتوجه بروليو وباشو إلى المخيم القديم. لا أنباء من لورو.

---

(١) ذبابة تضع يرقاتها أثناء لسعها.

١٤ كانون الثاني

عبر ماركوس مع مجموعته، باستثناء بينينيو، مجرى النهر بقصد بناء الكوخ الطيني... كان عليه أن يعود في المساء، ولكنه اختصر عمله قبل إنهاء الكوخ وعاد في ساعة الظهيرة هرباً من الأمطار.

عهد إلى جواكين بقيادة المجموعة المكلفة بحفر الخنادق. خرجنا أنا ومورو وانتي واوربانو لشق طريق يحيط بموقعنا في السفح القائم على يمين الجدول، ولكن تبين أن اتجاهنا كان خاطئاً مما اضطرنا إلى سلوك منحدرات وعرة. وفي الظهيرة أمطرت السماء، وتأجلت بذلك جميع نشاطاتنا.

لا انباء من لورو.

١٥ كانون الثاني

بقيت في المخيم لأكتب بعض التعليمات الموجهة إلى عناصرنا في المدينة. ولما كنا في يوم الأحد، فقد توقفت الأعمال بعد الظهر: انهمك ماركوس في الصباح مع مجموعته بإعداد الكوخ بينما انصرف الحرس، في المؤخرة والوسط، إلى حفر الخنادق، وتكفل ريكاردو واوربانو وانطونيو بتحسين طريق البارحة ولكنهم أخفقوا في مسعاهم بعد أن اصطدموا بمنحدر صخري شديد بين التل المؤدي إلى النهر وبين سفح الهضبة. لم نقم بزيارة المخيم القديم.

إستمر العمل في حفر الخنادق بينما أوشك ماركوس على الانتهاء من بناء كوخ جميل. حل الطبيب وكارلوس مكان بروليو وبيدرو ووصل هذان الأخيران ليخبرانا بأن لورو قد عاد من رحلته وبرفقته البغال ولكنه لا يزال متخفياً رغم توجه انيستو لملاقاته.

ظهرت بعض أعراض الملاريا على اليجندرو.

١٦ كانون الثاني ١٩٦٧

تابعنا العمل الذي لم ينته بعد، في حفر الخنادق. انهى ماركوس عمله تقريباً وباشر ببناء منزل صغير لا بأس به. الطبيب وكارلوس حلا محل بروليو وبيدرو، أعلنا عن وصولهما. عاد لورو مع البغال، إلا انه لم يظهر، رغم ان انيستيو كان امامه.

ظهرت على اليخندرو عوارض الملاريا.

١٧ كانون الثاني

يوم هادىء بعض الشيء... إنتهى العمل في خنادق الخط الأول وكذلك في الكوخ الطيني.

جاء لورو ليقدم تقريراً عن رحلته. ولما سألته عن الاسباب التي دعته للسفر أجابني انه كان يعتبر هذه الرحلة من صميم خططنا. ثم اعترف، بعد ذلك، أنه سافر لمقابلة امرأة يعرفها هناك. لقد أحضر معه لجاماً للبغل ولكنه لم ينجح في دفعه إلى السير في النهر.

لا أنباء من كوكو... وهذا ما يبعث على القلق.

١٨ كانون الثاني

السماء ملبدة بالغيوم مما دفعني إلى تأجيل تفتيشي للخنادق. إستقل أوربانو وناتو والطبيب (مورو) وأنتي وأنيستو وبروليو «الغوندولا» واعتذر اليجندرو عن العمل بسبب مرضه.

بدأت السماء تمطر بغزارة وجاء لورو تحت المطر الغزير ليخبرنا بأن ارغاناراز قد تحدث مع انطونيو وبدا مطلعاً على دخائل امور كثيرة... عرض عليه التعاون معنا في تجارة الكوكايين أو أي عمل آخر، مشيراً بذلك إلى انه يشك أن في الامر شيئاً غير طبيعي. أصدرت أمري إلى لورو بالتعاقد معه دون أن يعده بشيء ما عدا دفع تعويضه عن الحاجيات التي سينقلها إلينا في سيارة الجيب وكذلك بتهديده بالقتل فيما لو بدرت منه أية بادرة خيانة. خرج لورو على الفور، وتحت وابل المطر الشديد، خوفاً من ارتفاع منسوب النهر.

لم تعد «الغوندولا» في الساعة الثامنة. ووزع الطعام المخصص لركابها على الحاضرين فالتهموه بسرعة. ووصل بروليو وناتو بعد ذلك بعدة دقائق وقالا لنا إن برك الامطار عطلتهم وإن إنتي قد سقط في الماء وفقد بندقيته، وهو يعاني من بعض الرضوض. أما الآخرون فقد قرروا قضاء الليل هناك.

١٩ كانون الثاني

بدأ اليوم كالعادة في أعمال الدفاع وتحسين المخيم. اصيب ميغيل

بارتفاع قوي في الحرارة، وتشير الدلائل كلها إلى أنها أعراض الملاريا. وشعرت من جانبي بالقشعريرة، طيلة النهار، ولكن المرض لم يداهمني.

وصل الرجال الأربعة الذين تخلّفوا أمس، في تمام الساعة الثامنة صباحاً ومعهم كمية كبيرة من الذرة.. لقد أمضوا ليلتهم قابعين حول نار اشعلوها للتدفئة. لن نستطيع استرجاع البندقية قبل انخفاض منسوب النهر.

وفي حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، وعندما خرج روبيو وبيدرو ليقوما بدورهما بحراسة المخيم الآخر مكان الحارسين الآخرين، جاء الطبيب لينبئنا بأن رجال البوليس قد وصلوا إلى المخيم المذكور. لقد وصل الملازم الأول فيرنانديز وبرفقته أربعة من رجال الشرطة في ثياب مدنية على متن سيارة جيب استأجروها للبحث عن مصنع الكوكايين، وقد فتشوا المنزل، واسترعت انتباههم بعض الأشياء الغريبة كأقراص الوقود الجاف التي نستخدمها في إشعال قناديلنا... والتي لم نُخفها في الكهف. وقد انتزعوا المسدس من لورو ولكنهم تركوا له الموزر، والبندقية عيار ٢٢ وتظاهروا أيضاً بانتزاع البندقية عيار ٢٢ من أرغاناراز أمام لورو، ثم تركوها بعد تحذيرهم بأنهم مطلعون على كل شيء وأنهم يراقبون ما يجري هنا. وقال الملازم الأول فرنانديز للورو إنه يستطيع استعادة مسدسه في كاميري «بدون إثارة ضجة، شرط أن يتحدث معه» ثم سأل عن أخبار «البرازيلي».

صدرت التعليمات إلى لورو بأن يقوم بتهديد صياد فاليه غراندي وكذلك أرغاناراز اللذين يشتبه بقيامهما بأعمال التجسس والوشاية. كما طلب إليه أن يتوجه إلى كاميري بحجة استعادة المسدس المصادر ويتصل هناك بكوكو (أخشى أن يكون قد دخل السجن).

علينا أن نظل في الغابات أطول فترة ممكنة.

٢٠ كانون الثاني

تفقدت المراكز وأصدرت أوامري بإنجاز التجهيز الدفاعي الذي تم شرحه في الليلة الماضية. وتقوم الخطة على الدفاع السريع عن منطقة مجاورة للنهر، على أن يقوم بهجوم مضاد رجال الطليعة الذين يتخذون مراكزهم في طرق محاذية للنهر تقود إلى المؤخرة.

وكنا نعتزم القيام بتدريبات عديدة ولكن الموقف ازداد سوءاً في المخيم بعد أن ظهر رجل غريب عن المنطقة، وأطلق عدة عيارات من بندقية م ـ ٢ وتبين أنه «صديق» لارغاناراز جاء لقضاء عشرة أيام في منزله. اتخذنا قراراً بتعزيز مجموعات الاستطلاع، وبنقل المخيم إلى جوار منزل ارغاناراز حتى إذا حدث ما ليس في الحسبان استطعنا أن نصفي الحساب معه قبل إخلاء المنطقة.

لا يزال ميغيل يعاني حمى شديدة.

٢١ كانون الثاني

تدرّبنا على معركة وهمية، كانت ناجحة، بشكل عام، وإن أخفقت في بعض نواحيها، ولعل أضعف ما في الخطة عملية الانسحاب التي يجب أن نوليها المزيد من الاهتمام.

خرجت المجموعات بعد ذلك: الأولى بقيادة بروليو، وقد عهد إليها باستكشاف طريق محاذ للنهر باتجاه الغرب، والثانية بقيادة رولاندو، وقد عهد إليها بنفس المهمة لكن في اتجاه الشرق. أما باشو فقد توجه إلى الهضبة الجرداء لتجربة جهاز الاتصال، ومضى ماركوس مع أينسيتو للعثور على ممر يتيح مراقبة ارغاناراز على أفضل وجه. حددت ساعة العودة للجميع قبل الساعة الثانية باستثناء ماركوس... وقد نُفذت المهام المطلوبة، وكانت تجارب الإرسال مرضية. عاد ماركوس في ساعة مبكرة لأن المطر حال بينه وبين الرؤية.

وصل بيدرو تحت سيل المطر، وأحضر معه كوكو وثلاثة أعضاء جدد هم: بنجامين وأوسيبيو ووالتر. سيلتحق الأول، وهو كوبي بالطليعة لكونه ملماً باستخدام السلاح، أما الآخران فسوف يفرزان إلى حرس المؤخرة. تحدث مونجي إلى ثلاثة رجال قادمين من كوبا محاولاً إقناعهم بعدم الانضمام إلينا. فهو لم يكتف بعدم الاستقالة من قيادة الحزب ولكنه أرسل إلى فيديل الوثيقة د/ ٤ المرفقة.

تلقيت مذكرة من تانيا بخصوص سفرها ومرض إيفان، كما تلقيت مذكرة ثانية من هذا الأخير د/ ٥ وهي الوثيقة المرفقة.

جمعت الرفاق كلهم، في الليل وقرأت عليهم الوثيقة، وأشرت إلى الأخطاء المتضمنة في النقطتين أ وب ووجهت كذلك بعض الانتقادات الصغيرة. يبدو

انهم تقبلوا موقفي بروح إيجابية. إن اثنين من المتطوعين الثلاثة الجدد يبدون أشداء البنية وواعين.. وأصغرهم هو فلاح من إيمارا صحيح البنية وقوي.

٢٢ كانون الثاني

خرجت «الغوندولا» وعليها ١٣ شخصاً بالإضافة إلى برولیو ووالتر اللذين سيحلان محل بيدرو والروبيو. عادوا جميعهم بعد الظهر دون أن يتمكنوا من إحضار كل الحاجيات. كل شيء هادىء هناك. سقط الروبيو سقطة شديدة في طريق عودته، ولكن إصابته ليست خطيرة.

كتبت إلى فيديل الوثيقة رقم ٣ لأشرح له حقيقة الوضع، وأختبر بذلك صندوق الرسائل. عليَّ أن أرسل المذكرة إلى لاباز بواسطة غيفارا، أحد المتطوعين البوليفيين، إذا جاء إلى كاميري في الخامس والعشرين حسب الموعد المحدد.

إنني أعد الآن التعليمات الكتابية إلى عناصرنا في المدينة (الوثيقة د /٣) كان النشاط خفيفاً في المخيم بسبب خروج «الغوندولا». بدأ الآن ميغيل يتماثل للشفاء، ولكن كارلوس أصيب بدوره بارتفاع قوي في الحرارة. أجرينا اليوم اختبارات السل، واصطدنا طاووستين بريتين، ووقع حيوان صغير في الفخ ولكن ساقه بترت مما ساعده على الهرب.

٢٣ كانون الثاني

توزَّعنا المهام في داخل المخيم، وكذلك بعض الاستطلاعات التي يجب القيام بها. خرج إنتي وورولاندو وأرتورو للبحث عن مكان يصلح كمخبأ للطبيب ولجريح واحد. ذهبنا أنا وماركوس وأوربانو لاستكشاف الهضبة المواجهة لنا واختيار مكان فيها يصلح لمراقبة منزل أرغاناراز... وقد وجدنا ما نصبو إليه وهو يشرف تماماً على تلك البقعة.

لا يزال كارلوس محموماً: إنها الملاريا.

٢٤ كانون الثاني

خرجت «الغوندولا» وعليها سبعة رجال، ثم عادت باكراً محملة بالحاجيات والذرة.. وفي هذه المرة سقط جواكين في الماء، وفقد بندقية «الغاران» ولكنه استرجعها في الحال. عاد لورو وهو الآن في المخبأ. لا

يزال كوكو وأنطونيو في الخارج، ويجب أن يعودا غداً أو بعد غد ومعهم غيفارا.

اصلحنا إحدى الطرق لاستخدامها في تطويق الجنود الأعداء إذا اضطرتنا الظروف إلى الدفاع عن مواقعنا. وفي المساء، جرى شرح للتدرب الذي قمنا به ذلك اليوم مع تصحيح الأخطاء.

٢٥ كانون الثاني

خرجنا مع مارتوس لاستطلاع طريق يؤدي إلى مؤخرة المهاجمين. واستغرق وصولنا حوالي ساعة، ولكن المكان كان رائعاً.

ذهب إنيسيتو وبنجامين لتجربة جهاز الإرسال في أعلى الهضبة التي تطل على بيت أرغاناراز، ولكنهما ضلا الطريق، ولم يستطيعا القيام بالتجارب، ولا بد من محاولة ثانية. بدأنا بحفر كهف آخر لحفظ الحاجيات الشخصية. وصل لورو والتحق بالطليعة، وقد تحدث إلى أرغاناراز ونقل إليه ما أشرت في حينه. وقد اعترف أرغاناراز بأنه أرسل رجل فاليه غراندي للتجسس علينا ولكنه نفى أن يكون صاحب الوشاية. طرد كوكو الصياد من منزله لأن أرغاناراز قد أرسله للتجسس. وصلتنا رسالة من مانيلا تتضمن استلامهم لجميع الأشياء على أكمل وجه، وأن كولي في طريقه للإجتماع بسيمون ريس. انبأنا فيديل أنه سيصغي إليهم وأنه سيكون قاسياً معهم.

٢٦ كانون الثاني

لم نكد نباشر العمل في الكهف الثاني حتى وردنا نبأ وصول غيفارا ولويولا، فذهبنا إلى الكوخ الصغير الخاص بمخيم الوسط، وكانا في انتظارنا منذ الظهر.

تقدمت بشروطي إلى غيفارا: حل المجموعة، لا رتبة لأي شخص، لا منظمة سياسية الآن، ضرورة تجنب المناقشات الحادة حول النزاعات الدولية والوطنية. قبلها جميعها، ببساطة كبيرة، وهكذا فقد أصبحت العلاقات مع البوليفيين ودية للغاية بعد أن كانت باردة في البداية.

أعجبتني لويولا للغاية.. إنها شابة ورقيقة ويمكن أن نستشف لديها عزيمة قوية. إنها على وشك أن تطرد من اتحاد الشبيبة، وإن كانوا يسعون لإجبارها على الاستقالة. أصدرت إليها التعليمات المتعلقة بالعناصر

واعطيتها وثيقة أخرى. وإضافة إلى ذلك عوضت عليها المال الذي انفق وقدره ٧٠,٠٠٠ بيزوس فليس عندنا الآن ما يكفينا. سيعين الدكتور باريجا رئيساً لشبكة الاتصال وسيلتحق بنا رودولفو خلال ١٥ يوماً. بعثت برسالة إلى إيفان (د/ ٦) تتضمن تعليماتي. أصدرت أمراً إلى كوكو ببيع سيارة الجيب شرط تامين الاتصال بالمزرعة.

وفي حوالي الساعة السابعة... أي مع هبوط الليل، قمنا بتوديعهما. سيسافران غداً مساءً وسوف يعود غيفارا مع أول مجموعة من أربعة اشخاص في الرابع عشر من شباط... قال إنه لن يستطيع العودة قبل هذا التاريخ بسبب المواصلات، وإنه لن يستطيع أن يستخلص شيئاً من الرجال، في الوقت الحاضر، بسبب الأعياد.

ستصلنا قريباً أجهزة إرسال اقوى من التي نمتلكها.

٢٧ كانون الثاني

ارسلنا «غوندولا» قوية لتعود بكل شيء... ولكن لا تزال بعض الحاجيات هناك. اضطر كوكو والرسل إلى مغادرتنا في الليل. سيبقى هؤلاء في كاميري بينما يتوجه كوكو إلى سانتا كروز ليبحث موضوع بيع سيارة الجيب بعد الخامس عشر من شباط.

استأنفنا حفر الكهف، وقد وقع حيوان التاتو في الفخ... إننا في طريقنا إلى الانتهاء من إعداد تموين الرحلة، والمفروض أن تبدأ هذه بعد عودة كوكو.

٢٨ كانون الثاني

لا تزال «الغوندولا» تقوم بتنظيف المخيم القديم. ذكر الرفاق أن صياد فاليه غراندي قد فوجىء وهو يتجوّل في حقل الذرة، ولكنه أطلق ساقيه للريح... كل شيء يدل على أن الساعة قد حانت لاتخاذ قرار بخصوص المزرعة.

إستكملنا الآن كل حاجتنا من التموين... معنا زاد لعشرة أيام من السير، وقد تحدد التاريخ بعد عودة كوكو بيوم أو اثنين أو في الثاني من شباط.

٢٩ كانون الثاني

يوم قضاه الرجال في التنزه باستثناء الطباخين والصيادين والحرس

فقد انصرفوا إلى شؤونهم.

وصل كوكو بعد الظهر... وقد ذهب إلى كاميري بدلاً من سانتا كروز وترك لويولا تستقل الطائرة إلى لاباز بينما ركب موازيس الباص إلى «سوكر» وقد حدد يوم الأحد لإجراء الاتصالات. تمّ الاتفاق على السفر في أول شباط.

٣٠ كانون الثاني

حملت «الغوندولا» ١٢ رجُلاً، ونقلت هذه المرة أكبر كمية من المؤن... لا يزال هناك محل لخمسة رجال. لم يعد الصيادون بشيء.

إنتهى حفر الكهف المعد للأشياء الشخصية... ولكنه لم يكن صالحاً.

٣١ كانون الثاني

آخر يوم في المخيم. قامت «الغوندولا» بنقل كل ما في المخيم القديم، واستدعي الحرس من تلك المنطقة. بقي أنطونيو ونانو وكامبا وأرتورو ـ لتنفيذ تعليماتي التالية: أن يتصلوا بنا كل ثلاثة أيام على الأقل، وما داموا أربعة فيقوم اثنان منهما بالحراسة باهتمام ويقظة كاملين، أما المتطوعون الجدد فيدربون حسب القواعد العامة السارية. على الاّ يعرفوا إلا ما تقتضيه الضرورة القصوى. كما يجب تنظيف المخيم من كافة الأشياء الشخصية وإخفاء الأسلحة في الغابات بعد لفها لحفظها من الرطوبة، ويتولى أحدهم مسؤولية الاحتفاظ الدائم بالمال في المخيم، ويجري استكشاف الطرق والجداول المجاورة باستمرار... وعلى اثنين منهما أن يتوجها إلى كهف أرتورو في حالة الانسحاب المفاجيء: أنطونيو وأرتورو نفسه، أما ناتو وكامبا فينسحبان عن طريق النهر، ويسرع أحدهما إلى مكان يجري اختياره لإبلاغ النبأ. أما إذا زاد عدد الرجال عن أربعة، فإن على إحدى المجموعات أن تتولى حراسة كهف المؤن.

تحدثت مع الرفاق وأصدرت إليهم تعليماتي النهائية بخصوص المسيرة، وزودت أيضاً كوكو بتعليماتي الأخيرة (د/ ٧).

التحليل الشهري

كان موقف مونجي كما توقعت أولاً ملتوياً ثم تحول إلى الخيانة

الصريحة.

الحزب يشهر السلاح ضدنا، ولا اعلم إلى أين سيقود هذا كله، ولكن ذلك لن يعيقنا بل إنه قد يفيدنا على المدى الطويل (وإنني لواثق مما اقوله).

سيقف إلى جانبنا الرجال الشرفاء، والمقاتلون، ولو أنهم سيعانون من أزمة ضمير متراوحة في حدتها.

لقد أحسن غيفارا التصرف حتى الآن، وسنرى كيف سيتصرف مع رجاله في المستقبل.

ذهبت تانيا. ولم يصلنا أي خبر منها أو من الأرجنتين. تبدأ الآن مرحلة حرب العصابات الحقيقية وسوف نختبر قوانا، والزمن وحده كفيل بإظهار النتيجة، وبما سيؤول إليه مستقبل الثورة البوليفية.

لقد استغرقت تعبئة المقاتلين البوليفيين وقتاً لم تستغرق مثله جميع المهام الأخرى.

شباط ١٩٦٧

١ شباط

انتهت المرحلة الأولى، ووصل الرجال وقد أنهكهم التعب بعض الشيء، ولكن الأمور جرت، بشكل عام، على خير وجه. وقد خرج أنطونيو وناتو للإتفاق على كلمة السر ورفعا متاعي ومتاع مورو الذي يتماثل الآن للشفاء بعد إصابته بالملاريا.

أعددنا جهاز إنذار، ووضعناه داخل زجاجة تحت شجرة في محاذاة الطريق. أما في المؤخرة فقد شكا جواكين من ثقل متاعه وأخبر بذلك المجموعة كلها.

٢ شباط

يوم مرهق وبطيء... تسبب الطبيب في تأخير المسيرة، وكانت بطبيعتها بطيئة. وصلنا في الساعة الرابعة إلى آخر نقطة قرب المياه وأقمنا مخيمنا هناك. أصدرت أمراً إلى الطليعة باستطلاع الطريق المؤدي إلى النهر (لعله الفرياس) ولكنها تباطأت هي أيضاً. إنهمرت الأمطار طوال الليل.

٣ شباط

أمطرت السماء منذ بزوغ الفجر، فاضطررنا إلى تأجيل ساعة الانطلاق حتى الثامنة. وعندما بدأنا بالسير جاء أنيسيتو يحمل حبالاً بقصد مساعدتنا في الممرات الصعبة، وبعد ذلك بقليل، أخذت الأمطار تنهمر من جديد. وصلنا إلى النهر في الساعة العاشرة وقد ابتلت ثيابنا، فاستقر رأينا على التوقف حالاً. ليس هذا النهر بالفرياس بكل تأكيد... وهو لم يرد في الخارطة.

ستنطلق الطليعة غداً مع باشو مع أول خيط من النور، وسوف نقيم اتصالاً فيما بيننا في كل ساعة.

٤ شباط

سرنا في الصباح حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم نتوقف، سوى ساعتين فقط، لتناول طعام الغداء. الطريق محاذ لنهر ناكاهوازو... وهو صالح نسبياً ولكنه يبلي الأحذية... يسير بعض رفاقنا الآن حفاة.

دب التعب في صفوف المجموعة ولكنهم أبدوا جميعهم استعداداً لتحمل العناء... فقدت حوالي ١٥ ليبرة من وزني ولكنني قادر على السير بكل خفة رغم أن ألم الظهر لا يطاق أحياناً.

لم نجد أثراً حديثاً على طول النهر يدل على مرور آخرين قبلنا... ولكننا سنصادف حتماً مناطق مأهولة بين لحظة وأخرى إذا صدقت الخارطة.

٥ شباط

أخبرتنا الطليعة، صباح هذا اليوم، وبعد خمس ساعات من المسير (١٢ ـ ١٤ كيلو متراً) أنها شاهدت بعض الحيوانات (تبين أنها فرس ومهرها) وكان ذلك بمثابة مفاجأة لنا. توقفنا، حينئذ، وأصدرت أمراً باستكشاف المنطقة. تجنباً لأي مكان مأهول. ودار بيننا نقاش حول معرفة ما إذا كنا الآن في منطقة (تريبيتي) أو على ملتقى روافد السالاديو كما ورد في الخارطة. عاد باشو ليعلن أنه اكتشف نهراً كبيراً، أكبر بكثير من ناكاهوازو وأننا لن نستطيع اجتيازه. انتقلنا في الحال إلى هناك ووجدنا أنفسنا وراء (ريو غراندي) الحقيقي... الذي كان بالإضافة إلى ذلك طافحاً بالمياه. هناك بعض الدلائل التي تشير إلى وجود الحياة في هذه المنطقة ولكنها آثار

قديمة... ثم إن الطرق المسلوكة تضيع بين الأعشاب والنباتات وتتوقف هناك.

اقمنا مخيماً في مكان رديء على مقربة من ناكاهوازو، بقصد الاستفادة من مياهه، واستقر عزمنا في الغد على استكشاف جانبي النهر (شرقاً وغرباً) للتعرف على المناطق المحيطة به، بينما عهد إلى مجموعة أخرى بعبوره.

٦ شباط

يوم هادىء خصصناه للراحة. خرج جواكين مع والتر والطبيب لاستكشاف ريو غراندي، وساروا مع مجراه وقطعوا مسافة ثمانية كيلومترات فلم يجدوا مكاناً واحداً يصلح للعبور... وكل ما وجدوه ترعة صغيرة مالحة المياه. تقدم ماركوس بمشقة، في وجه التيار، ولم يستطع الوصول إلى الفرياس، وكان يصحبه كل من أنيسيتو ولورو. وقد حاول اليخندرو وإنتي وباشو أن يجتازوا النهر سباحة فاخفقوا. أما نحن فقد عدنا أدراجنا إلى الوراء، مسافة كيلومتر واحد، سعياً وراء مكان افضل لنصب المخيم. ظهرت بوادر المرض على بومبو.

سنبدأ غداً ببناء طوف لمحاولة عبور النهر عليه.

٧ شباط

صنعنا طوفاً تحت إشراف ماركوس. وقد تبين انه كبير جداً ويصعب توجيهه. إنتقلنا في الساعة الواحدة والنصف إلى مكان العبور المحدد، وفي الساعة الثانية والنصف بدات عملية العبور. انتقلت الطليعة إلى الجانب الآخر من النهر على دفعتين، وفي الرحلة الثالثة تم نقل نصف مجموعة الوسط وكذلك ثيابي باستثناء متاعي. وعندما عاد الطوف لنقل ما تبقى من مجموعة الوسط... اختل توازن الروبيو. فحمل النهر الطوف باتجاه السافلة واستحال بذلك استرجاعه، وما لبث أن تفكك فاضطر جواكين إلى بناء طوف آخر، ولم يفرغ منه حتى الساعة التاسعة مساء. اجّلنا عملية العبور إلى الغد نظراً لتوقف المطر ولانخفاض منسوب النهر... لم يبق من مجموعة الوسط سوى توما وأوربانو وإنتي واليخاندرو وأنا. نمت وأنا وتوما على الأرض.

٨ شباط

في الساعة السادسة والنصف باشرنا بنقل ما تبقى من الطابور عبر النهر. انطلقت طليعة المقدمة في تمام السادسة، وعند وصول الوسط، انتقلت المجموعة باكملها. في الثامنة والنصف، تابع الوسط طريقه في حين وصلت المؤخرة من تلك الجهة. كانت مهمتها إخفاء العبّارة قبل متابعة سيرها. أصبح الطريق وعراً واضطررنا إلى فتح معبر بواسطة الساطور. في الساعة السادسة من بعد الظهر، وصلنا إلى نهر يوجد قربه واحة صغيرة من الماء، وكنا عطشى وجياعاً فقررنا أن نخيم قربه، كما شاهدنا آثار اقدام خنازير.

تابع بروليو وانيسيتو وبيرينيو السير جنب النهر مسافة ثلاثة كيلومترات، وعادوا ليخبروننا بأنهم وجدوا آثار صناديل، وآثاراً حديثة ثلاث حيوانات، أحدهم يوجد حديد في قدمه.

٩ شباط

كنا قد مشينا لمدة نصف ساعة، عندما قررت أن أترك الطريق الذي سلكته وأتابع سيري على الطريق المحاذي للنهر. فجأة ظهر حقل من الذرة. أرسلت إنتي وريكاردو لكي يستكشفا وفجأة تحول كل شيء إلى جحيم. فالذين جاؤوا لم يشاهدوا العلامة التي تركناها لهم، واعتقدوا بأني تهت. راحت الدوريات تتجول ذهاباً وإياباً، والمقدمة شاهدت المنزل وبقيت تنتظر وصولي. وجد إنتي وريكاردو العديد من الصبية، وقصدا منزل أحد الفلاحين، وهو أب لستة أولاد، فاستقبلهما بحفاوة بارزة وأعطاهما معلومات كثيرة. وخلال الحديث قال له إنه رئيس المغاورين، واشترى منه خنزيرين، كما طلب منه أن يحضر كوكتيلا بانش.

بقينا هناك، فأكلنا الذرة ولحم الخنزير. كان البانش جاهزاً عندما استقيظنا، ولكننا تركناه لليوم التالي.

١٠ شباط

خرجت للتحدث مع الفلاحين مقدماً نفسي كمساعد لإنتي... لا اعتقد اننا أجدنا التمثيل، بعد أن تبين أن إنتي خجول جداً. تبادلت الحديث مع فلاح صميمي قادر على مساعدتنا، ولكنه يشكل خطراً علينا بالذات لكونه

عاجزاً عن إدراك المخاطر التي يتعرض لها من جراء هذه المساعدة. حصلنا على قدر من المعلومات المتعلقة بحياة الفلاحين، وفشلنا في الحصول على معلومات دقيقة نظراً لتوجّسه منا.

قام الطبيب بمعالجة الأطفال المرضى وكان أحدهم يشكو من الديدان بينما أصيب آخر برفسة فرس.. وعندها انصرفنا.

قضينا بعد الظهر والمساء في إعداد خبز الذرة (ولكنني لم استسغه) وقد أدليت في المساء وبحضور جميع الرفاق ببضعة ملاحظات حول الأيام العشرة المقبلة. إنني أعتزم مواصلة المسير عشرة أيام أخرى باتجاه مازيكوري وبشكل يتمكن فيه الرفاق من مشاهدة الجنود عن كثب. ثم نحاول، بعد ذلك، أن نعود عن طريق الفرياس لاستكشاف طريق آخر.

(الفلاح يدعى روياس).

١١ شباط

عيد ميلاد العجوز، ٦٧.

تتبعنا طريقاً واضح المعالم على طرف النهر إلى أن أصبح غير سالك، وكان يغيب في بعض اللحظات، مما يدل على أنه لم يطرق منذ زمن طويل. وصلنا ظهراً إلى مكان مغلق تماماً وقريب من نهر كبير وتساءلنا في الحال إذا كان هذا النهر هو مازيكوري أم لا. توقفنا بقرب جدول بينما خرج ماركوس وميغيل في جولة استطلاعية في النهر، وإنتي وكارلوس في سافلته لاستطلاع مصبه. وهكذا، فقد تأكد لنا أنه نهر مازيكوري، وكانت أول نقطة لعبوره قائمة في مكان أبعد، على ما يبدو، شوهد هناك بعض الفلاحين وهم على خيولهم. لقد لاحظوا على الأرجح آثارنا وهذا ما يدعونا لاتخاذ احتياطات بالغة.

نحن على مسافة فرسخ أو فرسخين من أرينال، إذا صدق الفلاح. الارتفاع: ٧٦٠.

١٢ شباط

اجتزنا سريعاً الكيلو مترين اللذين قطعتهما الطليعة في البارحة... وبدأت حينئذ معالم الطريق تتضح شيئاً فشيئاً.. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، وصلنا إلى طريق حقيقية تبدو وكأنها الطريق التي نجدُ في البحث عنها. وقد تراءى، على الجانب الآخر من النهر، وفي مواجهتنا تماماً، أحد البيوت،

ولكننا صرفنا النظر عنه وسعينا وراء بيت آخر على هذا الجانب من النهر يملكه فلاح اسمه مونتانو، كان روياس قد امتدحه لنا. توجه إليه إنتي ولورو ولكنهما لم يجدا أحداً فيه رغم أن الدلائل تشير إلى أنه البيت المقصود.

خرجنا في الساعة السابعة والنصف للقيام بجولة ليلية، وقد تزودنا خلالها بكل ما كنا نفتقر إليه من معلومات. عاد إنتي ولورو في حوالي الساعة العاشرة يحملان أنباء غير مشجعة؛ كان الرجل ثملاً ولم يكن استقباله ودياً... ولم يجدا عنده سوى الذرة. لقد سكر لدى كاباليرو المقيم في الجانب الآخر من النهر، وهكذا لم تكن نقطة العبور بعيدة، اتخذنا قراراً بقضاء الليل في غابة صغيرة مجاورة... كنت منهكاً للغاية لكوني لم استسغ خبز الذرة، ولم أتناول أي طعام طيلة النهار.

١٣ شباط

هطل المطر بشدة عند بزوغ الصباح، ودام ساعات طويلة مما رفع من منسوب النهر. وصلتنا أنباء مشجعة: أن مونتانو هو ابن مالك البيت وعمره ١٦ عاماً، وقد ذهب والده ولن يعود قبل أسبوع على الأقل. وقد قدّم إلينا معلومات دقيقة عن المنطقة الواطئة من القرية التي تقع على بعد فرسخ من هنا.

قال إن هناك درباً صغيراً يتجه نحو اليسار ولكنه ضيق، وفي تلك الزاوية يقطن شقيق بيرين، وهو فلاح صغير خطبت ابنته إلى جندي في الجيش.

إنتقلنا إلى مخيم جديد، بجانب جدول وحقل للذرة. وقد فتح ماركوس وميغيل ممراً إلى الطريق الرئيسي.

الارتفاع: ٦٥٠ (الطقس عاصف).

١٤ شباط

يوم هادئ قضيناه في المخيم. زارنا الشاب مونتانو ثلاث مرات وأخبرنا في إحداها أن بعض الأشخاص قد اجتازوا الجانب الآخر من النهر سعياً وراء بعض الخنازير... لم يقل أكثر من ذلك. وقد أجزلنا له العطاء لتعويضه عن الأضرار التي لحقت بحقل الذرة.

لقد فتش المستكشفون طيلة النهار في شتى المسالك دون أن يجدوا

بيتاً واحداً إذا صحت حساباتهم، فإنهم، دونما شك، قد شقوا طريقاً من ستة كيلومترات، أي ما يعادل نصف المسافة التي سنقطعها في الغد.

وصلتنا رسالة طويلة من هافانا وشرعنا في فك رموزها، وكان أهم ما جاء فيها هو خبر الحديث الذي أجري مع كولي. قال كولي في هافانا: إننا لم نطلعه على أبعاد المهمة الكبيرة في القارة، وإنه، إزاء هذه الحالة، مستعد مع رفاقه للتعاون معنا في خطة يبحث تفصيلاتها معي شخصياً. وجاء في الرسالة أيضاً أن كولي بالذات، وكذلك سيمون رودريغيز وراميريز في طريقهم إلينا... وأن سيمون قد أبدى رغبته في مساعدتنا، بشكل مستقل عن الحزب. جاء في الرسالة أيضاً، أن الفرنسي المسافر بجواز سفر عادي سيصل إلى لاباز بتاريخ الثالث والعشرين، وأنه سيحل ضيفاً على باريجا او كيا. هناك قسم بسيط في الرسالة لم نستطع فك رموزه في الحال.

سنرى كيف السبيل إلى مجابهة هذه الحملة الهجومية. ومن الانباء الاخرى أن ميرسي وصل بدون المال، وزعم انه سرق منه... إننا نشتبه بأن هناك تلاعباً إن لم يكن شيئاً أخطر. سيطلب ليشين بعض المال ومزيداً من التدريب.

١٥ شباط

عيد ميلاد هيلديتا(١١)

يوم من المسير الهادىء. بلغنا، في الساعة العاشرة صباحاً، المكان الذي توقف عنده المستكشفون، وقطعنا ما تبقى من الطريق ببطء وحذر. وفي الساعة الخامسة من بعد الظهر، وصلتنا أخبار من الطليعة تفيد أنها صادفت حقولاً مزروعة، وقد تأكدنا من صحة هذه المعلومات في حوالي الساعة السادسة. أرسلنا إنتي ولورو وانيسيتو للتحدث مع أحد الفلاحين، وتبين لنا أنه ميشيل بيريز، شقيق نيكولا، الفلاح الغني الذي استغل شقيقه. شكا ميشيل من معاملة شقيقه، وأبدى استعداده للتعاون معنا... لم نتناول العشاء نظراً للوقت المتأخر.

١٦ شباط

قطعنا أيضاً بعض الأمتار لنتجنب فضول الشقيق، وأقمنا مخيماً على رابية تشرف على النهر، وترتفع عنه بمعدل ٥٠ متراً. سنكون في هذا المكان بمنأى عن المفاجآت المزعجة ولكنه ليس مريحاً. بدأ الرفاق في

تخزين كمية كبيرة من الطعام لعملية اجتياز السييرا حتى روزيتا. وبعد الظهيرة، سقطت أمطار غزيرة وعنيفة، واستمرت طوال الليل، مما أدى إلى ارتفاع منسوب النهر وإفساد خططنا. لقد عزلنا مرة أخرى... استقر رأينا على تسليف الفلاح مبلغ ١٠٠٠ دولار لشراء بعض الخنازير وتربيتها... إن له تطلعات رأسمالية.

١٧ شباط

هطل المطر طيلة الصباح. حتى الآن، أمطرت السماء طيلة ١٨ ساعة متتالية.... تبلل خلالها كل شيء وارتفع منسوب النهر بدرجة كبيرة. أرسلت ماركوس وميغيل وبروليو ليقوموا بالبحث عن طريق يؤدي إلى روزيتا. عاد ماركوس، بعد الظهيرة، بعد أن قطع أربعة كيلومترات، وقال لنا إنه عثر على تل أجرد شبيه بذاك الذي نسميه: (البامبا ديل تيغر).

إنني متوعك الصحة، ولا بد أنه قد أكل كثيراً. الإرتفاع: ٧٢٠ (الشروط الجوية غير طبيعية).

١٨ شباط

عيد ميلاد جوزيفينا (٣٣).

فشل جزئي، سرنا ببطء مقتفين أثر الرجال المكلفين بشق الطريق وتطهيره من الأعشاب والنباتات. ولكن هؤلاء وصلوا في الساعة الثانية إلى أرض منبسطة... وقد تأخرنا عنهم قليلاً، وفي الساعة الخامسة أقمنا مخيمنا بقرب نقطة للمياه... أملاً باجتياز التل في الغد. حمل إلينا مارتوس وتوما أنباء سيئة في صباح اليوم التالي: التل كله مليء بالهضاب الشديدة الانحدار التي يستحيل اجتيازها. لم يبق أمامنا من حل سوى العودة أدراجنا.

الإرتفاع: ٩٨٠ متراً.

١٩ شباط

يوم ضائع. نزلنا من التل سعياً وراء النهر؛ وحاولنا أن نصعد من هناك، ولكننا أخفقنا إخفاقاً تاماً. أرسلت ميغيل وإنيسيتو في محاولة لتسلق التلال المواجهة لنا والقيام بمحاولة العبور من الجانب الآخر ولكن بدون جدوى. أمضينا نهارنا في انتظارهما، وعندما عادا لم نتقدم قيد أنملة لكون هذه التلال من الطراز الذي يستحيل اجتيازه.

سنحاول في الغد تسلق الهضبة الأخيرة الواقعة وراء النهر في اتجاه الغرب (تقع الهضاب الأخرى إلى الجنوب).

الإرتفاع: ٧٦٠ متراً.

٢٠ شباط

يوم من المسير البطيء، غني بالحوادث: سلك ميغيل وبروليو الطريق القديم في أثر الجدول الصغير الكائن قرب حقل الذرة، وهناك ضلا طريقهما، ووصلا إلى النهر مع هبوط الظلام. وما كدنا نصل إلى الفرع التالي للنهر حتى أرسلت رولاندو وبومبو في جولة استطلاعية لاستكشاف الهضبة، ولكنهما لم يعودا حتى الساعة الثالثة فتابعنا سيرنا في الطريق الذي سلكه مارتوس، ووصلنا إلى الجدول في الساعة الرابعة والنصف واقمنا مخيمنا هناك. ولم يعد المستكشفون.

الإرتفاع: ٧٢٠ متراً.

٢١ شباط

تقدمنا ببطء في طريقنا إلى منبع النهر. عاد بومبو ورولاندو وبجعبتهما نبأ جديد وهو أن الفرع الآخر للنهر يمكن اجتيازه، وقد استكشفه أيضاً ماركوس، وخرج بنفس النتيجة. انطلقنا في الساعة الحادية عشرة. في حوالي الساعة الواحدة والنصف صادفنا عيون ماء باردة للغاية يستحيل عبورها. ارسلنا لورو للإستطلاع، وغاب فترة طويلة مما دفعني إلى إرسال بروليو وجواكين في أثره. وقد عاد لورو وانبانا أن عرض النهر يزداد اتساعاً على مسافة قريبة منا وانه يصلح للعبور في تلك الاماكن وقد استقر راينا على مواصلة المسير دون أن ننتظر أخبار جواكين. وفي الساعة السادسة، وعندما كنا نهم بإقامة المخيم، عاد جواكين وقال إن من الممكن تسلق الهضبة الجرداء... وإن هناك ممرات عديدة سالكة.

أصيب إنتي بمرض الغازات، للمرة الثانية، في أسبوع واحد.

الإرتفاع: ٨٦٠

٢٢ شباط

أمضينا النهار كله في تسلق تلال وعرة كثيفة الأعشاب. وقد فاجانا المساء بقدومه قبل أن ننتهي من مهمتنا فارسلت حينئذ جواكين وبيدرو

بقصد الوصول إلى الهدف وحدهما، ولكنهما عادا في الساعة السابعة وأخبرانا أن تشذيب الطريق من الأشواك والأعشاب يحتاج إلى ثلاث ساعات على الأقل.

الإرتفاع: ١١٨٠. وصلنا إلى منابع الجدول الذي يصب في نهر مازيكوري ولكن باتجاه الجنوب.

٢٣ شباط

قضيت يوماً أسود. وكنت أصرف على أسناني طيلة النهار في محاولة لتحمل العناء الشديد. خرج ماركوس وبروليو وتوما في الصباح لتمهيد الطريق، وجلسنا في انتظار عودتهم في المخيم. وفككنا أثناء ذلك رموز رسالة جديدة تقول إن رسالتي وصلتهم عن طريق صندوق البريد الفرنسي. تحرك موكبنا في الظهيرة تحت شمس تكاد تتشقق الصخور لشدة حرارتها حتى أنه كاد يغمى عليّ حين وصولنا إلى أعلى قمة في التل... جررت أقدامي، منذ تلك اللحظة، بقوة الإرادة وحدها. يبلغ الارتفاع الأقصى للتل حوالي ١٤٢٠ متراً ويشرف منها المرء على منطقة واسعة تغطي الريو غراندي ومصب ناكاهوازو وجزءاً من روزيتا. إن طبوغرافيا المنطقة تختلف عن مظهرها على الخارطة... فبعد خط فاصل واضح تقع العين على سهل مغطى بالأشجار تتراوح مساحته بين ثمانية وعشرة كيلومترات، ويجري في نهايتها نهر روزيتا ثم تنتصب سلسلة من الجبال ارتفاعها ارتفاع الجبال التي نقف فوقها... وفي البعيد يبدو السهل. تقرر أن ننزل من مكان سالك رغم وعورته ونتتبع الجدول الذي يقود إلى ريوغراندي، من هناك إلى روزيتا. لا يبدو أي أثر للبيت على الضفة خلافاً لما ورد في الخارطة... وقد أقمنا مخيمنا على ارتفاع ٩٠٠ متر بعد مسيرة مضنية في الظلام نفد فيها الماء. فاجأت البارحة صباحاً ماركوس وهو يُسمِع أحد الرفاق الكلام الجارح... وقد تكرر سلوكه هذا مع رفيق آخر. يجب أن أتحدث إليه في هذا الشأن.

٢٤ شباط

عيد ميلاد ايرينستيكو (٢)

قضينا يوماً متعباً وشاقاً. كان تقدمنا بطيئاً بسبب نفاد الماء. تبين أن الجدول الذي نسير في محاذاته قد جفت مياهه. استبدلنا مجموعة الرفاق

المكلفة بشق الطريق بمجموعة أخرى في الظهيرة، وذلك بعد ان هدّها التعب. وقد بدأت السماء تمطر في الساعة الثانية بعد الظهر مما أتاح لنا ان نملا «المطرات». وبعد اجتياز مسافة عثرنا على نبع ماء وفير، وفي حوالي الخامسة، اقمنا المخيم على سفح هضبة قريبة من الماء. استمر ماركوس واوربانو في استطلاع المنطقة. عاد ماركوس يحمل أنباء أن النهر أصبح على مسافة كيلو مترين فقط وأن الطريق المحاذي للجدول سيء للغاية لانه سيتحول عما قريب إلى مجرد مستنقع من الأوحال.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

٢٥ شباط

يوم أسود... تقدمنا ببطء شديد، وزاد الطين بلة أن ماركوس ضل طريقه مما سبب لنا ضياع فترة الصباح سدى. كان قد خرج ميغيل ولورو، وفي الظهيرة أخبرنا بحقيقة الامر، وطلب منا ان نرسل من ينوب مكانه، والاتصال به باللاسلكي. ذهب بروليو وتوما وباشو في اثره، وفي الساعة الثانية، عاد باشو ليخبرنا بأن ماركوس قد أرسله في أثرنا بعد أن ضعف الاتصال اللاسلكي حتى لم يعد مسموعاً. وفي الساعة الرابعة والنصف، أرسلت بينينيو في اثر ماركوس ومعه امر بإحضاره إلى المخيم إذا لم يتمكن حتى الساعة السادسة من العثور على النهر. حدثني باشو بعد انصراف بينينيو ان نقاشاً عنيفاً قد جرى بينه وبين ماركوس وان هذا الأخير قد وجه إليه أوامر تعسفية. كما هدده بمنجله، وضربه على وجهه، وعندما عاد باشو ليقول له إنه لن يستمر في الإرسال، هدّده ماركوس من جديد، وجرّه من ثيابه حتى تمزقت.

استدعيت حالاً إنتي ورولاندو لأستفسر عن حقيقة هذا الأمر الخطير، فأكدا لي أن جواً خانقاً يسود في صفوف الطليعة بسبب طباع ماركوس، ولكنهما كذّبا بعض اتهامات باشو.

٢٦ شباط

اجريت تحقيقاً في الصباح مع ماركوس، ومع باشو، وخرجت بالنتيجة التالية: وهي أن ماركوس قد وجّه ولا شك الشتائم إلى باشو وانه أساء معاملته، ولعله هدّده بالفعل ولكنه لم يضربه.. أما باشو فقد رد عليه بالشتيمة أيضاً واستفزّه. ليست هذه أول مشاجرة تجري بين الرفاق. وقد

انتهزت فرصة اجتماعهم جميعاً لأتحدث إليهم عن مغزى الجهود التي نبذلها في سبيل الوصول إلى روزيتا. وقلت لهم إن هذا النوع من التضحية ليس سوى مقدمة لما يجب عليهم أن يتحملوه... وقد تحدثت إليهم عن بعض الحوادث المخزية التي تجرى في المخيِّم بسبب عدم التقيد بالإنضباط، وذكرت لهم، على سبيل المثال، ما جرى بين رفيقين كوبيين وقد انتقدت ماركوس لموقفه وحذّرت باشو من أن حادثة أخرى من هذا النوع ستكون سبباً في فصله نهائياً من الفصيلة. ذلك لأن باشو لم يحدثني في الحال عن حقيقة الحادث، كما أنه رفض أن يستمر في الإرسال، ومن المرجح، كما اعتقد، إنه كذب بخصوص اللكمات التي وجهها إليه ماركوس.

وقد طلبت من البوليفيين المترددين أن يعلموني حالاً في حال عزمهم على الانسحاب بدلاً من استخدام الوسائل الملتوية... وقلت لهم إنني سوف أعمل في الحال على تلبية طلبهم بدون أية ضجة.

تابعنا المسير في محاولة منا لبلوغ الريو غراندي وتتبع مجراه، وقد تم لنا ذلك واستطعنا أن نرافق النهر أكثر من كيلومتر واحد، ولكننا اضطررنا بعد ذلك إلى تسلق الهضبة إذ لا سبيل إلى عبور النهر من هذا المكان، لسرعة انحداره. بقي بنجامين في المؤخرة بعد أن لاقى بعض الصعوبات في حمل متاعه، وأُنهك جسدياً وعندما التحق بنا اصدرت إليه امراً بمواصلة المسير ففعل وسار نحو ٥٠ متراً ولكنه فقد أثرنا وصعد إلى قمة صخرة مستوية للبحث عنا. وما كدت أصدر أمري إلى أوربانو لإرشاده حتى تعثرت قدمه وسقط في الماء. لم يكن يجيد السباحة وكان التيار قوياً للغاية فجرفه معه. وأسرعنا نحن لنجدته وما كدنا نتخلص من ثيابنا حتى اختفى في دوار ماء. سبح رولاندو حتى وصل إليه وحاول أن يغطس ولكن التيار حمله إلى البعيد وبعد خمس دقائق فقدنا الأمل في العثور عليه. كان شاباً ضعيف البنية يفتقر إلى المهارة ولكنه كان يتمتع بإرادة عجيبة ويثق في النصر ثقة تامة. كانت التجربة اقوى منه وخانه جسده الضعيف.. وهكذا فقد عرفت فصيلتنا عماد الموت على ضفة ريو غراندي وبشكل لا معنى له. اقمنا المخيم في الساعة الخامسة بعد الظهر دون أن نصل إلى روزيتا، وقد تناولنا آخر وجبة لدينا من الفاصوليا.

٢٧ شباط

وصلنا إلى روزيتا بعد يوم مرهق من تتبع النهر وتسلق الصخور. إنه اكبر من نهر ناكاهوازو ولكنه اقل شأناً من ماريكوري كما أن مياهه تميل إلى الاحمرار. تناولنا ما تبقى من احتياطي الطعام. وعلى الرغم من المناطق المأهولة والطرق... فإننا لم نلمس ما يدل على وجود أثر للمياه في جوارنا.

الإرتفاع: ٦٠٠

٢٨ شباط

يوم قضيناه في شيء من الراحة وقد تحدثت بعد الإفطار (تناولنا الشاي) معلقاً على موت بنجامين، وأوردت أيضاً بعض الحكايات عن السييرا ماسترا. ثم بدأت بعد ذلك عمليات الاستطلاع: خرج ميغيل وإنتي ولورو لتقصي منبع الروزيتا، واصدرت أمري إليهم بالمسير طيلة ثلاث ساعات ونصف الساعة اعتقاداً مني أن هذا الوقت يكفي لبلوغ نهر ابابوزيتو ولكن ظني خاب بسبب عدم وجود طريق. كل شيء يبدو موحشاً وليس هناك ما يدل على الحياة. تسلق جواكين وبيدرو الجبال المواجهة لنا ولكنهما لم يعثرا على شيء، ولم يجدا ممراً أو حتى أثراً واحداً لممر قديم. عبر اليخندرو والروبيو النهر فلم يكن حظهما أفضل من حظ رفاقهما، ويبدو انهما لم يفتشا كما يجب. أشرف ماركوس على بناء طوف ما كاد ينتهي منه حتى بدأنا عملية العبور في منطقة تقع عند منحنى النهر. نقلنا أولاً متاع خمسة رجال من بينها متاع ميغيل، بينما بقي ميغيل، وعبر بينينيو بدون متاعه. ومما زاد الطين بلة أن بينينيو أضاع حذاءه.

فقدنا الطوف الأول ولم نستطع استرجاعه ولم ينته العمل من الطوف الثاني باكراً فأجلنا عملية العبور إلى الغد.

التحليل الشهري

على الرغم من اني لا اعرف تفاصيل ما يجري في المخيم، فإن كل شيء يسير على ما يرام... هناك طبعاً الاستثناءات التي لا بد منها ومن

بينها ما هو قاتل.

لم تصلني اية انباء من الخارج بخصوص الرجلين اللذين سيلتحقان بالفصيلة، ولا بد ان يكون الفرنسي الآن في لاباز وقد يصل إلى المخيم بين يوم وآخر. لم تصلني اية أخبار من الارجنتين او من الشينو. إن الإتصالات البريدية تسير على ما يرام ولا يزال موقف الحزب متردداً ومزدوجاً.. إن هذا ما يمكن قوله على الرغم من أن هناك نقطة لا بد من استجلائها حينما سأتحدث مع الوفد الجديد وقد تكون لها نتائج حاسمة.

كانت المسيرة ناجحة لولا الحادث المؤسف الذي أودى بحياة بنجامين. لا يزال الرجال ضعفاء ولن يستطيع البوليفيون أن يصمدوا جميعهم أمام هذه التجربة. وقد دلت الأيام الأخيرة التي ساد فيها الجوع على فتور الحماسة بين الرفاق لا سيما والانقسامات ما تزال قائمة. أما الكوبيون فإن اثنين منهم قليلا الخبرة، ولم يظهرا الإستجابة المطلوبة وهما باشو والروبيو... بعكس اليجندرو الذي ابدى تعاطفاً تاماً. وبالنسبة للقدامى فإن ماركوس لا يزال مصدر انشغال دائم كما أن ريكاردو لا يؤدي واجبه على الوجه المطلوب.

ستكون المرحلة المقبلة مرحلة القتال، وبالتالي حاسمة.

آذار ١٩٦٧

١ آذار

بدأت السماء تمطر في السادسة صباحاً فاضطررنا إلى تأجيل عملية العبور حتى يتوقف المطر ولكنه ضاعف من حدته واستمر حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر مما رفع منسوب النهر وأجبرنا على الرويّة والانتظار. وقد تضخم النهر كثيراً ولا يبدو أن منسوبه سينخفض عما قريب.

لجأت إلى كوخ مهجور لاتقاء شر المطر، وهناك نصبت مخيماً جديداً. بقي جواكين في مكانه...وعند حلول المساء، وصلتني أنباء تقول أن بولو قد أخذ نصيبه من الحليب وأن أوسيبيو قد أخذ نصيبه من الحليب والسردين معاً بدون إذن. وقد عاقبتهما بحرمانهما من الطعام إذا كان الحليب والسردين ضمن لائحتهما. إنها بادرة سيئة.

٢ آذار

إنهمرت الامطار منذ طلوع النهار، وفقد الرجال قدرتهم على الاحتمال من شدة الإنهاك، بدءاً بي أنا. ما تزال مياه النهر مرتفعة، وقد استقر رأينا على إخلاء المخيم بمجرد توقف الأمطار، ومواصلة السير في محاذاة النهر

على نفس الطريق الذي جئنا منه. إنطلقنا، في الظهيرة، بعد أن جمعنا مؤونة طيبة من ثمار الكوروجوس، ولكننا توقفنا في الساعة الرابعة والنصف، بعد أن غيّرنا الطريق، لنختبر درباً قديماً لم نتبين نهايته.

لم تصلنا أخبار من الطليعة.

٣ آذار

بدأنا المسير بحماسة كبيرة، وبخطى كبيرة، ولكننا اعتدلنا مع مرور الساعات، وقد اضطررنا إلى تغيير الطريق المؤدي إلى السفح خشية أن تتكرر حادثة بنجامين في المنطقة التي سقط فيها في النهر. قطعنا المسافة في أربع ساعات وهي نفسُ المسافة التي قطعناها في أقل من نصف ساعة، ووصلنا في الساعة السادسة إلى نهاية الجدول وأقمنا مخيماً هناك... لم يبق معنا سوى اثنتين من جوز الهند، فخرج ميغيل وأوربانو وبروليو سعياً وراءها في البعيد وقد عادوا في التاسعة مساء. تناولنا الطعام نحو منتصف الليل، وقد هدّأنا جوعنا بثمار جوز الهند والكوروجوس (ويدعى توتاي في بوليفيا).

٤ آذار

خرج ميغيل وأوربانو في الصباح، وبقيا طيلة النهار في استكشاف المنطقة، ولم يعودا قبل السادسة مساء. وقد قطعا خمسة كيلومترات وعثرا على سهل منبسط يمكن التقدم فيه ولكنه لا يصلح لإقامة المخيم. وهكذا، فقد قررنا البقاء في مكاننا إلى حين تمهيد مسافة أطول من الطريق. قتل الصيادون قردين صغيرين وببغاء وحمامة أكلناها كلها إلى جانب جوز الهند المنتشرة في هذه المنطقة.

المعنويات ضعيفة والتعب أنهك أجسادنا، وأنا أشكو من بداية ارتشاح في ساقي.

٥ آذار

خرج جواكين وبروليو لتمهيد الطريق تحت المطر، ولكنهما لم يحرزا تقدماً يذكر نظراً لضعفهما. قطفنا ١٢ جوزة هند واصطدنا بعض العصافير فأكلناها لنوفر علب الطعام المحفوظ ليوم آخر كما احتفظنا ببعض حبات جوز الهند.

٦ آذار

يوم من المسير المتقطع حتى الساعة الخامسة بعد الظهر. قام ميغيل واوربانو وتوما بتمهيد الطريق، وقد تقدمنا قليلاً وابصرنا في البعيد بعض الهضاب التي تلوح وكأنها هضاب ناكاهوازو. لم نصطد سوى ببغاء صغير وقد أعطيناه لرجال المؤخرة. تألف طعامنا اليوم من جوز الهند، ومن بعض اللحم. لا يزال لدينا احتياطي من الطعام يكفي لثلاث وجبات هزيلة.

٧ آذار

مرت أربعة شهور وتسرّب اليأس إلى نفوس الرجال على أثر نفاد المؤن وعدم الوصول إلى نهاية الطريق. اجتزنا اليوم من أربعة إلى خمسة كيلومترات على طرف النهر، وانتهى بنا المطاف إلى درب يبشر بالخير. تألف طعامنا من ثلاثة عصافير صغيرة ومن بقية جوز الهند. لم يبق امامنا للغد سوى المعلبات، معلبة واحدة لكل ثلاثة رفاق يأكلونها على يومين، ثم يجيء دور معلبات الحليب. لا يزال أمامنا يومان أو ثلاثة لبلوغ ناكاهوازو.

٨ آذار

قطعنا مسافة قصيرة في هذا اليوم المشحون بالمفاجآت والتوتر.

غادرنا المخيم في الساعة الثانية صباحاً دون أن ننتظر رولاندو الذي خرج للصيد. ولم نمش سوى ساعة ونصف الساعة حتى التقينا برفاقنا الذين يمهدون الطريق بزملائهم الذين خرجوا للصيد (أوربانو، ميغيل، توما ـ الطبيب وشنشو على التوالي)... كان بحوزتهم الكثير من الببغاوات وقد عثروا على ينبوع ماء وتوقفوا في جواره. ذهبت لأستطلع المكان بعد أن اصدرت تعليماتي باقامة المخيم ورأيت هناك محطة لضخ النفط. ألقى إنتي وريكاردو بنفسيهما في الماء، وكان عليهما أن يتظاهرا بأنهما من الصيادين. وقد اندفعا إلى الماء بكامل ثيابهما ولكن إنتي أوشك على الغرق وقد ساعده ريكاردو. وبلغا في النهاية الضفة الأخرى واسترعيا انتباه جميع الناس. وقد اختفيا عن الأنظار دون أن يعطيا إشارة الخطر المتفق عليها. لقد عبرا النهر في الظهيرة، ودقت الساعة الثالثة والربع ولم يعودا.

انتظرت طيلة بعد الظهر... بدون جدوى. وقد انسحبت آخر مجموعة للحراسة في الساعة التاسعة دون أن تظهر أية بادرة تشير إلى أنهما على قيد الحياة.

استبد بي القلق الشديد... فقد تعرض رفيقان شجاعان للمخاطر، ونحن هنا لا نعرف ما حل بهما. استقر رأيي على أن يقوم غداً أليجندرو ورولاندو وهما من أفضل السباحين باجتياز النهر سعياً وراء الرفيقين.

طعامنا أفضل من طعام الإيام الأخيرة المنصرمة على الرغم من النقص في جوز الهند لأن ما اصطاده الرفاق من الببغاوات إلى جانب القردين اللذين قتلهما ريكارو، كان وافراً.

٩ آذار

بدأنا عبور النهر منذ الصباح الباكر.. استغرق بنا الطوف، فترة طويلة، وأعلن رجال الحراسة أنهم شاهدوا على الجانب الآخر، أناساً نصف عراة... كانت الساعة حينذاك تشير إلى الثامنة والنصف فأجلنا المحاولة. قطعنا جزءاً من الطريق المتجه إلى الجانب الآخر، ووصلنا إلى مكان مكشوف يتيح لرفيقينا أن يشاهدانا، ولذا كان علينا أن نبدأ بالعبور باكراً جداً وقبل أن ينحسر ضباب النهر.

في حوالي الساعة الرابعة وبعد ترصُّد طويل ومُنهك جاء دوري فيه منذ الساعة العاشرة والنصف، ألقى رجلا التموين (إنتي وشنشو) بنفسيهما في الماء ووصلا إلى سافلة النهر وقد أحضرا معهما خنزيراً وخبزاً وأرزاً وسكراً وقهوة وبعض المعلبات والذرة... أقمنا وليمة قوامها القهوة والخبز. وسمح للحاضرين باستهلاك علبة الحليب المجفف التي كنا نحتفظ بها كاحتياطي.

شرح لنا الرفاق أنهم قد تناوبوا الخروج في كل ساعة حتى نتمكن من رؤيتهم ولكننا لم نشاهد أحداً من جانبنا. ويبدو أن ماركوس ورجاله قد مروا من هنا منذ ثلاثة أيام وأن ماركوس قد ارتكب أعمالاً جنونية منها إشهار السلاح. ليس لدى المهندسين العاملين في حقول النفط أية فكرة عن المسافة التي تفصلهم عن ناكاهوازو ولكنهم يعتقدون أنها تستغرق خمسة أيام من المسير، وهذا يعني أن لدينا من الطعام ما يكفي للرحلة. أما المضخة فهي تابعة لمحطة ضخ قيد الإنجاز.

١٠ آذار

انطلقنا في الساعة السادسة والنصف. وسرنا حوالي ٤٥ دقيقة إلى ان التقينا برفاقنا الذين يمهدون الطريق. بدأت السماء تمطر في الساعة الثامنة، ودام ذلك حتى الساعة الحادية عشرة. لقد مشينا في الحقيقة ثلاث ساعات، ونصبنا المخيم في حوالي الخامسة. هناك بعض الهضاب البادية للعين، ويبدو انها هضاب ناكاهوازو. خرج بروليو للاستكشاف ثم عاد ليخبرنا بانه اكتشف طريقاً وبأن النهر يجري باتجاه الغرب في خط مستقيم.

١١ آذار

بدأنا يومنا ببعض الدلائل المشجعة. سرنا اكثر من ساعة في طريق مثالي ثم ضاع منا فجاة.

خرج بروليو للاستكشاف وتمهيد الطريق وقد باشر عمله بصعوبة كبيرة، وانتهى به المطاف إلى الشاطىء. وقد افسحت له مزيداً من الوقت لفتح الطريق بمساعدة أوربالو. وما كدنا نهمّ بالمسير حتى ارتفع منسوب النهر نحو المترين وقطع علينا خطة المسير.

إنقطع الاتصال بيننا وبين رفاق الطليعة، واضطررنا إلى التوجه عبر الغابات. توقفنا في الساعة الواحدة والنصف، وارسلت ميغيل وتوما للحاق بالطليعة وإبلاغهم بضرورة العودة إن لم يكونوا قد عثروا على ناكاهوازو او على مكان ملائم آخر. عادوا في الساعة السادسة بعد ان قطعوا ثلاثة كيلومترات واصطدموا بإحدى الهضاب الشديدة الانحدار. يبدو أننا على وشك بلوغ غايتنا ولكن الأيام الأخيرة ستكون قاسية إذا لم ينخفض منسوب النهر وهو أمر لا نتوقعه. لقد قطعنا ٤٥ كيلو متراً.

حدث نقص في السكر لدى حرس المؤخرة، وقد تساءل الرفاق إن كان ذلك ناجماً عن تلاعب بروليو ام ان نصيبهم المعهود لم يكن كاملاً.

يجب أن اتحدث معه، فهذا أمر مؤسف حقاً.

١٢ آذار

قطعنا في مدة ساعة وعشر دقائق المسافة التي اكتشفناها البارحة، وحين وصلنا كان ميغيل وتوما قد استبقانا في محاولة لتجنب هضبة شديدة الانحدار. دامت محاولتهما طيلة النهار، بينما انصرفنا نحن إلى

الصيد... كانت حصيلتنا أربعة عصافير صغيرة أكلناها مع الأرز. لا يزال عندنا احتياطي من الطعام يكفي لوجبتين فقط. بقي ميغيل في الجانب الآخر، ويبدو أنه وجد طريقاً إلى ناكاهوازو. اجتزنا اليوم من ثلاثة إلى أربعة كيلومترات.

١٣ آذار

تسلقنا بين الساعة السادسة والنصف وبين الظهيرة جبالاً مخيفة متتبعين بذلك الطريق الذي اكتشفه ميغيل... إنه لعمل عملاق. كنا نعتقد أننا وصلنا إلى ناكا هوازو حين التقينا ببعض الممرات الوعرة فلم نتقدم إلاّ النذر اليسير في مدة خمس ساعات. أقمنا المخيم تحت وابل معتدل من المطر، حوالي الساعة الخامسة... كان التعب قد نال من الرفاق كما كانت روحهم المعنوية ضعيفة. بقي لدينا ما يكفي لوجبة واحدة... قطعنا قرابة ستة كيلومترات. بدون فائدة تذكر.

١٤ آذار ١٩٦٧

وصلنا إلى نانكاهوازو، دون أن نلاحظ، (كنت - ولا زلت - متعباً كما لو ان صخراً قد سقط عليّ). النهر هائج، ولسنا في حالة تسمح لنا أن نحاول عبوره، لكن رولاندو اقترح نفسه كمتطوع، وعبر النهر بسهولة ليتابع طريقه إلى القاعدة في تمام الساعة ١٥,٢٠. آمل أن يصلها خلال يومين.

أكلنا وجبتنا الأخيرة، مع اللحم، والآن يتوقف طعامنا على الصيد. في الساعة التي أكتب هذه الملاحظات سمعنا طلقتين، وحصلنا على عصفور صغير. الصيادان كانا إنتي والطبيب.

سمعنا مقتطفات من خطاب فيديل الذي أنّب فيه بقساوة الشيوعيين الفنزويليين، وبقوة موقف الاتحاد السوفياتي من المهرجين الأميركيين.

١٥ آذار

عبرت القوة الرئيسية النهر باستثناء الروبيو والطبيب اللذين بقيا لمساعدتنا، وكنا نأمل أن نصل إلى منبع ناكاهوازو ولكننا اصطحبنا معنا ثلاثة رجال لا يجيدون السباحة ثم إننا كنا مثقلين بالأمتعة. جرفنا التيار مسافة كيلو متر واحد ولم يعد الطوف صالحاً للعبور فبقينا نحن (١١

رجلاً) على هذا الجانب من النهر وسنعيد الكرة غداً لنقل الطبيب والروبيو. اصطدنا اربعة بواشق، وتناولنا بذلك عشاء أفضل مما كنا نتوقع. لقد ابتلت كل حاجياتنا ولا يزال الطقس رطباً. أما معنويات الرجال فضعيفة. التهبت قدما ميغيل وهناك عدد آخر من الرجال يشكون من الحالة نفسها.

١٦ آذار

إتخذنا قراراً بأكل الحصان بعد أن تورمت أقدام الرفاق. إن ميغيل وإنتي واوربانو واليجندرو يعانون نفس الاعراض، اما انا فقد أصبحت ضعيفاً للغاية. لقد اخطأنا التقدير حين تصورنا أن جواكين يستطيع عبور النهر... وقد حاول الروبيو والطبيب عبور النهر بمساعدتنا ولكن التيار حملهما إلى السافلة ثم ما لبثا أن اختفيا عن النظر. طلب جواكين السماح له باجتياز النهر ولكنه اضاعهما بدوره. وقد ارسلت بومبو وتوما في اثرهما ايضاً فلم يجداهما وعادا في المساء. أقمنا وليمة قوامها لحم الحصان، وسنرى غداً نتائجها... اعتقد أن رولاندو قد وصل اليوم إلى المخيم.

استطعنا أن نفك كلياً رموز الرسالة رقم ٣٢ التي تنبئنا بوصول بوليفي جاء للإلتحاق بنا وبإرسال كمية من الغلوكانتين المضادة للطفيليات (ليزيمانيا) وهذه هي المرة الأولى التي نتسلم فيها مثل هذه الأشياء.

١٧ آذار

حدثت مأساة أخرى قبل بدء القتال: فقد وصل جواكين عند الضحى، وكان ميغيل وتوما قد توجها للبحث عنه ومعهما مؤونة من اللحم... كانت الرحلة صعبة للغاية... لم يتمكنا من السيطرة على الطوف الذي جرفه التيار إلى أن أخذ في دوامة مما أدى إلى انقلابه عدة مرات. نجم عن ذلك فقدان متاع ستة أشخاص ومعظم الذخيرة تقريباً، وكذلك ست بنادق ورجل واحد: كارلوس. فقد أُخذ هذا الأخير في الدوامة مع بروليو ولكن بروليو نجح في بلوغ الضفة وشاهد من هناك كارلوس مستسلماً لتيار النهر دون أن يبدي أية مقاومة. وكان جواكين قد توجه مع جميع رجاله عبر تلك النقطة فلم يروا احداً منهم.. لقد كان حتى الآن من افضل الرجال البوليفيين العاملين في حرس المؤخرة نظراً لجديته وانضباطته وحماسته. أما الأسلحة المفقودة فهي: برنو واحد (لبروليو) وبندقيتان م - ١

لكارلوس وبيدرو وثلاث بنادق موزر لابيل وأوزيبيو وبولو. قال جواكين إنه رأى الروبيو والطبيب على الجانب الآخر، وإنه قد أصدر إليهما أمراً بصنع طوف صغير والعودة إلى المخيم. وقد ظهرا في حوالي الساعة الثانية بعد مغامرات عديدة وشبه عاريين... أما الروبيو فقد أضاع حذاءه. ويبدو أن الطوف قد انهار عند أول دوامة... فسبحا حتى وصلا إلى المكان الذي خرجنا منه تقريباً.

تحدد موعد الانطلاق في الغد الباكر... أما جواكين فسوف يلحق بنا في الظهيرة... وإنني لاتوقع أخباراً جديدة خلال نهار الغد. تبدو معنويات رجال جواكين مرتفعة.

١٨ آذار

إنطلقنا باكراً وتركنا جواكين مستسلماً للقيلولة بعد أن التهم نصيبه من لحم الحصان، ومعه أوامر مشددة بأن يلحق بنا حالما يستعيد قواه. وقد كافحت بكل قواي للإحتفاظ ببعض الاحتياطي من اللحم، مخالفاً بذلك رأي أولئك الذين يريدون التهام الحصان كله. تأخر ريكاردو وإنتي وأوربانو عن موعد عودتهم الصباحية، واضطررنا إلى انتظارهم خلافاً لاقتراحي بالاستراحة في المخيم الذي كنا قد انطلقنا منه ساعة الصفر. وعلى أية حال نحن نتقدم ببطء. عاد أوربانو في الساعة الثانية والنصف يجر وراءه غزالاً اصطاده ريكاردو... وهذا ما سيتيح لنا أن نتناول مزيداً من الطعام وادخار بعض لحم الحصان للأيام المقبلة. وصلنا في الساعة الرابعة والنصف إلى مكان لقضاء فترة من الراحة ولكننا نمنا هناك. يبدو أن بيننا بعض المتباطئين والمتثاقلين ممن ساءت طباعهم مثل شنشو وأوربانو وأليخندرو.

١٩ آذار

إنطلقنا في الصباح الباكر وقطعنا مسافة طويلة ثم توقفنا في الساعة الحادية عشرة... كما هو متفق عليه. تأخر ريكاردو وأوربانو مرة أخرى.. كما تأخر اليخندرو أيضاً. وقد وصلوا جميعهم في الساعة الواحدة ظهراً بعد أن اصطادو غزالاً، وكان جواكين معهم. أدى تبادل بعض الألفاظ النابية بين جواكين والروبيو إلى صدام بينهما وقد تدخلت في الحال موجهاً اللوم الشديد إلى الروبيو قبل أن أتأكد من أنه المذنب حقاً.

إتخذت قراراً بمتابعة المسير نحو الجدول مهما كانت الأحوال، ولكن طائرة حلقت في المنطقة وهذا ما يبشر بالخير... ثم إن انقطاع أخبار القاعدة أثار في نفسي مزيداً من القلق. وكنت أعتقد أن الطريق أطول مما كان في الحقيقة، ولكننا وصلنا في الساعة السابعة والنصف رغم تلكوء الرجال وارتخائهم. استقبلنا الطبيب البيروفي، النيغرو، وكان قد وصل مع انشينو وخبير الراديو... وأخبرنا أن بينينيو في انتظارنا على العشاء وأن رجلين من مجموعة غيفارا قد هربا وأن رجال البوليس داهموا المزرعة. وذكر لنا بينينيو أنه خرج للقائنا بكميات من الأغذية، وأنه صادف في طريقه رولاندو منذ ثلاثة أيام وأنه يقيم هنا منذ يومين، ولم يجرؤ على مواصلة المسير أمام احتمال تقدم الجيش من جهة النهر... لا سيما أن الطائرة الصغيرة تجوب المنطقة منذ ثلاثة أيام، وقد شهد النيغرو حادثة مداهمة المزرعة التي قام بها ستة من رجال الشرطة ولم يكن أنطونيو أو كوكو هناك لأن الأخير قد ذهب إلى كاميري لإحضار مجموعة جديدة من رجال غيفارا بينما خرج أنطونيو ليبلغ عن فرار بعض المتطوعين. تلقيت تقريراً طويلاً من ماركوس (د/ ٨) يتضمن وصف مغامراته على طريقته الخاصة، فقد ذهبت إلى المزرعة مخالفاً تعليماتي كما تلقيت تقريرين من أنطونيو يشرح فيهما الموقف (د/ ٩ ود/ ١٠).

وصل الفرنسي إلى القاعدة وكذلك الشينو ورفاقه، والبلادو وتانيا وغيفارا مع أول مجموعة من رجاله. خرج ميغيل بعد أن تناول طعاماً دسماً يتألف من الأرز والفاصولياء السوداء ولحم الغزال، في أثر جواكين الذي لم يتمكن، كما يبدو، من العثور على باشو، المتثاقل في الطريق مرة أخرى. وقد عاد مع ريكاردو ووصل جواكين في الصباح... وهكذا اجتمع شملنا.

٢٠ آذار

إنطلقنا في الساعة العاشرة بخطى بطيئة، وتقدمنا بينينيو والنيغرو ومعهما رسالة إلى ماركوس تتضمن تعليمات بأن يتكفل بشؤون الدفاع ويترك الشؤون الإدارية إلى أنطونيو. انصرف جواكين دونما عجلة من أمره بعد أن أزال آثارنا من مدخل الطريق المؤدي إلى الجدول. وكان يصحبه ثلاثة رفاق حفاة... وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، وبينما كنا ننعم

بقيلولة طويلة، ظهر باشو ومعه رسالة من ماركوس. كان تقريره مطابقاً لتقرير بينينيو. ويبدو أن الأمور قد تعقدت لأن الجند اتخذوا مواقعهم على طريق فاليه غراندي وكان عددهم ستين جندياً، وقد اعتقلوا أحد مراسلينا ويدعى سالوستريو وهو من رجال غيفارا كما استولوا على أحد بغالنا... وعلى سيارة الجيب. لم تصلنا أخبار من لورو الذي كلف بحراسة الكوخ... قررنا أن نصل مهما كانت الظروف إلى معسكر الدب كما أصبح اسمه الآن بعد أن قتل فيه أحد هذه الحيَوانات. أرسلنا ميغيل وأوربانو لإعداد عشاء للرجال الجياع ووصلنا مع هبوط المساء. وكان هناك في المخيم كل من دانتون والبيلاو والشينو بالإضافة إلى تانيا وجماعة من البوليفيين الذين يعملون في نقل المؤن وأدوات المخيم. وكان رولاندو قد أرسل لتنظيم عملية الانسحاب ونقل الأشياء الضرورية فبدا المخيم في حالة من الفوضى التامة.

وصل بعد ذلك بقليل طبيب بوليفي تطوع حديثاً، وكان يحمل معه رسالة إلى رولاندو تقول إن ماركوس وأنطونيو قد ينتظرانه عند نقطة قرب المياه. وقد أبلغتهما مع الرسول نفسه أن الحرب تُكسَب في المعركة وأن عليهما الانسحاب حالاً إلى المخيم وانتظار قدومي. كل شيء يوحي بفراغ رهيب... إنهم لا يعملون ما يجب عمله.

عقدت حديثاً أولياً مع الشينو. إنه يطلب ٥٠٠٠ دولار شهرياً لمدة عشرة أشهر متتالية وقد أعلِم في هافانا أن عليه أن يتفق معي. وحمل معه رسالة لم يستطع أرتورو أن يفك رموزها لكونها طويلة. أخبرته بموافقتي المبدئية على طلبه، على أن يلتحق بالحرب خلال ستة أشهر. قال إنه سيتفرغ لمنطقة أياكوشو على رأس مجموعة تتألف من ١٥ رجلاً وقد اتفقنا بالإضافة إلى ذلك أن يتسلم حالاً خمسة رجال ثم ١٥ رجلاً في وقت لاحق مع كامل أسلحتهم وبعد تدريبهم على القتال. ووعد بأن يرسل إليّ جهازي إرسال متوسطي المدى (٤٠ ميلاً).. وسوف نعمل على وضع شيفرة خاصة بنا بحيث نبقى على اتصال دائم. إنه يبدو في غاية الحماسة. وقد حمل معه أيضاً كمية من المعلومات عن رودولفو، كلها قديم. علمنا بأن لورو قد عاد وبانه قتل جندياً كما يقول.

٢١ آذار

قضيت النهار في تبادل الحديث مع الشينو واستيضاح بعض النقاط مع الفرنسي والبيلاو وتانيا. حمل الفرنسي بعض الانباء القديمة عن مونجي وكولي وسيمون ريس... قال إنه جاء بقصد البقاء ولكنني طلبت إليه أن يعود إلى فرنسا لينظم هناك شبكة تأييد للثورة... وعرضت عليه أن يزور كوبا في طريقه، وكنت أعلم أن ذلك يتفق مع رغبته لانه يريد الزواج من رفيقته وإنجاب طفل. عليّ أن أكتب رسالة إلى سارتر وإلى برتراند راسل لأطلب منهما تنظيم حملة تبرع دولية لصالح حركة التحرر البوليفية. وقد عهدت إلى الفرنسي بالتحدث مع صديق لي يتولى تنظيم كل ما يمت بصلة إلى المساعدة: وبشكل أساسي المال والأدوية والمعدات الاليكترونية واعني بذلك إرسال مهندس اليكتروني ومعدات مناسبة.

أعرب البيلاو عن استعداده للعمل تحت إمرتي، ولكنني اقترحت عليه، في الوقت الحاضر، أن يتولى تنسيق الاتصالات مع جماعات جوزامي وجيلمان وستمبوني..كما طلبت منه أن يرسل خمسة رجال للتدرب معنا على القتال. وقد حملته سلاماً لماريا روزا اوليفر والعجوز، وكذلك مبلغ ٥٠٠ بيزوس، كما أعطيته مائة أخرى لتنقلاته... فإذا وافقا على العمل هنا فإن عليهما جس النبض في شمال الارجنتين وتقديم تقرير عن النتائج التي يتوصلان إليها. تولّت تانيا تنظيم الاتصالات بالرجال، ويبدو أنهم لبُّوا دعوتها ولكنهم اضطروا إلى السفر في سيارة جيب ليقضوا يوماً هنا، بيد أن الأمور تعقدت. لم يستطع جوزامي أن يمكث في المرة الاولى كما لم يتمكن في المرة الثانية من إجراء أي اتصال بسبب غياب تانيا. إنها تتحدث عن إيفان بنوع من الاحتقار ولا أعلم السبب الحقيقي الذي يدفعها لاتخاذ مثل هذا الموقف. تلقينا كشفاً بحسابات لويولا حتى التاسع من شباط: ١٥٠٠ دولار. وقد تحدثت أيضاً عن خلافها مع قيادة الشبيبة كما حمل إليّ البريد تقريرين من إيفان: الاول عادي ويتضمن صوراً لمدرسة عسكرية، والآخر أيضاً لا اهمية له ويتضمن بعض المعلومات. وكان أهم ما جاء في تقريريه انه لا يستطيع ان يفك رموز رسائل الشيفرة (د/ ١٣). وصلني تقرير من أنطونيو وفيه يحاول تبرير موقفه. جاء في أحد أنباء الإذاعة أنهم اكتشفوا جندياً مقتولاً ثم سرعان ما كُذِّب هذا الخبر، واعتقد

أن ما قاله لورو صحيح.

٢٢ آذار

في ()[١]... أخلينا المخيم وفيه بعض الطعام الذي لم نستطع اخفاءه (). وصلنا إلى أسفل المخيم في الظهيرة وشكلنا مجموعة من ٤٧ رجلاً بمن فيهم الزوّار وحين وصل إنتي عرض عليَّ عدداً من الأخطاء التي ارتكبها ماركوس. غضبت غضباً شديداً وقلت لماركوس إنه سيفصل من المجموعة إذا كان ما يقوله إنتي صحيحاً ورد عليَّ انه يفضّل آنذاك أن يموت رمياً بالرصاص.

أمرت بنصب كمين من خمسة رجال في أسفل النهر، وكلّفت مجموعة أخرى بمهمة استطلاعية تحت قيادة أنطونيو وبعضوية ميغيل ولورو. قام باشو بمهمة الراصد في الهضبة الجرداء التي تشرف على بيت أرغاناراز ولكنه لم يلحظ شيئاً. وفي المساء، عاد رجال مجموعة الاستطلاع خلافاً للأمر الصادر إليهم فاستقبلتهم بتعنيف شديد. وقد انفعل لورو بشدة ونفى التهم الموجهة إليه... ولم يثمر الاجتماع الذي عقد... كان عاصفاً وسابقاً لأوانه. لست واثقاً على الإطلاق من أن الأمور قد جرت كما وصفها ماركوس. ارسلت في طلب رولاندو لمعرفة عدد المتطوعين الجدد وكيفية توزيعهم بعد أن تبين أن هناك ٣٠ رجلاً في مجموعة الوسط فتك بهم الجوع.

٢٣ آذار

يوم من الأعمال الحربية. أراد بومبو تنظيم «غوندولا» لنقل بعض الحاجيات من المخيم القديم ولكنني عارضت هذا المشروع إلى ما بعد البتِّ في مسألة استبدال ماركوس. وصل كوكو مسرعاً بعد الساعة الثامنة بقليل يحمل أنباء وقوع سرية من الجيش في الكمين المعدِّ لها. وكانت النتيجة النهائية حتى هذه اللحظة: ٣ مدافع مورتر من عيار ٦٠ مليمتراً، ١٦ بندقية موزر، ٣ بنادق ي. س. أ. س، رشيش عيار ٣٠، جهازا راديو، وعدد من الأحذية... إلى جانب ٧ قتلى و١٤ أسيراً في حالة جيدة و٤

---

(١) يشير الفراغ إلى فقرة غير واضحة في النص الأصلي.

جرحى... ولكننا لم نتمكن من الحصول على أية مواد غذائية وقد وقعت في ايدينا خطة العمليات التي تتضمن التقدم من طرفي ناكاهوازو والالتقاء عند وسطه. نقلنا الرجال بسرعة إلى الجانب الآخر ووضعت ماركوس ورجال الطليعة عند نهاية طريق المناورات بينما بقي حرس المؤخرة ومجموعة الوسط للدفاع، وكلّف برولبو بنصب كمين عند نهاية الطريق الآخر للمناورات. سنقضي الليل على هذا الشكل لنرى إذا كان الجنود (المشاهير) سيظهرون غداً في الميدان أم لا، وقد أجاب ضابطان برتبة ميجور وكابتن كالببغاوات حينما وجهت إليهما الأسئلة.

فككنا رموز رسالة حملها إليّ الشينو. تتحدث الرسالة عن سفر دوبريه وإرسال الـ ٦٠٠٠٠ (دولار) وعن مطالب الشينو كما تشرح لنا سبب انقطاعهم عن الكتابة إلى إيفان.

تلقيت أيضاً رسالة من سانشيه تتضمن معلومات عن إمكان انتقال ميتو إلى بعض الأماكن.

٢٤ آذار

الغنائم النهائية هي التالية: ١٦ بندقية موزر، ٣ مدافع مورتر مع ٦٤ قذيفة، ٢ ب ز، ٢٠٠٠ رصاصة موزر، ٣ ي. س. ا. س مع مخزونين لكل واحد، رشيش عيار ٣٠ مع حزامين من الرصاص، هناك: ٧ قتلى و١٤ أسيراً من بينهم ٤ جرحى. ارسلت ماركوس في مهمة استطلاعية ولكنه عاد بدون ان يجد شيئاً. تقوم الطائرات الآن بقصف بيتنا الصغير. ارسلت إنتي للتحدث، للمرة الأخيرة، مع الأسرى وإطلاق سراحهم بعد تجريدهم من ثيابهم العسكرية ومن كل ما يمكن الاستفادة منه. أما الضابطان فقد أخلي سبيلهما مع كامل ثيابهما... بعد أن تم استجوابهما على انفراد. قلت للميجور إنني سأسمح له بنقل القتلى من جنوده حتى ظهيرة السابع والعشرين، وعرضت عليه عقد هدنة تشمل منطقة لاغونيلاس إذا بقي في هذه المنطقة ولكنه أجاب أنه سيستقيل من الجيش. وقال الكابتن إنه قد عاد إلى الجيش منذ سنة فقط تلبية لطلب رجال الحزب وإن له شقيقاً يتابع دراسته في كوبا وقد اعطانا بالإضافة إلى ذلك اسم ضابطين في الجيش قال إنهما مستعدان للتعاون معنا. وعندما شرعت الطائرات بقصف مراكزنا، اصيبا بذعر لا مثيل له.. وقد ذعر أيضاً اثنان من رجالنا: راوول ووالتر

الذي لم يظهر شجاعة كبرى اثناء الكمين.

استطلع ماركوس المنطقة ولم يعثر على أحد فيها، وخرج ناتو وكوكو مع المتطوعين «المترددين» للقيام «بغوندولا» ولكنهما اضطرا إلى إعادتهم بعد أن رفضوا المسير. يجب تسريحهم.

٢٥ آذار

إنقضى النهار بدون اي جديد. ارسلت أوربانو وارتورو للرصد في مكان يشرف على المنافذ المؤدية إلى جانبي النهر. وفي الظهيرة انسحب ماركوس من موقعه، واحتشدوا جميعاً في مكان الكمين الرئيسي. وفي الساعة السادسة والنصف جمعت الرفاق وقمت بعرض تحليلي للرحلة التي قطعناها... وشرحت مغزاها وعرضت أخطاء ماركوس، وعزلته من منصبه، وعينت ميغيل رئيساً لرجال الطليعة. وأعلنت في الوقت نفسه عن تسريح باكو وبيب وشنغولو وأوزيبيو وأخبرت هؤلاء أن الطعام لن يقدم لهم بعد الآن ما لم يؤدوا الاعمال المطلوبة منهم كما أخبرتهم ان نصيبهم من التبغ لن يؤول إليهم بعد اليوم، وانني سأعمل على توزيع حاجياتهم الشخصية على رفاق أشد عوزاً منهم. وقد لمّحت بشكل عابر إلى مشروع كولي الذي يريد المجيء وفتح الحوار معنا... في الوقت الذي يُفصَل فيه عدد من أعضاء الشبيبة الموجودين معنا. قلت لهم إن الحقائق وحدها هي التي تهم... أما الكلام الذي لا يتفق مع الحقائق فلا فائدة منه. وأخبرتهم بالمساعي المبذولة لإيجاد البقرة وكذلك بانتظام الدراسة من جديد.

تحدثت مع بيدرو والطبيب وامتدحتهما كمحاربين ممتازين.. وامتدحت ايضاً أبولينار وشجعته. كما وجهت الانتقادات إلى والتر لتخاذله أثناء الرحلة ولمته على موقفه في القتال وما أبداه من خوف أمام قصف الطائرات. لم تكن ردة فعله جيدة.

استوضحت بعض التفاصيل من الشينو والبلادو، وقمت بعرض شفهي طويل للفرنسي عن الوضع.

وقد أطلقنا أثناء الاجتماع على مجموعتنا اسم جيش التحرير الوطني البوليفي (سنذيع بلاغاً بشأن هذا الاجتماع).

٢٦ آذار

خرج إنتي باكراً بصحبة انطونيو وراوول وبيدرو للبحث عن بقرة في

منطقة نيكوشا وقد صادفوا في الطريق قوات عسكرية على بعد ثلاث ساعات من مواقعنا، وعادوا حالاً قبل أن يراهم الجنود. وقالوا إن هؤلاء قد أقاموا مركزاً للحراسة على هضبة جرداء، وإنهم شوهدوا في منزل يلمع سقفه تحت أشعة الشمس... ورأوا بأم أعينهم ثمانية رجال يخرجون من هذا البيت. يبدو أنهم منتشرون في المناطق المجاورة للنهر الذي يسميه (ياكي). تحدثت مع ماركوس وأرسلته إلى حرس المؤخرة... لا أعتقد أن سلوكه قد تحسن كثيراً.

قمنا بتجهيز «غوندولا» صغيرة، كما قمنا بالحراسة الاعتيادية. وشاهد الرفاق من مرصدهم المجاور لأرغاناراز ثلاثين إلى أربعين جندياً وطائرة هيليكوبتر تحط على الأرض.

٢٧ آذار

انفجر النبأ اليوم كالعاصفة وشغل اهتمام الإذاعة كما أثار كمية من البلاغات، وحديثاً صحفياً لباريانتوس. ذكر البلاغ الرسمي سقوط عدد من القتلى يزيد قتيلاً واحداً عن بلاغنا كما ذكر أن هؤلاء قد جرحوا في البداية ثم أجهِز عليهم بعد ذلك.. وقال البلاغ إن خسائرنا قد بلغت ١٥ قتيلاً و٤ أسرى بينهما أجنبيان. وذكر أيضاً أن أجنبياً قد انتحر، كما أورد بعض المعلومات عن الثورة. وإنه لمن الواضح أن الفارين من الفصيلة قد تكلموا أو لعلهم الأسرى، ولكننا لا نعلم بالضبط ما الذي قالوه وكيف أوردوه. وتشير الدلائل كلها إلى أن تانيا قد انكشف دورها... ومعنى ذلك أن العمل الشاق والصبور الذي بذلته خلال عامين كاملين قد ضاع سدى. وقد أضحى الآن انسحاب الزائرين في غاية الصعوبة، ويخيل إليّ أن دانتون لم يُسرّ من هذه النتيجة وسنرى ما ستكشف عنه الأمور. خرج بينينيو ولورو وجوليو لاستكشاف الطريق المؤدي إلى بيريرندا... سيبقون يومين أو ثلاثة أيام وقد أصدرت إليهم تعليمات صارمة بأن يتواروا عن الأنظار في بيريرندا وأن يتوجهوا بعد ذلك إلى غوتييريز. ألقت طائرة الاستطلاع ببعض المظليين.. وذكر لنا الرقيب أنهم سقطوا في حقول الصيد. أرسلت أنطونيو مع رجلين آخرين لاستطلاع مواقعهم، وأسرهم ولكنهم لم يجدوا أحداً.

عقدنا اجتماعاً في المساء لهيئة الأركان، ووضعنا خلاله، خططنا للأيام

المقبلة: إرسال «غوندولا» منذ الغد إلى كوخنا الصغير لإحضار الذرة، القيام ببعض المشتريات في غوتييريز، القيام بهجوم صغير في الغابات بين بنكال ولوغونيلاس ضد السيارات العاملة على هذا الطريق بقصد تضليل الجنود

إنتهينا من وضع صيغة البلاغ رقم ١ الذي سنسلمه إلى الصحافيين في كاميري (د/ ١٧).

٢٨ آذار

لا تزال الإذاعات تتحدث عن أنباء الحركة المسلحة. وقد أطاحت بنا قوات قوامها ٢٠٠٠ رجل في منطقة قطرها ١٢٠ كليومتراً وبدأ الخناق يضيق علينا مدعوماً بقنابل النابالم التي تلقيها الطائرات. وقد منينا بما بين ١٠ و١٥ إصابة.

أرسلت بروليو على رأس تسعة رجال سعياً وراء الذرة وقد عادوا في المساء يحملون سلسلة من الانباء المثيرة: ١) اختفى كوكو وكان قد خرج لتحذيرنا. ٢) حين وصلوا إلى المزرعة في الساعة الرابعة بعد الظهر وجدوا ما يشير إلى أن الكهف قد تعرض للتفتيش. وما كادوا يتفرقون لقطف الذرة حتى ظهر سبعة رجال من الصليب الاحمر، وطبيبان، وبضعة عسكريين غير مسلحين، فأسروهم جميعهم بعد أن شرحوا لهم أن الهدنة قد انتهت ثم سمحوا لهم بمواصلة طريقهم. ٣) وصلت شاحنة محملة بالجنود... وبدلاً من إطلاق النيران عليهم، أصدروا إليهم الأوامر بالانسحاب. ٤) إنسحب الجنود بانتظام ورافق محاربونا المسؤولين الصحيين إلى المكان الذي تنتشر فيه الجثث المتفسخة، ولكن هؤلاء لم يتمكنوا من نقلها، فقالوا إنهم سيعودون غداً لإحراقها. صادر رفاقنا حصانين لارغاناراز، وعادوا بعد أن تركوا أنطونيو والروبيو وإنيسيتو في الامكنة التي عجزت فيها الخيول عن مواصلة مسيرها. وقد ظهر كوكو فجأة بينما كنا نهم بالبحث عنه ويبدو أنه قد نام قليلاً.

لم تصلنا حتى الآن أنباء من بينينيو.

تحدث الفرنسي بحرارة قوية عن إيمانه بأنه سيكون ذا فائدة كبرى في الخارج.

٢٩ آذار

لم نعمل كثيراً في هذا اليوم، ولكنه كان مثيراً للغاية بسبب ما تضمنه من أنباء. لقد كشف الجيش عن معلومات كثيرة ستكون، إذا صحت، ذات فائدة كبيرة لنا. وقد أُذيعت هذه المعلومات من هافانا. ونقلت تصريح مسؤول رسمي بأن الحكومة ستساند بادرة فنزويلا لبحث قضية كوبا في منظمة الدول الأمريكية. ومن بين الاخبار الواردة، شغل فكري نبأ اشتباك جرى في وادي تيرابوي وأسفر عن مقتل ثائرين. ذلك لان هذا الوادي هو الطريق الطبيعي المؤدي إلى بيريرندا... ولان بينينيو قد كلف باستطلاع هذه المنطقة وكان عليه أن يعود اليوم... وحتى الآن لم يظهر له أثر. لقد أمرته بتحاشي المرور في الوادي ولكن تعليماتي لم تكن تنفذ في الايام الاخيرة.

إن غيفارا يتقدم ببطء في عمله. زودناه بالديناميت، ولكن رجاله لم يتمكنوا من استخدامها أثناء النهار. ذبح الرفاق حصاناً وأكلوا لحماً كثيراً كان مقدراً له أن يكفي لمدة اربعة أيام.

يبدو أنهم لم يحرقوا الجثث المتفسخة بعد لان حركة العقبان لم تنقطع. سننتقل من هذا المخيم الذي بات مكشوفاً وغير ملائم حالما يُعدُّ الكهف. وقد طلبت إلى اليخندرو ان يبقى هنا مع الطبيب وجواكين (بدون شك في مخيم الدب). يبدو أن رولاندو أيضاً منهمك للغاية.

تحدثت إلى أوربانو وتوما ولكنني لم أنجح في إفهام توما سبب انتقاداتي له.

٣٠ آذار

استتب الهدوء من جديد. وصل بينينيو ورفاقه صباحاً، وقد عبروا بالفعل وادي بيرايوي ولكنهم لم يشاهدوا شيئاً باستثناء آثار اقدام شخصين، وقد وصلوا إلى المكان المنشود... على الرغم من مصادفتهم بعض الفلاحين ثم عادوا أدراجهم، وأوضحوا أن الرحلة إلى بيريرندا ستستغرق أربع ساعات، وأن لا خطر يحدق بالوصول إليها.

لم تتوقف الطائرات عن مهاجمة البيت الصغير بمدافعها الرشاشة.

أرسلت أنطونيو ومعه رجلان لاستطلاع منطقة النهر العليا، وقد دلت معلوماتهم على أن الجنود لم يتحركوا من مراكزهم.. على الرغم من وجود

بعض الآثار التي تشير إلى قيام بعضهم باستكشاف المنطقة. ويبدو أنهم قد حفروا بعض الخنادق.

عادت الفرس المفقودة، وبات عندنا من اللحم ما يكفينا لأربعة أيام مهما ساءت الأحوال. سنستريح غداً وبعد الغد ستتوجه الطليعة لتنفيذ العمليتين التاليتين: احتلال غوتييريز، ونصب كمين للجنود على طريق ارغاناراز ـ لاغونيلاس.

٣١ آذار

لا جديد يستحق الذكر. قال غيفارا إن الكهف سيكون جاهزاً في الغد، وذكر إنتي وريكاردو أن الجنود قد عادوا لاحتلال مزرعتنا الصغيرة تمهيداً لأعمال المدفعية (المورتر) والطيران. إن هذا يعرقل خططنا للوصول إلى بيريرندا والتموّن من هناك. أصدرت الأوامر إلى مانويل للتقدم برجاله نحو الكوخ والاستيلاء عليه إذا كان خالياً وإرسال اثنين من رجاله لإبلاغي بذلك حتى نواصل مسيرتنا بعد غد... أما إذا كان الكوخ في يد العدو ويستحيل استرجاعه بهجوم مفاجيء، فإن عليه العودة لدراسة إمكانية محاصرة مزرعة أرغاناراز من الجانبين ونصب كمين للجيش بين بنكال ولاغونيلاس. لا تزال الإذاعة توالي تعليقاتها بينما تتابعت البلاغات الرسمية عن سير القتال. لقد حددوا موقعنا بدقة تامة بين الياكي وناكاهوازو وإنني لأخشى أن يقوموا بتطويقنا.

تحدثت مع بينينيو وشرحت له الخطأ الذي ارتكبه بعدم خروجه للبحث عنا، كما عرضت له وضع ماركوس. وفي المساء تحدثت مع لورو وانيسيتو وكان الحديث عاصفاً. قال لورو إن الموقف يتدهور ولما طلبت منه توضيح ما يعنيه بذلك، رغم انه يخص بكلامه ماركوس وبينينيو، وقد تضامن معه انيسيتو في بعض ما قاله، ولكنه اعترف فيما بعد لكوكو أنهما كانا متواطئين سوية في سرقة بعض المعلبات كما قال لإنتي إنه لا يوافق على كلام لورو بخصوص بينينيو وبومبو، كما لا يوافق جزئياً على حديثه عن «تدهور حرب العصابات بشكل عام»

التحليل الشهري

كان هذا الشهر غنياً بالاحداث، ولكن اللوحة العامة تتميز بالخصائص

التالية: مرحلة تدعيم وتطهير العصابات قد انتهت تماماً. مرحلة من النمو البطيء، وانضمام العناصر القادمة من كوبا والمتمتعة بكفاءة حسنة، كما يبدو، وكذلك انضمام رجال غيفارا الذين تبيَّن أن مستواهم العام ضحل (فرَّ اثنان منهما، وقع أحدهما أسيراً وافشى كل شيء، أبدى ثلاثة منهم رغبتهم في ترك الخدمة، أما الباقيان فضعيفان).

تميزت مرحلة بدء القتال بهجوم دقيق ومدهش أفسدت بعض جوانبه وقبل بدئه وبعده بعض التصرفات الطائشة (إنسحاب ماركوس، عمل برولبو)، مرحلة بدء الهجوم المضاد للعدو المتميزة حالياً: أ) باتجاه لإقامة نقاط مراقبة من شأنها عزلنا. ب) بدعاية قوية على المستوى الوطني والدولي. ج) بعدم الفعالية الكلية حتى الآن للتعبئة الفلاحية.

إننا مجبرون بالطبع على بدء المسيرة في وقت أبكر مما تصورناه.. تاركين وراءنا مجموعة لا تقوى على السير، وأربعة وشاة على الأقل.

إن الموقف ليس جيداً ولكن مرحلة أخرى لاختبار المحاربين قد بدأت وسوف تعود بالفائدة الكبرى عليهم حالما تنتهي.

نظمت فرقتنا الصغيرة على الوجه التالي:

الطليعة: ميغيل، رئيساً ومعه بينينيو وباشو ولورو وانيسيتو وكامبا وكوكو وداريو وجوليو وبابليتو وبول.

حرس المؤخرة: جواكين رئيساً، برولبو مساعداً له ومعهما روبيو وماركوس وبيدرو والطبيب وبولو ووالتر وفيكتور (بيت، باكو، أوزيبيو سنغولو).

الوسط: أنا واليخاندرو ورولاندو وإنتي وبومبو وناتو وتوما واوربانو ومورو ونيغرو وريكاردو وارتورو واوستاكيو وغيفارا وويلي ولويس وانطونيو وليون (تانيا، دانتون، الشينو زائرون) وسيرابيو (لاجيء).

نيسان ١٩٦٧

١ نسيان

تأخر رجال الطليعة عن الموعد المحدد لانطلاقهم وخرجوا في الساعة السابعة صباحاً... ولم يكن كومبا قد عاد من رحلته مع ناتو إلى كهف الدب... بقصد إخفاء الأسلحة. عاد توما في الساعة العاشرة من مرصده ليعلن أنه رأى ثلاثة أو أربعة جنود في حقل الصيد. أسرعنا في الحال إلى احتلال مواقعنا، وأخبرنا والتر من مركز المراقبة بأنه رأى ثلاثة جنود ومعهم بغل أو حمار منهمكين في وضع شيء لا يعرف كنهه، وقد دلني بيده على مكان وجودهم، ولكنني لم أر شيئاً. إنسحبت في الساعة الرابعة بعد الظهر يقيناً مني أنهم لن يهاجمونا... ويخيل إليّ أن ما رآه والتر ليس سوى سراب.

إتخذت قراري بإخلاء كل شيء، منذ الصباح، وكلفت رولاندو بقيادة المؤخرة أثناء غياب جواكين.. وصل ناتو وكامبا، في الساعة التاسعة مساء، بعد أن أخفيا كل شيء باستثناء عشاء الأشخاص الستة الذين سيبقون وهم: جواكين وأليخندرو وموررو وسيرابيو وأوستاكيو وبولو. وقد احتج الكوبيون الثلاثة على هذا القرار.

ذبحنا فرساً أخرى بقصد تجفيف لحمها وترك مؤونة للرجال الستة. عاد أنطونيو في الساعة الحادية عشرة وقال إنه لم يطرأ أي شيء جديد، وقد أحضر معه كيساً من الذرة.

خرج رولاندو في الساعة الرابعة صباحاً ومعه الرجال الضعفاء الأربعة (سنغولو، أوزيبيو، باكو، بيب) وقد طلب بيب سلاحاً، وقال إنه سيبقى معنا وكذلك خرج كامبا معهم.

وصل كوكو في الساعة الخامسة وهو يحمل رسالة جديدة تقول إنهم ذبحوا بقرة وإنهم في انتظارنا. وقد اتفقنا على الالتقاء بقرب الجدول الذي ينبع من الجبل، في أسفل المزرعة. وذلك بعد غد، عند الظهيرة.

٢ نيسان

أدّى تراكم تلك الكمية العجيبة من الأشياء والحاجيات إلى قضاء يومنا كله في ترتيبها في الكهوف المعدّة لها... وكان نقلها قد انتهى في الساعة الخامسة.. تركنا أربعة رجال للحراسة ولكن الهدوء ظل مخيماً بشكل عجيب ولم تحلق أية طائرة فوق المنطقة. تقول تعليقات الراديو أن «الخناق بدأ يضيق علينا تدريجياً» وإن محاربينا قد بدأوا يستعدون للدفاع عن أنفسهم في وديان ناكاهوازو. وجاء في الأخبار أيضاً أن دون رمبرتو قد أوقف، وأنه اعترف ببيعه المزرعة لكوكو.

إتخذنا قراراً بتأجيل المسيرة هذا اليوم، لفوات الأوان، ولكننا اتفقنا على الانطلاق غداً صباحاً في الساعة الثالثة، واختصار نهار كامل بتوجهنا مباشرة عن طريق ناكاهوازو رغم أن المكان المحدد للإلتقاء يوجد في الاتجاه الآخر.

تحدثت إلى مورو وأفهمته أنني لم أُسمّه في المجموعة التي تضم صفوة الرجال نظراً لما أظهره من ضعف لا سيما نحو الطعام، وميله إلى إثارة أعصاب الرفاق بسخريته. وقد دام الحديث بعض الوقت.

٣ نيسان

نفذنا البرنامج المرسوم بدون مشقة، وانطلقنا في الساعة الثالثة والنصف، بخطى بطيئة، ووصلنا إلى المنعطف في الساعة السادسة والنصف وإلى ضواحي المزرعة في حوالي الثامنة والنصف. وعندما مررنا بالمكان الذي نصب فيه الكمين لم يكن تبقى من الجثث السبع سوى

هياكل عظمية نظيفة للغاية. ويبدو أن العقبان قد قامت بمهمتها على افضل وجه. ارسلت رجلين (أوربانو وناتو) للإتصال برولاندو وانتقلنا بعد الظهر إلى أودية بيرابوي حيث قضينا الليل بعد أن تناولنا طعاماً من لحم البقر والذرة.

تحدثت مع دانتون وكارلوس وعرضت عليهما ثلاث إمكانات، الاستمرار معنا أو الانسحاب لوحدهما، أو التوجه إلى غوتييريز واختبار حظهما هناك، وقد اختارا الحل الثالث.

سنجرب حظنا غداً.

٤ نيسان

وجدنا قبعة مظلي وآثار طعام اميركي شمالي، وجبات شخصية. قررت ان اقتحم التلة الأولى. وهذا ما فعلناه في الساعة ١٨,٣٠.

خرج عمال كادحون غواراتيون واخبرونا بأن الجيش، المؤلف من حوالي ١٥٠ رجلاً، انسحب البارحة وان صاحب المنزل قد ذهب بقطيعه بعيداً. طلبنا إليهم تحضير بعض الطعام من لحم الخنزير واليوكا في حين ذهبنا لكي نحتل المنزل الثاني [].

توجه لورو وكوكو وانيسيتو، وبعدهم، إنتي، إلى المنزل الثاني برفقة فلاحين آخرين.

لم يكن الزوجان موجودين، لكن الفلاح عند وصوله، انتهز حالة الارتباك وهرب. تأكدنا أخيراً من أن كتيبة من الفيلق الثاني البوليفي قد توقفت هنا وغادرت هذا الصباح؛ التعليمات كانت تقضي بأن تسلك الكتيبة مضيق جبل بيرابوي، لكنهم قرروا سلوك طريق آخر، ولذلك لم نصادفهم.

في المنزل الأول وجدنا مواد تركها الجنود، قصعات، مطرات، وحتى ذخائر وعتاداً. صادرناها بعد أن اكلنا جيداً، غادرَت المؤخرة في الساعة الثالثة، ونحن غادرنا في الساعة ٢,٢٠.

٥ نيسان

يوم خال من الأحداث لكنه مشحون ببعض التوتر. تجمعنا في الساعة العاشرة. ثم غادر ميغيل بعد قليل، حاملاً جعبة ظهره لاحتلال مدخل المضيق، مع أمر بارسال رجال المؤخرة الثلاثة المتمركزين في ذلك المكان، ليستعيدوا جعبهم.

تسهيلاً للحركة، أعطيت تعليمات لاوربانو وايلناتو وليون ليحلوا محل رجال المؤخرة الثلاثة. في تمام الساعة ٣,٣٠ توقفت مع وسط المجموعة لكي ننظم الكمين بهدف إعاقة قوات يمكن أن تنزل عبر المضيق، بينما تحمي المؤخرة والمقدمة منفذي النهر إلى مكان ظهوره. في الساعة ١٤ أرسلت توما ليتفقد عمل الرجال الثلاثة.

في الساعة ١٧ عاد دون أخبار. في الساعة ١٨,١٥ وصل رولاندو. وبما انه لم يتسلم الرجال الثلاثة، اكتفى بأخذ جعبهم... توضيحات بروليو اثارت الشك جدياً حول القدرة القتالية لماركوس الحالية.

فكرت بأن أغادر عند الفجر عبر منحدر النهر، ولكني رأيت جنوداً يسبحون على بعد ثلاثماية متر من موقعنا، فقررنا عندئذ ان نعبر النهر دون أن نترك اي اثر ثم نعود إليه عن طريق آخر.

٦ نيسان

يوم مشوب بالتوتر الكبير. عبرنا ناكاهوازو في الساعة الرابعة ثم انتظرنا طلوع النهار لمواصلة المسير... بدأ ميغيل في استكشاف المنطقة ولكنه اضطر للعودة مرتين بسبب أخطاء كان من نتيجتها أننا اقتربنا كثيراً من الجنود. أعلمنا رولان، في الساعة الثامنة، أن هناك عشرة جنود أمام الوادي الذي غادرناه تواً. مشينا ببطء وفي الساعة الحادية عشرة، وصلنا إلى مرتفع بعيد عن الخطر. ولحق بنا رولان ومعه أنباء أن هناك اكثر من ١٠٠ جندي يتمركزون في الوادي.

وفي المساء، وقبل أن نصل إلى الجدول، سمعنا صراخاً لبعض رعاة البقر... قادماً من النهر. توجهنا إلى المكان وامسكنا بأربعة فلاحين ومعهم أبقار لارغاناراز. وكانوا يحملون ترخيصاً من الجيش لإحضار ١٢ رأساً من الماشية. وقد انصرف بعضهم قبل وصولنا ولم نتمكن من اللحاق بهم فاحتفظنا ببقرتين لطعامنا وسحبناهما إلى الجانب الآخر من النهر وربطناهما بقرب الجدول. وقد تبين أن المدنيين الاربعة هم: متعهد وابنه وفلاح من شوكيزاكا وآخر من كاميري بدا منفتحاً نحونا للغاية وقد سلّمناه البلاغ الذي أعددناه ووعد بتوزيعه.

إحتفظنا بالرجال الأربعة بعض الوقت، ثم اخلينا سبيلهم مقابل إخلادهم إلى الصمت فوعدونا بذلك.

قضينا المساء في التهام الطعام.

٧ نيسان

توغّلنا في الطريق القائم بمحاذاة الجدول مصطحبين معنا آخر بقرة حية ذبحناها بعد ذلك لتجفيف لحمها تحت أشعة الشمس. عهد إلى رولاندو بنصب كمين قرب النهر مع أمر بإطلاق النار، ولكن لم يحدث أي شيء طيلة النهار. واصل بينينيو وكامبا استكشاف الطريق الذي سيقودنا إلى بيريرندا وأخبرانا أنهما سمعا ما يشبه صوت محرك منشرة في أحد الوديان الضيقة القريبة من جدولنا.

بعثت أوربانو وجوليو لنقل رسالة إلى جواكين فانقضى النهار ولم يعودا.

٨ نيسان

لا جديد اليوم. خرج بينينيو لمواصلة عمله ولكنه لم يتمكن من إنهائه، وقال إنه لن يتمكن من ذلك في الغد أيضاً. ذهب ميغيل لاستكشاف وادٍ كان بينينيو قد لمحه من مكانه المرتفع ولكنه لم يعد. وعاد أوربانو وجوليو مع بولو. لقد استولى الجنود على المخيم وهم يقومون الآن بتفتيش التلال. أيّد جواكين صحة هذه الأنباء، وأورد لنا بعض المشاكل الأخرى ضمنتها الوثيقة المرفقة (د/ ١٩). لدينا الآن ثلاث بقرات مع عجولها ولكن بقرة واحدة قد أفلتت، وبقي عندنا أربع دواب فقط. سنخصص دابة أو دابتين لإعداد اللحم المجفف بما تبقى لدينا من ملح.

٩ نيسان

خرج بولو ولويس وويلي لتسليم مذكرة إلى جواكين ومساعدته على العودة مع مجموعته. هناك أمكنة لا بأس بها رغم قربها الشديد من الجدول.. وقد انصرف ناتو وغيفارا لاختيار المكان المناسب من بينها. قال ناتو إن هناك أمكنة صالحة على الرغم من قربها من الجدول على مسافة ساعة من المخيم وهي أبعد بقليل من المكان الذي نقيم فيه حالياً. وصل ميغيل وقال إن الطريق الذي استكشفه يؤدي إلى بيريرندا وإن الوصول إليه بحمولتنا يستغرق يوماً كاملاً. وهكذا أصدرت تعليماتي إلى بينينيو لإيقاف استكشافاته لأنها ستأخذ يوماً كاملاً آخر.

١٠ نيسان

طلع النهار بدون أي جديد. ورحنا نتهيأ لمغادرة الجدول بعد أن قمنا بإزالة جميع الآثار التي تدل على مرورنا في هذا المكان. وقد عزمنا على اجتياز طريق بيريرندا ـ غوتييريز عبر الوادي الذي اكتشفه ميغيل. وصل النيغرو في منتصف الصباح وكان يبدو في غاية الاضطراب وقد حمل إلينا أنباء أن ١٥ جندياً في طريقهم إلى النهر. أرسلت إنتي إلى الكمين لتحذير رولاندو. لم يتبق أمامنا سوى الانتظار فانتظرنا. طلبت من توما إبلاغي بأي تطور. وقد وصلت الأنباء الاولى سريعاً وكانت سيئة. اصيب الروبيو (جيزو سواريز غايول) بجروح خطيرة ومات فور نقله إلى المخيم لإصابته برصاصة في رأسه. جرت الامور على الوجه التالي:

كان الكمين يتألف من ثمانية رجال من حرس المؤخرة، ومن مجموعة للحماية تتألف من ثلاثة رجال من حرس الطليعة يتوزعون على طرفي النهر. وحين علم إنتي بوصول الجنود أسرع إلى المكان الذي يرابط فيه الروبيو، ورأى في الحال انه غير مناسب لكونه مكشوفاً من ناحية النهر. وكان الجنود يتقدمون بلا حيطة تذكر ولكنهم اصطدموا ببروليو أو بيدرو قبل وقوعهم في الكمين بينما كانوا يتفحصون جوانب النهر بحثاً عن المسالك. دام إطلاق النيران بضع ثوان مخلفاً على ارض المعركة قتيلاً وثلاثة جرحى وستة أسرى، وقد سقط ضابط صف في الحال وفرّ أربعة. ووجد الرفاق الروبيو محتضراً إلى جانب أحد الجرحى بعد أن تعطلت بندقيته وكانت بقربه قنبلة يدوية لم تنفجر رغم أن صمام أمانها كان مفتوحاً. لم نتمكن من استجواب الاسير بسبب حالته الصحية الخطيرة وقد مات حالاً كما مات الضابط الذي كان يقود الدورية.

خرجنا من استجوابنا للاسرى بما يلي: كان الجنود الخمسة عشر يتبعون كتيبة تعسكر في أسفل نهر ناكاهوازو وقد عبرت هذه الكتيبة الوادي الضيق وجمعت عظام الجنود الذين سقطوا في الكمين الاول ثم هاجمت المخيم... ويبدو أن رجالها، إذا صدق الاسرى، لم يجدوا شيئاً... رغم أن الإذاعة قد تحدثت عن وثائق وصور عثر عليها هناك. كانت الكتيبة تضم ١٠٠ رجل ذهب منهم ١٥ جندياً لمرافقة فريق من الصحافيين إلى مخيمنا أما هؤلاء فقد كلفوا باستطلاع هذه المنطقة والعودة إلى الكتيبة في

الساعة الخامسة بعد الظهر. وهكذا فقد كانت القوى الرئيسية مرابطة في بنكال... أما في لاغونيلاس فقد كان يعسكر حوالي ٣٠ رجلاً ويعتقد أن المجموعة التي توجهت إلى بيرابوي قد انسحبت باتجاه غونبيريز وروى الأسرى حكاية هذه المجموعة التي ضلّت طريقها في الجبال، بلا ماء كما تحدثوا عن ضرورة إنقاذها. تركت الكمين قائماً تقديراً مني أن الهاربين سيصلون متأخرين. وكان رولاندو قد نقل الكمين مسافة ٥٠٠ متر تقريباً بحيث أصبح بإمكانه أن يعتمد على مساعدة رجال الطليعة كلهم. أصدرت أوامري في البداية بالانسحاب ثم عدت فرأيت أن المنطق يقضي ترك الأمور على حالها. جاء في نبأ في الساعة الخامسة بعد الظهر يقول: إن الجيش يتقدم بقوى كبيرة فلم يتبق أمامنا سوى الانتظار. أرسلت بومبو في مهمة استطلاعية من شأنها تقديم فكرة واضحة عن الموقف... وقد سمعت بعض عيارات نارية تدوي بشكل متقطع، خلال لحظة واحدة، وعاد بومبو ليقول إن الجنود قد وقعوا في الكمين مرة أخرى. ويبدو أن هناك عدة قتلى كما أسر ضابط برتبة ميجور.

وقع الحادث هذه المرة على الشكل التالي: تقدم الجنود على طريق النهر منتشرين دونما حذر فكانت المفاجأة كاملة. سقط أربعة قتلى وخمسة جرحى وأسِر ٢٢ جندياً. والنتائج الأخيرة هي:

(لم أتمكن من حصرها لافتقاري إلى معلومات أكيدة).

١١ نيسان

بدأنا منذ الصباح بنقل جميع حاجياتنا. ودفنا الروبيو في حفرة صغيرة تكاد تستوي وسطح الأرض بسبب افتقارنا إلى المعدات اللازمة، وتركنا انتي يرافق الأسرى مع حرس المؤخرة ليعمل على إخلاء سبيلهم ويستعيد، في الوقت نفسه، الأسلحة التي طمرت في التراب. عاد بنتيجة واحدة وهي أسْرِه جنديين جديدين مع بندقيتين من طراز «غاران». سلمنا نموذجين عن البلاغ رقم ١ إلى الميجور حتى يقوم بتوصيلهما إلى الصحافيين. يمكننا توزيع خسائر الجيش على النحو التالي: ١٠ قتلى بينهم ضابطان، ٣٠ أسيراً بينهم ضابط برتبة مجيور وعدة ضباط صف أما الباقون فهم من الجنود، ٦ جرحى أحدهم أصيب في المعركة الأولى.... وما تبقى في المعركة الثانية. إن هؤلاء جميعاً يتبعون الفرقة الرابعة ولكن

بصفتهم عناصر من ألوية مختلفة. وهناك ضباط ومظليون وجنود من المنطقة ومعظمهم من الفتيان الذين لا تجربة لهم.

انتهينا بعد الظهر من نقل حاجياتنا إلى الكهف المعدّ لها، ولكننا لم نقم بترتيبها بعد. لقد ذعرت الأبقار في الفترة الأخيرة وولت الأدبار ولم يبق لدينا سوى عجل واحد.

صادفنا، في الصباح الباكر، وفي ساعة وصولنا إلى المخيم الجديد، كلاً من جواكين واليخاندرو وكانا قادمين مع رجالهما جميعاً. ويبدو أن الجنود الذين رآهم أوستاكيو من إبداع مخيلته، لذلك غدا انتقالنا إلى المكان الجديد مجرد جهد عقيم.

تحدثت الاذاعة عن «اصطدام دام جديد» وعن تسعة قتلى من أفراد الجيش وعن «موت» أربعة من رفاقنا. وقام صحافي تشيلي بوصف دقيق لمخيمنا وقال إنه اكتشف صورة لي بدون لحية وبغليون في فمي. سأجرى تحقيقاً واسعاً حول هذا الموضوع إذ ليس هناك ما يثبت انكشاف الكهف الأعلى... رغم بعض الدلائل التي تشير إلى ذلك.

١٢ نيسان

جمعت شمل المحاربين في الساعة السادسة والنصف باستثناء الرجال الأربعة الذين تركونا ليقعوا في الأسر أو الموت.. وقد دعوتهم لأتحدث إليهم قليلاً عن ذكرى الروبيو، ولأوضح لهم أن أول دم أريق في سبيل بوليفيا كان دماً كوبياً. وقد استرعيت انتباههم إلى اتجاه بدا يظهر في وسط الطليعة ويستهدف الاستهانة بالكوبيين.. وكان أول ما تبلور أمس حين صرّح كامبا أن ثقته بالكوبيين تتزعزع في كل يوم، على أثر مشاجرته مع ريكاردو. وقد ناشدتهم من جديد الاتحاد الكامل والوثيق فهو شرط أساسي لنمو جيشنا... هذا الجيش الذي يضاعف من قوة نيرانه وعزيمته في القتال دون أن يزداد عدداً، بل على العكس من ذلك، فقد انخفض عدده في الأيام الأخيرة.

إنطلقنا في الساعة الثانية بعد الظهر بخطى بطيئة بعد أن قمنا بترتيب غنائمنا في كهف أعده ناتو... كان تقدمنا بطيئاً للغاية بحيث أننا نمنا بقرب نبع ماء صغير، من الماء قبل أن نقطع مسافة تذكر.

ارتفع عدد القتلى في بلاغ الجيش إلى ١١ جندياً.

يبدو انهم وجدوا أحد جنودهم قتيلاً أو أن احد جرحاهم قد مات. القيت محاضرة قصيرة عن كتاب دوبريه.

وصلتنا رسالة بالشيفرة وفككنا رموزها، ولا يبدو انها هامة.

١٣ نيسان

قسمت المجموعة إلى فريقين بقصد التقدم سريعاً. ولكن محاولتي لم تُجدِ إذ أننا لم نحرز تقدماً يذكر. وصلنا إلى المخيم في الساعة الرابعة بعد الظهر... أما المتخلفون فقد وصلوا في الساعة السادسة والنصف. كان ميغيل قد وصل إلى المخيم منذ الصباح... إن الكهوف على حالها ولم يكتشفها أحد، كل شيء في مكانه: المقاعد والمطابخ والفرن والمذرات. خرج أنيسيتو وراوول في جولة استطلاعية ولكنها لم تكن موفقة ولا بد من القيام بجولة أخرى في الغد تغطي نهر ايكيرا. أعلن الأمريكيون ـ الشماليون أن تزويد بوليفيا بالخبراء مشروع قديم ولا علاقة له بحرب العصابات التي نشبت في البلاد. قد يكون هذا التدخل من جانبهم المرحلة الأولى في فيتنام جديدة.

١٤ نيسان

أحضرنا بعض الحاجيات من الملجأ المخصص للمرضى تكفي مؤونة لمدة خمسة أيام. وقد أحضرنا من الكهف الأعلى معلبات حليب مركّز واكتشفنا اختفاء ٢٣ علبة بشكل غامض... كان مورو قد ترك في الكهف ٤٨ علبة ولم يُتح لأحدنا الوقت الكافي لإخراجها. إن الحليب هو أحد عوامل فسادنا. أخذنا من الكهف الأعلى مدفع مورتر ومدفع رشاش لتعزيز مواقعنا حتى وصول جواكين.

لم تتوضح في ذهني تماماً خطة العمليات المقبلة، ولكن يخيل إليّ ان خير ما نفعله هو أن يتوجه جميع المحاربين للعمل في منطقة ميوبامبا، وبعد ذلك نتراجع في اتجاه الشمال. وأرى أن نرسل دانتون وكارلوس لتفقد طريق «السوكر ـ كوشابامبا» بحسب الظروف الممكنة.

إنتهينا من تحرير البلاغ رقم ٢ الموجّه إلى الشعب البوليفي. وكذلك التقرير رقم ٤ الموجه إلى مانيلا... والذي سيتولى الفرنسي تسليمه. د/ ٢١.

١٥ نيسان

وصل جواكين مع رجال المؤخرة كلهم واتخذنا قراراً باستئناف المسيرة غداً. ومما قاله إن المنطقة كلها كانت مسرحاً لاستكشاف الطائرات التي أطلقت مدافعها الرشاشة باتجاه الغابات. انقضى النهار بدون أي جديد. واكتمل تسليح المجموعة كلها بعد تخصيص مدفع رشاش من عيار ٣٠ لحرس المؤخرة (ماركوس).

وجهت في المساء تحذيرات بخصوص الرحلة، وأخرى أقسى بخصوص اختفاء علب الحليب.

فككنا جزءاً من رسالة طويلة وصلتنا من كوبا... ومما جاء فيها أن ليشين يعلم بمكان وجودي وانه سوف يذيع بياناً بتأييد الحركة ويعود إلى البلاد خلسة خلال عشرين يوماً على الأكثر.

كتبت مذكرة إلى فيديل (رقم ٤) ضمّنتها آخر التطورات. كتبتها بالشيفرة وبالحبر السري.

١٦ نيسان

انطلق رجال الطليعة في السادسة والربع، ولحقنا بهم في الساعة السابعة والربع... وقد قطعنا مسافة طويلة إلى أن وصلنا إلى نهر ايكيرا ولكن تانيا وأليخندرو تخلّفا عن الركب. وصلا متعبين فأخذنا حرارتهما، فكانت حرارة تانيا أكثر من ٣٩ درجة وحرارة اليخاندرو ٣٨ درجة. وقد أدى تأخرهما إلى الإخلال ببرنامج المسيرة. تركناهما تحت إشراف ألنيغرو وسيرابيو على مسافة كيلو متر واحد من الايكيرا وواصلنا مسيرتنا عن طريق القرية المسماة بيلا فيستا حيث صادفنا أربعة فلاحين، وابتعنا منهم كمية من البطاطا والذرة وكذلك خنزيراً واحداً. كانوا من الفلاحين الفقراء، وقد ذعروا لرؤيتنا في هذه المنطقة.

قضينا الليل في إعداد الطعام وتناول العشاء، ولم نتحرك قيد أنملة من مخيمنا.... بانتظار الليلة المقبلة كي ننتقل إلى تيكوشا دون أن يلحظنا أحد.

١٧ نيسان

تضاربت الأنباء ومعها تغيرت القرارات... قال الفلاحون أن تيكوشا مضيعة للوقت، وأن هناك طريقاً مباشراً إلى ميوبامبا (فاكا غوزمان) أقصر

بكثير من الاول ويمكن قطع القسم الأخير منه في السيارات. اتخذنا قراراً بمواصلة طريقنا مباشرة إلى ميوبامبا بعد أن ترددت في الواقع كثيراً. أرسلت في طلب المتخلِّفين الاربعة حتى يلازموا جواكين، وأصدرت أمراً إلى هذا الاخير ليقوم بمناورة تضليل في المنطقة لمنع الحركة الزائدة ثم ينتظرنا ثلاثة أيام أيضاً لا يبارح فيها المنطقة متحاشياً الاشتباك المباشر مع العدو في انتظار عودتنا. وعلمنا في المساء، بأن أحد ابناء الفلاحين قد اختفى من القرية وانه ذهب على الأرجح للإبلاغ عنا لدى السلطات، ومع ذلك فقد قررنا مواصلة المسيرة مهما كانت الظروف حتى نمكِّن الفرنسي وكارلوس من الخروج. إلتحق موازيس بمجموعة المتخلفين لما يعانيه من آلام شديدة في الكبد.

إن موقفنا الآن هو كما يلي:

إذا عدنا من نفس الطريق، فإننا نتعرض لخطر صدام مع الجيش المستنفر في لاغونيلاس أو مع رتل قادم من تيكوشا... فلا بد من أن نسلك هذا الطريق حتى لا نقطع عن حرس المؤخرة.

مضينا في الساعة العاشرة مساء وسرنا بخطى كبيرة مع الإخلاد للراحة من وقت لآخر... وتوقفنا أخيراً في الساعة الرابعة والنصف صباحاً لقضاء فترة من النوم بعد أن اجتزنا حوالي عشرة كيلو مترات.

بين الفلاحين الذين تحدثنا إليهم يبدو سيمون اكثرهم تجاوباً ولكنه خائف.. وهناك فلاح آخر يتودد إلينا واسمه فيدس ولكنه بدا خطيراً. إنه الرجل «الغني» في المنطقة. ويجب ألا ننسى أن ابن كارلوس روداس اختفى من القرية وقد يشي بنا تحت تأثير فيدس الذي يعد سيد المنطقة من الناحية الاقتصادية.

١٨ نيسان

سرنا حتى انبلاج النهار، ونمنا فترة قصيرة في الساعات الأخيرة من الليل والبرد قارس. وفي الصباح ذهب رجال الطليعة لاستطلاع المنطقة وعثروا على بيت هندي ولكن أصحابه لم يدلوا بمعلومات تذكر. أوقف الحرس فارساً تبين أنه احد ابناء كارلوس روداس (غير الاول) وكان في طريقه إلى ياكوندي فأخذوه أسيراً. تقدمنا ببطء ووصلنا في الساعة الثالثة إلى ماتاغال، إلى بيت أ. باديلا وهو شقيق معدم لفلاح آخر يقيم على مسافة

فرسخ من هنا... وكنا قد لجأنا إلى منزله. ذعر الرجل وحاول بشتى الوسائل إقناعنا بمغادرة بيته ولكن المطر تساقط بشدة واضطررنا إلى الاحتماء في الداخل.

١٩ نيسان

لم نبارح مكاننا طيلة النهار، واحتجزنا جميع الفلاحين القادمين من الاتجاهين... فتسنى لنا بذلك أسر خليط من الناس. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، أحضر لنا رجال الحرس هدية تليق باليونانيين: إنه صحافي إنكليزي يدعى روث وكان يتعقبنا برفقة بعض فتيان لاغونيلاس. كانت أوراقه صحيحة ومع ذلك فقد كان في موقفه ما يثير الشبهة: فالجوا يشير إلى انه طالب ثم شطبت هذه الكلمة لتستبدل بصحافي (وهو يدّعي انه مصور)... والجواز يحمل تاشيرة إلى بورتوريكو...

وحين طرحنا عليه بعض الأسئلة بخصوص بطاقة لمنظم مدينة بونس آيرس وجدت بين أوراقه، إعترف بأنه كان مدرساً للغة الإسبانية في إحدى الفرق العسكرية. وذكر انه زار المخيم وانه أطلع هناك على يوميات بروليو التي تتضمن رحلاته وتجاربه... وهكذا فإن المشكلة التي عانيناها ما تزال قائمة وأعني بها اللا إنضباطية واللامسؤولية السائدتين عند رفاقنا. لم نحصل من الفتيان الذين رافقوا الصحافي على أية معلومات تذكر ويبدو أن خبر وصولنا إلى هنا قد انتشر في الليلة نفسها في لاغونيلاس بسبب المعلومات التي قدمها أحد الأشخاص. وحين ضغطنا على ابن روداس اعترف هذا الأخير بأن أخاه وواحداً من رجال فيدس قد ذهبا إلى لاغونيلاس للإبلاغ عنا بقصد كسب الجائزة التي تتراوح بين ٥٠٠ و١٠٠٠ دولار. صادرنا منه الحصان كإجراء انتقامي، وكشفنا أمره للفلاحين الأسرى.

إقترح علينا الفرنسي أن نطلب من الإنكليزي، كدليل على حسن نيته، أن يساعد المتخلفين على الخروج من هنا وقد قبل كارلوس بالأمر بعد التردد. أما أنا فقد نفضت يدي من كل مسؤولية. وصلنا الساعة التاسعة () وواصلنا رحلتنا إلى بامبا... حيث كل شيء هادىء على حد قول الفلاحين. وافق الإنكليزي على الشروط التي تقدم بها إنتي بما فيها تسليم تقرير صغير كنت قد كتبته... وفي حوالي منتصف الليل (١١،٤٥) وبعد

توديع الرفاق العائدين، بدأنا مسيرتنا للإستيلاء على القرية.. وبقيت مع بومبو وتوما وأوربانو. كان البرد قارساً فاشعلنا ناراً خفيفة. وفي الساعة الواحدة صباحاً عاد ناتو يقول إن القرية في حالة استنفار وإن ٢٠ جندياً من الجيش اتخذوا مواقعهم فيها إلى جانب دوريات من الأهلين انفسهم. ويبدو أن إحدى هذه الدوريات قد فاجأت كشافتنا ولكن جندييها المسلحين ببندقيتين م ـ ٣ وبمسدسين قد استسلما بدون قتال. طلبت من الرفاق أن ينسحبوا لأن الوقت كان متأخراً وتركت للصحافي الإنكليزي وكارلوس مهمة اتخاذ القرار المناسب لهما. باشرنا بالعودة في الساعة الرابعة صباحاً دون أن نحقق هدفنا ولكن كارلوس فضّل البقاء، ثم تبعه الفرنسي في شيء من التردد هذه المرة.

وصلنا قرابة الساعة السابعة إلى منزل نيميزيو كارابالو الذي صادفناه مساء البارحة وقدّم لنا القهوة. كان قد غادر البيت تاركاً المفتاح فوق الباب وبعض الخدم المذعورين. قمنا بإعداد الطعام حالاً بعد أن ابتاع الرجال ذرة وقرعاً... وفي حوالي الواحدة بعد الظهر، شاهدنا شاحنة ترفع علماً ابيض وتقل في داخلها مساعد الحاكم والطبيب والكاهن في ميوبامبا. وهو من أصل الماني. لقد جاؤوا يطالبون بالسلاح شرط أن يكون على مستوى قومي. وأبدوا استعدادهم للوساطة. وعرض عليهم إنتي تجنب ميوبامبا ويلات القتال مقابل لائحة من البضائع يحملونها إلينا قبل الساعة السادسة والنصف، لكنهم لم يعدوا بشيء لأن القرية تقوم بإطعام الجيش. وكل ما طلبوه هو تمديد المهلة المحددة فرفضنا ذلك.

حملوا إلينا، دليلاً على حسن نيتهم «رزمتين» من السجائر ونبأ اعتقال رفاقنا الثلاثة في ميوبامبا وضبط أوراق مزورة مع اثنين منهما.

موقف سيء بالنسبة لكارلوس... أما دانتون فقد يتوصل إلى إخراج نفسه من هذا المأزق.

وصلت ثلاث طائرات من طراز أت ـ ٦، في الساعة الخامسة والنصف وقامت بقصف المنزل الذي كنا نهيىء فيه الطعام. سقطت قنبلة على بعد ١٥ متراً فقط واصيب ريكاردو بجرح طفيف. كان هذا جواب الجيش. يجب أن نطلع على الأخبار حتى نتمكن من بث الذعر والارتباك في صفوف الجنود الذين تفاقم تذمرهم... على حد قول المراسلين.

إنطلقنا في الساعة العاشرة والنصف ليلاً نجر وراءنا حصانين، حصان

الصحافي والحصان المصادر، وسرنا باتجاه تيكوشا... وقد استمرت المسيرة حتى الساعة الواحدة والنصف حيث توقفنا لأخذ قسط من النوم.

٢٠ نيسان

وصلنا حوالى الساعة السابعة عند نيميزيو وكاراباللو الذي التقيناه في المساء، وقدم لنا القهوة. كان قد غادر تاركاً المفتاح في الباب وبعض الخدم الخائفين. حضرنا الطعام في المكان ذاته حين اشترينا من الفلاح قليلاً من الذرة واليقطين؟ حوالى الساعة الثالثة عشرة ظهرت شاحنة صغيرة تحمل علماً أبيض وتقل وكيل الحاكم والطبيب وكاهن مويوبامبا وهو ألماني. تكلم إنتي معهم. جاؤوا حاملين اقتراحاً بالسلام، لكنه سلام ذو طابع وطني يقترحون أنفسهم وسطاء له. اقترح اينتي عليهم السلام لمويوبامبا مقابل لائحة من البضائع يجب أن يؤمنوها قبل الساعة ١٨,٣٠، الأمر الذي لم يتعهدوا بتحقيقه، لأن الجيش يتولى حسب قولهم الاشراف على القرية، وطلبوا بتمديد المهلة حتى الساعة السادسة من صباح الغد، الأمر الذي لم يقبل ايضاً.

حملوا لنا كبادرة حسن نية، رزمتين من السجائر وخبراً عن الثلاثة الذين ذهبوا؛ فقد اعتقلوا في مويوبامبا. اثنان منهم اعتقاد بسبب حيازتهما على أوراق مزورة. آفاق سيئة لكارلوس، دانتون سينجو من هذا المأزق.

في الساعة ١٧,٣٠ وصلت ثلاث A T-6 وقدمت لنا حفلة قصف صغيرة للمنزل نفسه الذي سبق أن حضرنا الطعام فيه. سقطت قذيفة على مسافة ١٥ متراً، اصيب ريكاردو بجرح طفيف نتيجة شظية. كان هذا رد الجيش. يجب سماع الأخبار حتى نتوصل إلى اضعاف معنويات الجنود الذين سئموا القتال حسب أقوال المبعوثين.

غادرنا عند الساعة ٢٢,٣٠ مع حصانين، حصان الصحافي والحصان الذي صادرناه، اتجهنا إلى تيكوشا. توقفنا الساعة ١,٣٠ كي ننام.

٢١ نيسان

سرنا قليلاً ووصلنا إلى بيت روزا كاراسكو الذي استقبلنا بحرارة وباعنا كل ما نحتاج إليه. وسرنا في المساء حتى نقطة تقاطع طريق

ميوبامبا ـ مونتيفودو في مكان يدعى تابيريلاس. كانت الفكرة السائدة هي البقاء بجانب نبع ماء واستطلاع المنطقة لتحديد مكان الكمين. وكان هناك سبب آخر يدعونا إلى البقاء وهو النبأ الذي اذاعه الراديو عن مصرع ثلاثة من المرتزقة: الأول فرنسي والثاني إنكليزي والثالث أرجنتيني. لا بد من تحري صحة هذا النبأ حتى نوقع عقاباً بالفاعلين يكون عبرةً للجميع. زرنا العجوز روداس قبل تناولنا العشاء وكان أباً لفارغاس الذي قتل في ناكاهوازو. شرحنا له ظروف الحادث ويبدو أنه قد اقتنع بكلامنا. لم يستوعب رجال المقدمة التعليمات الصادرة إليهم، وواصلوا طريقهم مما ايقظ الكلاب التي راحت تنبح بشدة.

٢٢ نيسان

بدأت الأخطاء منذ الصباح: خرج رولاندو وميغيل وانطونيو لاستطلاع المناطق المجاورة ونصب الكمين بعد أن توغلنا في أعماق الغابات ولكنهم فاجأوا عدداً من الرجال في شاحنة صغيرة من طراز ب.ف.ب يتعقبون آثارنا ويستجوبون أحد الفلاحين عن تحركاتنا في ليلة البارحة. فقرروا أسرهم جميعاً مما اضطرنا إلى تغيير خططنا... ومع ذلك، اتخذنا قراراً بنصب كمين أثناء النهار واسر الشاحنات التي تمر ببضائعها، وبنصب كمين آخر للجيش إذا تقدم في هذه الناحية.

إحتجزوا شاحنة واستولوا على حمولتها من الموز، كما احتجزوا عدداً كبيراً من الفلاحين ولكنهم تركوا فلاحاً في حال سبيله، وكان قد جاء بالفعل لمراقبتنا. كما تركوا شاحنات صغيرة عديدة تعمل في الحقول... وقد أخّرنا الطعام عن المسير وبشكل خاص إغراء الخبز الذي عرض الفلاحون تقديمه إلينا ولم نر له أثراً.

اتجهت نيتي إلى تحميل شاحنة صغيرة تابعة للحقول بكل ما جمعناه من اغذية وأطعمة والتقدم مع رجال الطليعة إلى نقطة تقاطع الطرق في تيكوشا الكائنة على بعد أربعة كيلومترت. وعند هبوط الظلام بدأت الطائرة الصغيرة تحوم فوق مواقعنا وازداد حدّة نباح الكلاب في البيوت المجاورة لنا. وحينما أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة كنا قد استكملنا استعدادنا للسفر على الرغم من اكتشاف وجودنا بلا ريب... وفجأة سمعنا أصواتاً تطالب بإلقاء السلاح والاستسلام. عقدت المفاجأة ألسنتنا ولم يكن لديّ

اية فكرة عما يجري في الحقيقة، إنما لحسن حظنا، كانت حاجياتنا والبضائع المصادرة قد أصبحت في الشاحنة. إنتظمت الأمور في الحال من تلقاء نفسها، وكنا جميعاً حاضرين باستثناء لورو... وكان كل شيء يحمل على الاعتقاد بأنه لم يصب بمكروه لأن الصدام قد حدث مع ريكاردو الذي فاجأ دليل الجنود وهم يتسلقون الهضبة لتطويقنا. ويبدو أن الدليل قد أصيب برصاصة. إنطلقنا في الشاحنة وعلى ظهور الخيول المتوفرة (بلغ عددها ستة) وتناوب الرجال ركوب الخيل ثم أصعدناهم جميعاً على ظهر الشاحنة وأعطينا الخيول لرجال الطليعة. وصلنا إلى تيكوشا في الساعة الثالثة والنصف صباحاً وإلى ميزون ـ وهي مزرعة الكاهن ـ في الساعة السادسة والنصف، وقبعنا جميعنا بدون حراك في مكان مجوّف. كانت نتائج عملنا سلبية: عدم الانضباط والتبصُّر من ناحية، وفقدان رجل (آمل أن يكون مؤقتاً) من ناحية أخرى... فقدان المؤن التي اشتريناها ولم نتمكن من تحميلها... إضاعة رزمة من الدولارات سقطت من جيب بومبو... تلك هي نتائج هذا العمل... هذا إذا أسقطنا من الاعتبار أننا قد فوجئنا وهُزِمنا... على يد مجموعة قليلة العدد. ما زالت أمامنا جهود كبيرة ينبغي بذلها لتحويل رجالنا إلى قوة مقاتلة على الرغم من معنوياتهم مرتفعة.

٢٣ نيسان

خصصنا هذا اليوم للراحة، ولم يحدث ما يستحق الذكر. وفي منتصف النهار قامت الطائرة الصغيرة (ا.ت ـ ٦) بالتحليق فوق المنطقة. أصدرت أوامري في الحال بتعزيز الحراسة ولكنه لم يحدث أي شيء جديد. وحينما حل المساء أصدرت تعليماتي بشأن يوم غد. سيذهب بينينيو وأنيسيتو للبحث عن جواكين وقد أمهلتهما مدة أربعة أيام للعودة. أما كوكو وكامبا فسيقومان باستطلاع الطريق المؤدي إلى ريو غراندي وتهيئته ليصبح سالكاً: مدة المهمة أربعة أيام. ونبقى نحن قرب حقول الذرة ننتظر قدوم الجيش... إلى أن يلحق بنا جواكين... الذي تلقى أمراً بالعودة مع جميع رجاله.. وألاّ يترك أحداً إلاّ إذا كان مريضاً.

لا أخبار من دانتون والبيلادو ولا من الصحافي الإنكليزي. أخضعت الصحافة للرقابة وأعلنت الإذاعة عن مقابلة أخرى مع ثلاثة أو خمسة أسرى.

٢٤ نيسان

خرج المستكشفون، واقمنا مخيمنا على مسافة كيلو متر واحد من اعلى النهر، وفوق سفح هضبة صغيرة تستطيع فيها العين أن ترى حتى بيت الفلاح الأخير الكائن قبل مزرعة الكاهن بمسافة تقرب من ٥٠٠ مترٍ (عثرنا على حشيشة الماريهوانا مزروعة في الحقول). عاد الفلاح ولم ينصرف هذه المرة... حدث عجيب! أطلقت طائرة من طراز اب ـ ٦ مدافعها الرشاشة على البيت الصغير... بعد الظهر.. واختفى باشو بشكل غامض. كان مريضاً فبقي في المؤخرة بعد أن دلّه أنطونيو على الطريق. خرج انطونيو لملاقاته والعودة به خلال خمس ساعات... ولكنه لم يعد... سنجدّ غداً في البحث عنه.

٢٥ نيسان

يوم اسود. عاد بومبو في الساعة العاشرة من مركز المراقبة ليحذرنا من ان ٣٠ جندياً يتقدمون الآن باتجاه البيت الصغير. وبقي أنطونيو لرصد تحركاتهم. وبينما كنا نستعد لملاقاتهم جاء هذا الأخير ليعلن أنه رأى ٦٠ جندياً وأن آخرين يتهيأون للحاق بهم. لقد أثبت رجال المراقبة عدم فعاليتهم واتضح أنهم لا يقومون بعملهم كما يجب كما أن تحذيرهم يأتي دوماً متأخراً. قررنا أن ننصب لهم كميناً في الحال في الطريق المؤدي إلى المخيم فاخترنا على وجه السرعة درباً شديد الوعورة على طرف الجدول نستطيع منه الرؤية على بعد ٥٠ متراً. تمركزت هناك مع أوربانو وميغيل ومعنا مدفع رشاش واحتل الطبيب وأرتورو وراوول جهة اليمين لمنع كل محاولة للهرب أو التقدم من هذه الناحية.. واحتل رولاندو وبومبو وأنطونيو وريكاردو وخوليو وبابلو وداريو ويلي ولويس وليون موقعاً متأخراً على الجانب الآخر من مجرى الجدول لمهاجمة من يحاولون الالتجاء إليه. أما ناتو واوستاكيو فقد كلفا بالرصد والانسحاب حالاً إلى المؤخرة متى بدأ إطلاق النار. وعهد إلى الشينو بالبقاء في المؤخرة لحراسة المخيم. لقد نقص عدد رجالي ثلاثة هم: باشو الذي ضل طريقه وتوما ولويس اللذان خرجا للبحث عنه.

بعد ذلك بقليل ظهرت طليعة العدو، وكانت تتالف، إزاء دهشتنا الكبيرة من ثلاثة كلاب ألمانية مع دليلها. كانت الحيوانات هائجة ولا يبدو عليها

انها قد اكتشفت مكاننا، ومع ذلك فقد استمرت في تقدمها. أطلقت النار على الكلب الأول وأخطأته، وعندما صوبت النار إلى الدليل تعطلت بندقيتي م ـ٢ ولم تنطلق الرصاصة. ورأيت ميغيل يقتل الكلب الثاني، وأنا لا أجزم بذلك، ثم انتهى الأمر ولم يقع أحد في الكمين. بدأ إطلاق الرصاص بصورة متقطعة من جانب الجيش، وحين توقف، أرسلت أوربانو إلى الرفاق ومعه أمر بالانسحاب.. جاءني نبأ وقوع رولاندو جريحاً وقد حملوه إليّ بعد فترة قصيرة مغطى بالدم ومات قبل أن يتمكن الطبيب من حقنه بالبلازما. لقد اخترقت إحدى الرصاصات عظم الفخذ وبلغت الشرايين والاعصاب ففقد معظم دمه قبل أن نتمكن من إسعافه. فقدنا بذلك أفضل رجل في المجموعة المحاربة وأحد أركانها بالطبع، فقدت رفيقي الذي كان منذ حداثته مراسلاً في الطابور رقم ٤ حتى يوم الغزو ثم إلى هذا اليوم من مغامرتنا الثورية.. إننا كل ما نستطيع أن نقوله عن موته الغامض من أجل مستقبل غامض: «لقد غطت جثتك الصغيرة كقائد شجاع الفضاء الشاسع كله» وكان الباقي عملية انسحاب بطيء تم خلالها إحضار كل شيء ونقل جثة رولاندو إلى (سان لويس) وقد انضم إلينا باشو فيما بعد. كان قد أخطأ طريقه والتحق بكوكو فاستغرقت عودته الليل كله. دفنا الجثة في الساعة الثالثة في حفرة تكاد تستوي مع الأرض. وفي الساعة الرابعة، وصل بينينيو وانيسيتو يحملان نبأ وقوعهما في كمين (أو بالأحرى اصطدام) للجيش ففقدا متاعهما ولكنهما عادا سالمين. ويبدو أن هذا الحادث قد تمّ، إذا صدقت حسابات بينينيو، في أثناء وصولنا إلى ناكاهوازو، لقد سُدَّ علينا الآن المنفذان الطبيعيان، ولا بد لنا من تسلق الجبال لأن الطريق الوحيد إلى ريو غراندي ليس سالكاً لسببين: أولاً لأنه طريق طبيعي. وثانياً لأنه يبعدنا عن جواكين الذي انقطعت أخباره. وصلنا في المساء إلى ملتقى طريقي ناكاهوازو وريو غراندي وقضينا ليلتنا هناك على أن ننتظر كوكو وكامبا لنجمع شمل فرقتنا الصغيرة.

كانت نتائج العملية سلبية للغاية، فقد مات رولاندو... ثم إن الخسائر التي أوقعناها بالجيش لا تتجاوز رجلين وكلباً لأن موقع الكمين لم يدرس أو يهيأ بعناية، ولأن الرماة لم يتمكنوا من رؤية العدو. وأخيراً، كانت

الرقابة في غاية السوء ولم تتح لنا أن نستعد كما يجب.

حطت طائرة هيليكوبتر مرتين بقرب منزل الكاهن، ولا نعلم إن كان ذلك بقصد نقل أحد الجرحى. وعادت الطائرات أيضاً لقصف مواقعنا القديمة، وهذا ما يثبت أن العدو لم يتقدم على الإطلاق.

٢٦ نيسان

سرنا بضعة أمتار، وأصدرت تعليماتي إلى ميغيل بالبحث عن مكان صالح لإقامة المخيم، بينما ارسلت رجلاً آخر للبحث عن كوكو وكاميا. ولكن ميغيل عاد في الظهيرة مع الغائبين. ويبدو أنهما قد مهّدا الطريق لأربع ساعات من المسير، وأن هناك إمكانية لمحاولة تسلق الهضبة. وعلى أية حال، فقد أرسلت بينينيو وأوربانو لدراسة إمكانية القيام بالتسلق من طريق آخر بالقرب من وادي النهر الذي يصب في ناكاهوازو ولكنهما عادا عند الغروب بأنباء سيئة للغاية.

اتخذنا قراراً بمواصلة المسير في الطريق الذي شقه كوكو حتى نعثر على طريق آخر يقودنا إلى إيكيري. لدينا الآن تعويذة، شادن أطلق عليه اسم لولو، سنرى إن كان مقدراً له أن يعيش.

٢٧ نيسان

قطعنا الطريق الذي مهّده كوكو في ساعتين ونصف الساعة. ووصلنا إلى مكان تنتشر فيه أشجار البرتقال ذات الثمار المرة... ويبدو أن هذا المكان يقابل في الخارطة مازيكو. استمر أوربانو وبينينيو في شق الطريق ومهّدا لمسافة ساعة من المسير. البرد قارس في الليل.

نقلت الإذاعات البوليفية بلاغات للجيش تعلن عن مصرع دليل مدني، ومدرب للكلاب، وكلب واحد اسمه ريو، وعن مقتل اثنين من رجالنا يعتقد أن أحدهم كوبي وهو الملقب روبيو والآخر بوليفي. وصلتنا انباء مؤكدة عن اعتقال دانتون بقرب كاميري. ومن المؤكد أن الآخرين أحياء وهم معتقلون معه أيضاً.

الإرتفاع: ٩٥٠ متراً.

٢٨ نيسان

سرنا ببطء حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. وفي هذه الساعة كانت مياه

الجدول قد جفّت، واتخذ اتجاهاً آخر فتوقفنا قليلاً. لم يكن بوسعنا استطلاع المنطقة نظراً للوقت المتأخر فعدنا إلى نقطة يتوفر فيها الماء لنصب المخيم. بقي لنا من الطعام ما يكفي لاربعة أيام. سنحاول غداً أن نصل إلى ناكاهوازو عن طريق الإيكيري بعد تمهيد الطريق طبعاً.

٢٩ نيسان

قمنا بمحاولات عديدة للخروج، مستعينين ببعض الشقوق التي رأيناها، ولكن بدون جدوى. ومما طيّب نفوسنا أننا على الاقل في وادٍ بعيد عن الأخطار. قال كوكو إنه رأى وادياً معترضاً ولم يقم باستطلاعه بعد. سنقوم جميعنا غداً بهذه المهمة. فككنا كلياً، ولكن بتأخر كبير، الرسالة رقم ٣٥ وأهم ما جاء فيها فقرة تستأذن تذييل إسمي على نداء من أجل فييتنام بمبادرة من برتراند راسل.

٣٠ نيسان

بدأنا في تسلق الهضبة، وما كنا نظنّه وادياً إنتهى بنا إلى سفح شديد الوعورة. ولكننا وجدنا ممراً صغيراً يمكننا من مواصلة التسلق. فاجأنا الليل بقرب القمة فنمنا هناك دون أن نشعر ببرد قارس.

مات لولو ضحية لطباع أوربانو العنيفة فقد أطلق عليه هذا الأخير رصاصة في رأسه.

أعلنت إذاعة هافانا أن بعض الصحافيين الشيليين قد صرحوا بأن حروب العصابات قد اشتدت لدرجة أنها تحبط مشاريع المدن وبأن المحاربين قد استولوا مؤخراً على شاحنتين عسكريتين محملتين بالأغذية. ونشرت صحيفة «سييمبر» مقابلة مع باريانتوس اعترف خلالها بأن هناك مستشارين عسكريين يانكيين في الجيش وبأن الثورة المسلحة قد اندلعت نتيجة لظروف بوليفيا الإجتماعية.

التحليل الشهري

تبدو الأمور طبيعية تقريباً على الرغم مما منينا به من خسارتين فادحتين أليمتين: روبيو وورولاندو. إن موت هذا الأخير ضربة أليمة لي لانني كنت أفكر بتسليمه القيادة في حال فتح جبهة ثانية. قمنا بأربع

عمليات جديدة وكانت نتائجها ايجابية بشكل عام بل إن إحداها كانت ناجحة للغاية: وأعني بها معركة الكمين التي سقط فيها الروبيو قتيلاً.

ومن نواحي أخرى، لا تزال عزلتنا كلية، وقد اجتاحت الامراض بعضاً من رفاقنا مما اضطرنا إلى تقسيم قوانا. وشُلّ بذلك حيز كبير من نشاطنا. لم نستطع، حتى الآن، تجديد الاتصال مع جواكين... والقاعدة الفلاحية لا تنمو ايضاً على الرغم من أن هناك ما يدل على أننا سوف نتوصل إلى عزل قسم كبير من الفلاحين عن الحكومة بفضل الاتصال المنظم... ومتى تمت هذه العملية فإن الفلاحين سوف يسارعون إلى مساندتنا. لم يلتحق بالحرب أي متطوع جديد وقد فقدنا إلى جانب موتانا... لورو الذي اختفى بعد اشتباك تابيريلاس.

وتلك هي ملاحظاتي حول الستراتيجية العسكرية:

أ ـ لم تكن الرقابة المفروضة علينا فعالة حتى الآن. إنها تسبب لنا بعض الضيق، ولكنها لا تعيقنا عن التنقل نظراً لضعف قوات العدو وعدم قدرتها على الحركة. ويعتقد أنها لن تخاطر بدخول الغابات بعد الكمين الأخير ضد الكلاب والمدرب.

ب ـ لا تزال أعمال التفتيش قائمة على جانبي النهر، وأعتقد أن وجودي هنا قد تأكد لدى السلطة وخاصة بعد نشر مقال لي في هافانا. ومما لا شك فيه أن الامريكيين الشماليين سوف يتدخلون بشراسة وقد باشروا الآن بإرسال طائرات هيليكوبتر ومظليين رغم أننا لم نشاهد اثراً لهؤلاء الجنود في المنطقة.

ج ـ لقد حسَّن الجيش (أو على الاقل كتيبة أو كتيبتان) من تقنيته. فقد فاجأنا في تابيريلاس ولم تتداع معنوياته في الميزون.

د ـ التعبئة الفلاحية مفقودة تماماً إلاّ في بعض نواحي نشاطنا الاستعلامي عن تحركات العدو ومع ذلك فهذا النشاط ليس جريئاً ولا فعّالاً، وأعتقد أن بإمكاننا الإستغناء عنه.

تغير وضع الشينو وسوف يصبح مقاتلاً إلى حين فتح جبهة ثانية أو ثالثة.

سقط دانتون وكارلوس ضحيتين لتسرعهما ورغبتهما اليائسة في

السفر وكذلك لعدم قيامي بمنعهما من ارتكاب هذه الخطوة... وباعتقالهما، قطعت مواصلاتنا مع كوبا (دانتون) كما ضاعت خطة العمل في الأرجنتين (كارلوس).

وباختصار، إنه شهر جرت فيه الأمور بشكل طبيعي، هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المفاجآت التي تتمخض عنها حرب العصابات. المعنويات مرتفعة لدى جميع المقاتلين الذين اجتازوا بنجاح التجربة التمهيدية كمحاربين.

أيار ١٩٦٧

١ أيار

إحتفلنا بعيد الأول من أيار ونحن نمهد الطريق متقدمين فيه ببطء شديد، ولم نستطع حتى الآن الوصول إلى الخط الفاصل بين النهرين.

ألقى «الميداء» خطاباً في هافانا مشيداً بي وبمشاهير المحاربين البوليفيين، كان خطابه طويلاً ولكن جيداً. بقي لنا من الطعام ما يكفينا لثلاثة أيام. أصاب ناتو عصفوراً بمقلاعه... ودخلنا عصر الطيور.

٢ أيار

يوم من التقدم البطيء والارتباك بالنسبة للوضع الجغرافي. سرنا في الحقيقة، مدة ساعتين فقط، بسبب صعوبة الطريق المليء بالأشواك والنباتات التي انهمك الرفاق في قطعها، واستطعت أن أرى من إحدى المرتفعات مكاناً قريباً من ناكاهوازو، مما يدل على اننا قد اتجهنا كثيراً إلى الشمال، ولكنني لم أر أثراً للإيكيري. أصدرت أمراً إلى ميغيل وبينينيو بتمهيد الطريق طيلة النهار في محاولة للوصول إلى إيكيري أو على الأقل إلى أحد الينابيع لأننا نشكو من نقص في المياه. بقي لنا من الطعام ما يكفي لخمسة أيام... وبحدود وجبات خفيفة. لا يزال راديو هافانا يتابع حملته

الإعلامية على بوليفيا ولكن أنباءه لا تخلو من المبالغة.

الإرتفاع: ١٧٦٠ متراً وقد نمت على إرتفاع ١٧٣٠ متراً.

٣ أيار

قضينا يوماً كاملاً في تمهيد الطريق، وهكذا اتيح لنا أن نسير مدة ساعتين أو أكثر بقليل، وقد وصلنا إلى جدول يبدو أنه يتجه نحو الشمال. سنقوم في الغد باستطلاع المنطقة لنرى ما إذاكان الجدول يحافظ على اتجاهه بينما كان الرفاق يثابرون على شق الطريق. بقي طعام يكفي ليومين فقط وبحدود وجبات خفيفة. نحن الآن على ارتفاع ١٠٨٠ متراً وعلى ارتفاع ٢٠٠ متر عن مستوى نهر ناكاهوازو. سمعنا صوت محرك آتياً من بعيد، ولكننا لم نستطع تحديد مصدره.

٤ أيار

إستمر العمل في شق الطريق، منذ الصباح، بينما توجه كوكو وانيسيتو لاستشكاف الجدول وقد عادا في الساعة الواحدة بعد الظهر ليؤكدا أنه ينعطف إلى الشرق وإلى الجنوب، وقد يكون هو الإيكيري. أصدرت، حينئذ، امراً بإحضار الرفاق الذين يمهدون الطريق واتباع مجرى الجدول في انحداره. انطلقنا في الساعة الواحدة والنصف، وتوقفنا في الساعة الخامسة بعد أن تاكدنا، هذه المرة، من أن اتجاهه العام هو اتجاه شرقي ـ شمالي ـ شرقي، وانه بالتالي لا يمكن أن يكون نهر إيكيري ما لم يغير مجراه. قال الرفاق الذين يمهدون الطريق إنهم لم يجدوا ماء ولم يصادفوا سوى أراضٍ قاحلة... فاتخذنا قرارنا، حينئذ، بمواصلة المسير في اتجاه ريو غراندي. لم نصطد سوى «كاكاري» واحد[1] كان من نصيب رجالنا الذين يشقون الطريق وذلك لصغر حجمه. بقي لنا طعام هزيل يكفي ليومين.

أعلنت الإذاعة نبأ اعتقال لورو بعد أن جرح في ساقه. تبدو تصريحاته حتى الآن جيدة، وكل الدلائل تشير إلى انه لم يجرح في البيت وإنما في مكان آخر، وعلى الأرجح، في أثناء محاولته الفرار.

الإرتفاع: ٩٨٠ متراً.

---

(١) عصفور صغير يصوِّت حين يقترب منه البشر أو الحيوانات.

٥ أيار

سرنا مدة خمس ساعات فعلية وقطعنا من ١٢ إلى ١٤ كيلومتراً ووصلنا إلى مخيم أعده كل من إنتي وبينينيو. نحن الآن على ضفاف جدول كونغري الذي لا يظهر على الخارطة، بعيداً إلى شمال المكان الذي توقعناه فيه. وهذا ما أثار التساؤلات التالية: أين نهر إيكيري؟ أو لم تتم مفاجأة بينينيو وانيسيتو في الإيكيري؟ أليس المعتدون من رجال جواكين؟ قررنا في الوقت الحاضر التوجه إلى مخيم الدب، حيث يوجد من الطعام ما يكفي ليومين... ثم ننطلق بعد ذلك إلى المخيم القديم. إصطدنا اليوم طيرين كبيرين وطير «كاكاري» مما أتاح لنا توفير بعض الطعام وتخزين احتياطي ليومين: حساء في أكياس صغيرة ولحوم محفوظة. وقد عُهِد إلى إنتي وكوكو والطبيب بمهمة الصيد.

جاء في الأخبار أن دوبريه سيحال إلى محكمة عسكرية في كاميري بتهمة تزعم حرب العصابات وتنظيمها. ستصل أمه غداً، ولا تزال هذه القضية تثير ضجة كبيرة. لا نبأ من لورو.

الإرتفاع: ٨٤٠ متراً.

٦ أيار

تبين أن تقديراتنا لمدة وصولنا إلى مخيم الدب كانت خاطئة لأن المسافة إلى بيتنا الصغير القائم عند الجدول كانت أطول مما توقعناه، كما كان الطريق مسدوداً واضطررنا حينئذ إلى شق ممر. وصلنا إلى الكوخ في الساعة الرابعة والنصف بعد أن اجتزنا جبالاً يبلغ ارتفاعها ١٤٠٠ متر وبعد أن سئم رجالنا طول المسير، تناولنا العشاء قبل الأخير وكان هزيلاً للغاية. اصطاد رفاقنا حجلاً واحداً أعطيناه إلى بينينيو ليتقاسمه مع الرجلين اللذين كانا في أثره وفقاً لترتيب القافلة.

لا تزال الأخبار تولي قضية دوبريه اهتماماً بالغاً.

الإرتفاع: ١١٠٠ متر.

٧ أيار

وصلنا في ساعة مبكرة إلى مخيم الدب، ووجدنا في انتظارنا ثماني علب من الحليب... أعددنا منها إفطاراً شهياً. وأخرجنا بعض الحاجيات من

الكهف المجاور ومن بينها موزر لناتو سيفيدنا كبازوكا وكذلك خمس قنابل مضادة للدروع. ساءت صحة ناتو على إثر نوبة من التقيوء. ما كدنا نصل إلى المخيم حتى خرج بينينيو وأوريانو وليون وإنيسيتو وبابلو لتفقد المزرعة الصغيرة. أكلنا آخر حساء لدينا وآخر وجبة من اللحم، ولكننا اكتشفنا مؤونة من الشحم في الكهف، وعثرنا هناك ايضاً على آثار خطى، وبعض الأضرار الطفيفة مما يدل على أن بعض الجنود قد زاروا المكان. عاد المستكشفون، عند الفجر، وأيديهم فارغة: فالجنود يقيمون في المزرعة وقد قطفوا الذرة (انقضت ستة شهور حتى اليوم على وصولي إلى هنا واندلاع حرب العصابات رسمياً).

الإرتفاع: ٨٨٠ متراً.

٨ أيار

طلبت من الرفاق ترتيب الكهوف في وقت مبكر، وإخراج تنكة الشحم حتى يتسنى لنا تعبئة بعض الزجاجات منها... فهذا كل ما تبقى لنا من طعام. وحوالي الساعة العاشرة والنصف، سمعنا بعض العيارات النارية المتقطعة في مكان الكمين، وقد تبين أن جنديين غير مسلحين كانا يصعدان نهر ناكاهوازو فاعتقد باشو انهما من طليعة الجيش وأطلق عليهما الرصاص، وأصابهما بجروح في الساق وخدوش في البطن. قال لهما إنه أطلق النار عندما رفضا الإستجابة لأوامره بالتوقف... أما هما فلم يسمعا شيئاً من ذلك بالطبع. لم يكن الكمين معداً كما يجب، كما أن باشو تصرف بعصبية. تحسن الموقف عندما أرسلت انطونيو وآخرين إلى الجانب الأيمن من الكمين.

قال الجنديان إن قوات الجيش ترابط قرب إيكيري ولكنهما لم يكونا صادقين. وعند الظهر، أسرنا جنديين آخرين كانا يركضان على طريق نهر ناكاهوازو وقد صرّحا بانهما خرجا إلى الصيد، وعند عودتهما عن طريق الإيكيري لم يشاهدا أثراً لكتيبتهما فاسرعا للبحث عنها والالتحاق بها... كانا يكذبان أيضاً. كان الجنود معسكرين في الحقيقة في حقل الصيد وقد أرسلوا هذين الرجلين لإحضار الطعام من مزرعتنا بعد أن توقفت طائرة الهيليكوبتر عن تموينهم. صادرنا من الجنديين الأوليين أربع علب من الذرة المجففة والخضراء وأربع علب من السمك بالإضافة إلى السكر

والقهوة. وهكذا أسكتنا بطوننا الجائعة في هذا اليوم بالشحم الذي التهمنا منه كميات كبيرة حتى أن بعضهم وقع مريضاً.

وفي وقت متاخر، ابلغنا رجال المراقبة بتكرار تسلل الجنود الذين يصلون إلى منعطف النهر ثم يعودون أدراجهم. وبلغ التوتر حده الأعلى عندما وصل ٢٧ جندياً ويبدو انهم اشتبهوا بوجودنا فتقدموا بقيادة الملازم لوريدو... فتح لوريدو النار ولكنه سقط في الحال قتيلاً مع جنديين آخرين. وكانت الظلمة قد بدأت تحجب كل شيء فتقدم رجالنا واسروا ستة جنود، أما الآخرون فقد انسحبوا.

نتيجة الكمين: ٣ قتلى و١٠ أسرى منهم جريحان، ٧ بنادق م ـ ١ و٤ موزر مع حاجيات شخصية وذخائر وكميات من الطعام... أخمدنا جوعنا الشديد بمساعدة الشحم أيضاً. وقد نمنا في مكاننا.

٩ أيار

نهضنا في الساعة الرابعة (لم يغمض لي جفن طيلة الليل) وأخلينا سبيل الجنود بعد أن قمنا باستجوابهم. صادرنا منهم أحذيتهم وملابسهم العسكرية، واعطيناهم، في المقابل، بعض الثياب العادية... وأما أولئك الذين كذبوا علينا فإننا لم نترك لهم سوى السراويل... وقد توجهوا إلى المزرعة يحملون جرحاهم. أما نحن فانسحبنا في السادسة والنصف إلى جدول القرود بعد أن عرّجنا على الكهف واخفينا فيه غنائمنا. لم يبق لنا ما نأكله سوى الشحم... شعرت بتعب شديد، واخلدت للنوم ساعتين كاملتين لأواصل الطريق بعد ذلك بخطى بطيئة متثاقلة... ويبدو أن هذه هي حال جميع الرفاق. تناولنا حساء مع الشحم عند أول نقطة للمياه وقد بدأ الرجال الضعفاء وآخرون ايضاً يشكون من ألم الارتشاح.

أصدرت قيادة الجيش بلاغاً في المساء يتضمن عدد القتلى والجرحى الذين سقطوا نتيجة للإشتباك ولكنه لم يذكر أي شيء عن الأسرى... وقد أعلن البلاغ أيضاً عن وقوع معارك كبيرة وخسائر جسيمة في جانبنا.

١٠ أيار

واصلنا تقدمنا ببطء. وحين وصلنا إلى المخيم الذي يضم رفات الروبيو وجدنا اللحم المجفف الذي تركناه هناك في حالة سيئة، كما وجدنا شحماً أيضاً، فجمعنا كل ما وقع تحت أيدينا. لم نعثر على أثر للجنود.

اجتزنا ناكاهوازو بحذر شديد وبدأنا المسيرة إلى بيريرندا مروراً بوادٍ كان ميغيل قد استكشفه من قبل وكانت مسالكه بحاجة إلى تمهيد في بعض الأحيان. توقفنا في الساعة الخامسة، وأكلنا قطعة من اللحم المجفف مع الشحم.

الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

١١ أيار

إنطلق رجال الطليعة في المقدمة، وبقيت أنا أترقب أنباء الإذاعة. وبعد ذلك بقليل جاء أوربانو ليقول لي إن بينينيو قد اصطاد خنزيراً برياً وإنه يطلب السماح له بإشعال النار وإعداد الشواء. قررنا حينئذ أن نبقى في مكاننا لأكل الحيوان بينما كلف بينينيو وأوربانو وميغيل بمواصلة شق الطريق في اتجاه البحيرة. عاودنا المسير في الساعة الثانية بعد الظهر، ثم نصبنا المخيم في الساعة السادسة. أما ميغيل والرفاق الآخرون فقد استمروا في تمهيد الطريق.

لا بد لي أن أتحدث بجدية إلى بينينيو وأوربانو. فقد أكل الأول معلبة واحدة يوم القتال ونفى أن يكون قد فعل ذلك، أما أوربانو فقد أكل قسماً من اللحم المجفف في مخيم الروبيو.

جاء في الأنباء أن الكولونيل روشا، قائد الفرقة الرابعة العاملة في المنطقة، قد أُعفي من منصبه.

١٢ أيار

سرنا ببطء وقام أوربانو وبينينيو بفتح الطريق. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا البحيرة التي تقوم على مسافة ما يقرب من خمسة كيلومترات ثم عثرنا، بعد ذلك، بقليل على طريق قديم. وبعد ساعة من المسير، وصلنا إلى حقل شاسع من الذرة والقرع، ولكننا لم نجد فيه أثراً للماء. أعددنا طعاماً من القرع المحمر والمقلي بالشحم، ومن الذرة المشوية وقمنا بتخزين بعض الذرة الخضراء، وقدعاد المستكشفون يحملون نبأ عثورهم على بيت شيشو، وهو نفس البيت الذي يشير إليه الملازم هنري لوريدو في يومياته، ويتحدث عن صاحبه كإنسان وصديق طيب. لم يكن شيشو في منزله، ولكننا وجدنا فيه أربعة عمال وخادمة جاء زوجها ليعيدها إلى البيت فمنعناه من ذلك. أكلنا خنزيراً مع الأرز وقوادم مقلية بالإضافة إلى القرع.

وبقي بومبو وأرتورو وويلي وداريو لحراسة العتاد ولكننا لم نجد لسوء الحظ ماء سوى ماء البيت:

إنسحبنا في الساعة الخامسة والنصف بخطى بطيئة، وشكا الرفاق جميعاً من حالتهم الصحية. ولم يكن صاحب البيت قد عاد من سفره فتركنا له مذكرة بقيمة الاضرار والاشياء التي حملناها ودفعنا للخادمة ولكل من العمال مبلغ عشرة دولارات لقاء عمله.

الإرتفاع: ٩٥٠ متراً.

١٣ أيار

يوم من التجشوء والرياح (رياح الجوف) والتقيوء والإسهال... كونشيرتو أرعن حقيقي. بقينا في مكاننا بلا حراك علنا نستطيع هضم الخنزير ونطفيء ظمانا بعلبتين من الماء. وشعرت بألم شديد لم يبارحني حتى تقيات. وفي المساء، أعددنا عشاء من الذرة المقلية والقرع المشوي ومن بقايا وليمة البارحة للذين تحملت معدتهم لحم الخنزير. رددت جميع الإذاعات في نشراتها الإخبارية أن إنزالاً قد فشل في فنزويلا وأن حكومة ليوني قد أذاعت على الملأ أسماء ورتب جميع الرجال المشتركين في العملية. لم أتعرف على أي منهم ولكن الدلائل تشير إلى وقوع عملية غير ناجحة.

١٤ أيار

إنطلقنا في ساعة مبكرة بدون حماسة كبيرة، في محاولة للوصول إلى بحيرة بيريرندا مروراً بطريق كان بينينيو وكامبا قد اكتشفاه أثناء جولة استطلاعية... وقد عقدت اجتماعاً للرجال قبل تحرك الركب وأبديت لهم بعض الملاحظات بخصوص المعضلات التي قد نواجهها وبشكل أساسي مشكلة الطعام. انتقدت بينينيو لأكله معلبة دون سائر الرفاق ثم لإنكاره ذلك، كما انتقدت أوربانو لأكله اللحم المجفف خلسة وأنيسيتو لما يبديه من حماسة في كل ما يمت بصلة إلى الطعام، بينما يرفض التعاون في مجالات أخرى. وأثناء الاجتماع سمعنا هدير شاحنات تقترب منا فأخفينا في مخبأ مجاور قرابة ٥٠ قرعة وكنتالين من حبوب الذرة احتياطاً لأيام الحاجة.

تركنا الطريق باتجاه بعض الحقول لقطف الفاصوليا. وفجأة دوت

انفجارات شديدة بالقرب منا وأبصرنا الطائرات وهي «تقصفنا بوحشية» ولكن قنابلها سقطت على بعد كيلو مترين أو ثلاثة من مواقعنا. واصلنا تسلق مرتفع صغير وظهرت لنا البحيرة بينما كان الجنود لا يزالون يلاحقوننا بنيرانهم. وحين غابت الشمس وصلنا إلى بيت مهجور، وتبين لنا أن أصحابه قد أخلوه منذ فترة قصيرة وكان يحوي مؤناً وافرة إلى جانب الماء.

تناولت عشاء شهياً قوامه دجاج محمر مع الارز وبقينا هناك حتى الساعة الرابعة.

١٥ أيار

لا شيء يستحق الذكر.

١٦ أيار

تعرضت منذ بدء المسير لمغص شديد يرافقه تقيؤ وإسهال، وقد تم التغلب عليه بالدومورول بعد أن فقدت وعيي كلياً. حملني الرفاق إلى أرجوحة... وعندما استيقظت كان الوجع قد زال ولكنني «تبرزت» في ثيابي كالطفل الرضيع تماماً. أعارني أحد الرفاق بنطالاًولم أستطع تنظيف نفسي بسبب عدم وجود الماء. قضينا طيلة النهار في مكاننا وكنت شبه مخدّر. وقد خرج كوكو وناتو لاستشكاف المناطق المجاورة وعثرا على طريق يتجه جنوباً ـ شمالاً. فسلكناه في المساء إلى ان غاب ضوء القمر، وحينئذ، توقفنا للإستراحة.

تلقينا الرسالة رقم ٣٦ التي تشير إلى العزلة الكلية المحيطة بنا.

١٧ أيار

واصلنا المسير حتى الساعة الواحدة بعد الظهر... فتوقفنا في منشرة هجرها أصحابها منذ ثلاثة أيام مضت كما تشير الدلائل. عثرنا فيها على سكر وذرة وشحم وطحين وماء مخزّن في البراميل حُمِل من بعيد كما يبدو. بقينا هناك لنصب المخيم بينما خرج الرجال لاستكشاف الطرق التي تنطلق من المنشرة وتضيع في الغابات. شكا راوول من التهاب في ركبته يسبب له ألماً شديداً ويمنعه من المسير. فأعد له الطبيب لزقة من دواء قوي مضاد للحيويات، وسوف يقوم غداً بتفريغ القيح. قطعنا قرابة ١٥

كيلو متراً.

الإرتفاع: ٩٢٠ متراً.

١٨ أيار

روبرتو جوان مارتن

قضينا اليوم في كمين نصبناه احتراساً من قدوم عمال المنشرة او الجنود ولكن احداً لم يظهر. خرج ميغيل مع بابلو وعثرا على ينبوع ماء في نقطة تبعد حوالي ساعتين من المخيم ويمكن الوصول إليها بطريق جانبي. افرغ الطبيب القيح من ركبة راوول وسحب منها ٥٠ سنتيمتراً مكعباً من السائل المتقيح وطلب إليه اتباع علاج مضاد للإلتهابات. إنه لا يستطيع ان يخطو خطوة واحدة. قمت بخلع السن الأولى خلال هذه الحرب وكانت الضحية المتقدمة هي كامبا، ولكن الأمور جرت على خير ما يرام. اكلنا خبزاً اعددناه في فرن صغير، وفي المساء، تناولنا حساء مخيفاً مرضت على اثره مرض كلب مسعور.

١٩ أيار

خرج رجال الطليعة في ساعة مبكرة لأخذ مواقعهم في كمين نصبناه على مفترق طرق، وجاء دورنا للحلول مكان قسم من هؤلاء الرجال الذين عهدت إليهم حينئذ بالبحث عن راوول وإحضاره إلى مكان قريب منا. أما بقية الوسط فقد واصلت مسيرتها إلى نقطة الماء التي تم اكتشافها لتضع هناك أكياس المؤن وقد عادت أدراجها ومعها راوول الذي بدأ يتماثل للشفاء. قام انطونيو باستطلاع سريع نحو السافلة ووجد مخيماً مهجوراً للجنود وبعض الأطعمة المجففة. لم يعد ناكاهوازو بعيداً وقدرت أننا سنصل عما قريب إلى أسفل نهر كونغري. أمطرت السماء طيلة الليل خلافاً للتنبؤات. ولدينا الآن مؤن تكفينا لعشرة أيام كما يوجد في جوارنا قرع وذرة.

الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

٢٠ أيار

لم نبرح مخيمنا هذا اليوم. نصبت مجموعة الوسط كميناً، في الصباح، وحلت مكانها الطليعة بعد الظهر بقيادة بومبو الذي وجد أن المكان غير

مناسب. قام ميغيل باستطلاع سافلة الجدول، وعثر على نهر ناكاهوازوا على مسيرة ساعتين ولكن بدون حمل المتاع. سمعنا بوضوح طلقة نارية لم نعرف مصدرها وعثرنا بقرب ضفاف ناكاهوازوا على آثار لمخيم عسكري ثان كان قد أعِد لسريتين. حدث أمر يؤسف له حين قام لوبس بتمثيل دور المحتضر، وقد عاقبته وحرمته من الاشتراك في الكمين فانفعل كثيراً على ما يبدو.

رفض باريانتوس في حديثه الصحفي أن يقر الصفة الصحفية لدوبريه وأعلن أنه سيطلب من الكونغرس استصدار قانون لتثبيت الحكم بالإعدام، وقد وجه إليه معظم الصحافيين الاجانب أسئلة حول دوبريه، فدافع عن موقفه بحجج واهية للغاية. إنه أعجز إنسان على ظهر البسيطة.

٢١ أيار

الأحد. لم نتحرك من مكاننا وعدنا إلى نصب الكمين في ساعة الظهيرة بتناوب كل عشرة رجال. بدأت حالة راوول الصحية تتحسن ببطء، وقام الطبيب، مرة أخرى، بشق الجرح وسحب هذه المرة ٤٠ سنتيمتراً مكعباً من السائل المتقيح. نزلت حرارته، ولكنه لا زال متألماً كما أنه عاجز عن السير... إنه يشغل فكري في الوقت الحاضر. تناولنا عشاء رائعاً يتألف من الحساء والطحين واللحم المجفف المفروم والقرع مع صلصة الذرة المسلوقة.

٢٢ أيار

صدق حدسي. فقد وصل ظهراً غوزمان روبلز، صاحب المنشرة في سيارة جيب متآكلة يرافقه سائقه وابنه. كان يبدو في أول الأمر أنه جاء بإيعاز من الجيش ليرى ما يجري في المنطقة ولكنه أخذ شيئاً فشيئاً يطمئن لوجودنا ويطلعنا على مكنونات نفسه، وقد وافق على أن يذهب مساء إلى غوتييريز تاركاً ابنه رهينة على أن يعود في الغد. تقرر أن تبقى الطليعة مرابطة في الكمين طيلة الليل وأن ننتظر نحن عودة الرجل حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر. كان علينا أن ننسحب بعد ذلك لأن الموقف قد يصبح خطيراً. كل شيء يحملنا على الاعتقاد بأن الرجل لن يخوننا ولكننا لم نعلم إن كان سيتمكن من ابتياع حاجياتنا الضرورية بدون إثارة الشبهات. وقد عوّضناه عن الخسائر التي لحقت بأرضه وأفضى إلينا

بمعلوماته عن الموقف في تاتاراندا وليمون وايبيتا... ويبدو أن هذه الأمكنة خالية من الجنود باستثناء (ايبيتا) حيث يوجد ضابط برتبة ملازم أول... وقال لنا إنه لم يذهب قط إلى تاتارندا وإن معلوماته عنها مستقاة من الآخرين.

٢٣ أيار

يوم متوتر. لم يظهر صاحب المنشرة طيلة النهار. وعلى الرغم من الهدوء الذي يسود المنطقة فقد قررنا الانسحاب مساء مصطحبين معنا الصبي الذي كان في السابعة عشرة من عمره. سرنا مدة ساعة كاملة مهتدين بضوء القمر، ثم نمنا في الطريق. وقد حملنا معنا من الأغذية ما يكفينا لعشرة أيام.

٢٤ أيار

وصلنا بعد ساعتين من المسير إلى ناكاهوازو وكان يبدو مقفراً. وفي حوالي الرابعة انطلقنا نحو سافلة نهر كونفري. سرنا ببطء نظراً لخطى ريكاردو ومورو المتثاقلة. ووصلنا إلى المخيم الذي لجأنا إليه في أول يوم من رحلتنا الأولى. ولم نخلّف وراءنا أي أثر، ولم نر بدورنا أية آثار حديثة. وقد جاء في أنباء الإذاعة أن الطلب المقدم من هابياس كوربوس بخصوص دوبريه قد رفض. قدرت اننا على مسافة ساعة أو ساعتين من سالاديو وحين نصل إلى القمة سنقرر ما يجب عمله.

٢٥ أيار

وصلنا إلى سالاديو بعد ساعة ونصف الساعة من المسير المتواصل دون أن نترك وراءنا أي أثر. سرنا صعوداً ما يقرب الساعتين، حتى عثرنا على منبع النهر. وهناك أكلنا، وواصلنا صعودنا في الساعة الثالثة والنصف، وسرنا أيضاً حوالي ساعتين... وحين أشارت عقارب الساعة إلى السادسة أقمنا مخيمنا على ارتفاع ١١٠٠ متر ولم نكن قد بلغنا القمة، وإذا صدق الصبي فإن أمامنا فرسخين حتى نصل إلى مزرعة الجد الغنية بمنتوجاتها الزراعية. ويعتقد انينينيو ان امامنا مسيرة يوم كامل قبل أن نبلغ بيت فارغاس، على الريوغراندي. سنرى ما ينبغي عمله في الغد.

٢٦ أيار

بعد ساعتين من المسير، بلغنا خلالها القمة التي ترتفع قرابة ١٢٠٠ متر، وصلنا إلى مزرعة تخص جد الصبي، وكان يعمل فيها فلاحان فتوجها لملاقاتنا حالما وقعت أنظارهما علينا. كانا متصاهرين مع العجوز الذي تزوج من شقيقة لهما. أبلغانا أن والد الصبي قد اعتقل وأنه اعترف بكل شيء. وقالا إن هناك ٣٠ جندياً يرابطون في ايبيتا ويفتشون المنطقة باستمرار. أكلنا خنزيراً مقلياً وقرعاً مشوياً مع الشحم. كانت المنطقة خالية من الماء، كذلك كانوا ينقلونه من (ايبيتا) ويخزنوه في البراميل. توجهنا في المساء نحو أراضي الشقيقين، واجتزنا مسافة ثمانية كيلومترات: أربعة كيلو مترات باتجاه ايبيتا وأربعة أخرى باتجاه الغرب. ووصلنا قرابة الفجر.

الإرتفاع: ١١٠٠ متراً.

٢٧ أيار

يوم من الاسترخاء والتشاؤم. لم نجد في المنطقة من بين جميع الحاجيات البديعة الموعودة سوى القليل من قصب السكر كما كانت المعصرة بدون فائدة. وقد صدق حدسنا حينما قدم مالك الأرض العجوز في الظهيرة يجر عربته المحملة بالماء للخنازير. وقد لمح شيئاً غريباً... أثناء عودته باتجاه المكان الذي نصب فيه رجال المؤخرة كمينهم فأسره هؤلاء كما أسروا فلاحاً يعمل معه. بقيا في الأسر حتى الساعة السادسة وحينئذ أطلقنا سراحهما وسراح أحد الشقيقين، وأوصيناهم جميعاً بعدم مغادرة المنطقة حتى يوم الإثنين، وبالتزام الصمت. سرنا مدة ساعتين باتجاه كاراغواترندا، ثم نمنا في حقل من حقول الذرة.

٢٨ أيار

الأحد. نهضنا باكراً وتابعنا طريقنا إلى أن وصلنا بعد ساعة ونصف الساعة إلى مزارع كاراغواترندا فأرسلنا بينينيو وكوكو لاستطلاع المنطقة، ولكن أحد الفلاحين رآهما فاضطرا لأسره. وبعد ذلك بقليل، تجمع لدينا عدد كبير من الأسرى الذين لم يبدوا شعوراً بالخوف. وأخذت امرأة عجوز تصرخ مع أولادها لإثارة إنتباه الناس ولكن باشو وبابلو لم

يطاوعهما قلبهما على احتجازهما ففرت إلى القرية. قمنا باحتلال القرية في الساعة الثانية بعد الظهر بعد أن اقمنا مراكزنا على طرفيها. واستولينا على سيارتي جيب وشاحنتين، بعضها للأهلين وبعضها الآخر لحقول النفط. اكلنا قليلاً، وشربنا قهوة، وبعد مناقشات عديدة لا تحصى، انطلقنا في الساعة السابعة والنصف باتجاه «ايبيتاسيتو» وهناك اقتحمنا مخزناً واشترينا منه بضائع بقيمة ٥٠٠ دولار وضعناها باحتفال مهيب تحت حراسة الفلاحين... ثم واصلنا الطريق إلى أن انتهينا إلى إيتاي حيث استقبلنا بحفاوة في بيت اتضح أن صاحبه هو أيضاً صاحب مخزن ايبيتاسيتو. استعرضنا عنده لائحة الأسعار، وأجريت معه نقاشاً، وخيل إليّ انه قد عرفني.. كان لديه شيء من الجبن والخبز فقدمهما إلينا مع قليل من القهوة ولكنني توجست شراً من هذه الحفاوة. واصلنا طريقنا باتجاه إيسبينو الكائنة على سكة حديد سانتاكروز ولكن الشاحنة (وهي من طراز فورد) تعطلت على بعد ثلاثة فراسخ من إيسبينو فامضينا الصباح كله في إصلاحها، وما كادت تتحرك، مرة أخرى حتى تعطلت من جديد وقضيت نحبها نهائياً هذه المرة على بعد فرسخين... استولى رجال الطليعة على المزرعة، وقامت سيارة الجيب بأربع رحلات متتالية لنقلنا جميعاً.

الإرتفاع: ٨٨٠ متراً.

٢٩ أيار

تبدو بلدة «إيسبينو» حديثة إلى حد ما، لان البلدة القديمة قد غمرها فيضان ٥٨. إنها بلدة هندية وسكانها خجولون وهم لا يجيدون الإسبانية أو إنهم يتظاهرون بذلك. رأينا على مقربة منا عمال نفط منهمكين في العمل كما رأينا شاحنة أخرى تستطيع ان تقلّنا جميعاً، ولكن الفرصة افلتت من أيدينا بعد أن غرّست في الوحل، وعجز ريكاردو عن إخراجها. كان الهدوء مطلقاً كما لو أننا نعيش في عالم منفصل. كُلِّف كوكو بالاستعلام عن الطريق المجاورة، وحينما عاد كان يحمل في جعبته معلومات متضاربة وغير كافية، حتى أننا عندما هممنا باتباع طريق خطر يقودنا إلى جوار ريوغراندي، ضللنا طريقنا وسلكنا طريقاً آخر إلى موشيري، حيث تتوفر المياه. وقد غادرنا المنطقة في الساعة الثالثة والنصف نظراً لمشاكل التنظيم، واستقلت الطليعة سيارة جيب (ستة أشخاص وسبعة مع كوكو)

بينما سار الباقون على أقدامهم.

جاء في أخبار الإذاعة أن لورو قد فرّ من سجنه في كاميري.

٣٠ أيار

وصلنا أثناء النهار إلى سكة الحديد واكتشفنا أن الطريق الذي سيقودنا إلى موشيري لا وجود له. وعثرنا أثناء تفتيشنا عنه على طريق يخترق حقول النفط بخط مستقيم على مسافة ٥٠٠ متر من مفترق الطرق فسلكه رجال الطليعة على متن سيارة الجيب. وحدث أن شاباً صغيراً قد وصل فجأة ومعه بندقية وكلب، بينما كان أنطونيو يهم بالانسحاب... فطلبت إليه أن يتوقف ولكن الشاب فرّ مسرعاً. وعلى أثر هذا الحادث كُلِّف أنطونيو بنصب كمين في مدخل الطريق بينما ابتعدنا نحن حوالي ٥٠٠ متر. وفي الساعة الثانية عشرة إلاّ ربعاً ظهر ميغيل وقال إنه سار ١٢ كيلومتراً باتجاه الشرق دون أن يجد مسكناً أو ماء. وجلّ ما وجده هو طريق ينحرف نحو الشمال. أصدرت أمراً إليه باستخدام سيارة الجيب والتوجه مع ثلاثة رجال لاستكشاف هذا الطريق بحدود عشرة كيلومترات نحو الشمال والعودة قبل هبوط الليل. وقد كنت أغط في نمو عميق عندما استيقظت في حوالي الثالثة على صوت عيارات نارية انطلقت من الكمين. وجاءتني الأنباء سريعاً: تقدم الجيش، ووقع في الفخ المنصوب له، والنتيجة هي: ثلاثة قتلى وجريح واحد. اشترك في هذا الكمين أنطونيو وارتورو وناتو ولويس وويلي وراوول ولكن هذا الأخير كان ضعيفاً. انسحبنا سيراً على الأقدام، وقطعنا مسافة ١٢ كيلومتراً حتى ملتقى الطرق دون أن نجد أثراً لميغيل، وعلمنا بعد ذلك أن سيارة الجيب لم تستطع اجتياز الطريق بعد أن نفذ الماء منها. وقد عثرنا عليها على بعد ثلاثة كيلومترات فتبولنا جميعاً في خزان المياه واستطعنا بفضل «مطرة» إضافية أن نبلغ المرحلة الأخيرة من المرحلة حيث كان خوليو وبابلو في انتظارنا. إلتام الشمل في الساعة الثالثة حول نار طيبة وشواء يتألف من ثلاثة طواويس ومن لحم خنزير. وقد احتفظنا من قبيل الحيطة بحيوان كي يشرب من المياه التي نجدها على الطريق خوفاً من أن تكون مسممة. بدأنا النزول وارتفاعنا يتراوح الآن بين ٧٥٠ و٦٥٠ متراً. استمرت سيارة الجيب في نهب الطريق بكل شجاعة بما تجمع في خزانها من بول وماء.

ولكن حادثتين طارئتين قد أفسدتا خططنا فقد توقف الطريق باتجاه الشمال واضطر ميغيل إلى إيقاف المسيرة... ثم إن إحدى مجموعات المراقبة أوقفت الفلاح غريغوريو فارغاس الذي جاء راكباً دراجته لنصب بعض الفخاخ ويبدو أن هذه هي مهنته. لم يكن موقف الرجل واضحاً على الإطلاق ولكنه زودنا بمعلومات ثمينة عن مواقع الماء. قال إن أقربها يقع وراءنا... وقد أرسلت عدة رجال لإحضار الماء وإعداد الطعام تحت إشراف الدليل. وعندما وصلوا إلى المكان المقصود شاهدوا شاحنتين للجيش فنصبوا كميناً عاجلاً لهما. ويبدو أنهم قد قتلوا جنديين وأن ناتو أطلق في البداية رصاصة من تلك التي تستخدم في التدريب... بدون جدوى طبعاً فاستبدلها برصاصة حقيقية وحين همَّ بإطلاقها انفجرت قنبلته اليدوية المضادة للدروع أمام أنفه، وفجرت معها بندقيته... ولكنه لم يصب بأذى. واصلنا انسحابنا دون أن يتدخل الطيران وقطعنا مسافة ١٥ كيلومتراً قبل أن نجد نقطة الماء الثانية. وكان الليل قد خيم على المنطقة بينما لفظت سيارة الجيب آخر أنفاسها بسبب النقص في المحروقات. وقضينا العشية في تناول الطعام.

أصدر الجيش بلاغاً يعترف فيه بمقتل ملازم وجندي مساء أمس، ويشير إلى عدد من القتلى «شوهدوا» يتساقطون من جانبنا. إنني عازم غداً على اجتياز سكة الحديد بحثاً عن الجبال.

الإرتفاع: ٦٢٠ متراً.

التحليل الشهري

كانت النقطة السلبية هي عدم استطاعتنا الإتصال بجواكين... رغم تجوالنا المستمر في الجبال.

أما من الناحية العسكرية فقد جرت ثلاث معارك جديدة أوقعت خسائر في صفوف الجيش دون أن نصاب نحن بخسارة واحدة... ثم إن دخولنا إلى بيريرندا وكاراغواترندا دليل على التقدم وقد تبيَّن للجيش ان كلابه عاجزة عن ملاحقتنا فسحبها من مسرح العمليات.

وتلك هي أهم الخصائص:

١) فقدان الاتصال بمانيلا وجواكين وهذا ما يجعل عددنا لا يزيد عن

٢٥ رجلاً يشكّلون المجموعة كلها.

٢) غياب كلي للإلتزام الفلاحي.. رغم أن الفلاحين لم يعودوا يبدون ذاك الخوف الشديد، واننا أصبحنا محط إعجابهم.

٣) يبدو أن الحزب يعرض مساعدته بدون تحفظ عن طريق كولي.

٤) إن إثارة قضية دوبريه قد أضفت من القيمة الحربية على حركتنا أكثر من عشر معارك ظافرة.

٥) إن المحاربين يكتسبون شيئاً فشيئاً معنويات عالية وأكيدة ستضمن لنا النصر، إن أحسنّا إستخدامها.

٦) لم يتوصل الجيش إلى تنظيم نفسه، كما أن تقنيته لم تتحسن بشكل محسوس.

إن نبأ الشهر هو اعتقال لورو وفراره من السجن ولا بدّ أن يكون الآن في طريقه للإلتحاق بنا أو إلى لاباز لتنظيم الإتصالات. أعلن الجيش إنه قد اعتقل جميع الفلاحين الذين تعاونوا معنا في منطقة مازيكوري وستأتي الآن مرحلة يمارس فيها الإرهاب على الفلاحين من الجانبين في آن واحد، ولو بشكل مختلف. إن انتصارنا سيكون التغيير النوعي الذي لا بدّ منه من أجل تطوير حرب العصابات تطويراً جديداً.

حزيران ١٩٦٧

١ حزيران

ارسلت رجال الطليعة لاتخاذ مواقعهم على الطريق واستطلاعه. حتى نقطة تصالبه بالطريق المؤدي إلى حقول النفط... على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً. وقد بدأت الطائرات في التحليق فوق المنطقة، وهذا ما يؤكد صحة الانباء التي وردت في الإذاعة عن سوى الاحوال الجوية التي حدثت من نشاط الطيران في الأيام المنصرمة ويبدو أنهم سيعودون الآن إلى قصف مواقعنا. صدر بلاغ عسكري غامض عن مقتل جنديين وجرح ثلاثة... ولا ندري إذا كان هؤلاء من القدامى أم من الجدد. وبعد أن تناولنا الطعام في الساعة الخامسة، واصلنا المسيرة باتجاه الطريق وقطعنا سبعة أو ثمانية كيلومترات بدون حادثة تذكر. ثم سرنا ساعة ونصف الساعة لنسلك بعد ذلك درباً ضيقاً مهجوراً يقودنا إلى مزرعة كائنة على مسافة سبعة كيلومترات. ولكن الجميع هدهم الإعياء فنمنا في منتصف الطريق. ولم نسمع طيلة الرحلة سوى عيار ناري واحد، ومن بعيد.

٢ حزيران

الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

قطعنا الكيلو مترات السبعة التي ذكرها غريغوريو، ووصلنا إلى المزرعة. وهناك، أمسكنا بخنزير كبير وذبحناه... وفي هذه اللحظة بالذات، وصل راعي برولبو روبلز وابنه وفلاحان تبين أن أحدهما هو ابن زوجة صاحب المزرعة، وكان يدعى سيموني. صادرنا منهم خيولهم لاجتياز الكيلومترات الثلاثة التي تفصلنا عن الجدول ونقل الخنزير الذي تم تقطيعه واحتجزناهم هناك بعض الوقت حتى نبعد غريغوريو عن الأنظار وكانت أخباره قد انتشرت في المنطقة. وما كادت تصل مجموعة الوسط حتى مرت شاحنة عسكرية محمّلة بالجنود والبراميل... كانت فريسة سهلة ولكن اليوم كان يوم وليمة والتهام للخنزير. أمضينا المساء في إعداد الطعام، وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف أطلقنا سراح الفلاحين الأربعة بعد أن دفعنا لكلّ منهم عشرة دولارات مقابل نهارهم الضائع. وفي الساعة الرابعة والنصف، انصرف غريغوريو بعد أن انتظر الطعام والتمس عبثاً تجديد عقده... وقد أعطيناه ١٠٠ دولار. كان ماء الجدول مراً.

٣ حزيران

إنطلقنا في الساعة السادسة والنصف صباحاً في محاذاة الضفة اليسرى للجدول ومشينا حتى الظهيرة، وبعدها أرسلنا بينينيو وريكاردو لاستطلاع الطريق فعثرا على مكان مناسب للكمين. وفي الساعة الواحدة، اتخذنا مراكزنا وقُدنا أنا وريكاردو مجموعتين من الوسط فيما تمركز بومبو في أحد الأطراف وميغيل مع رجال الطليعة كلهم في نقطة مثالية. وفي الساعة الثانية والنصف، مرت شاحنة محملة بالخنازير فلم نتعرض لها وفي الساعة الرابعة والدقيقة العشرين، مرت شاحنة صغيرة محملة بالقناني الفارغة، وفي الساعة الخامسة مرت شاحنة عسكرية، بل لعلها نفس شاحنة البارحة، وكانت تقل جنديين متمددين على المقاعد في الداخل ومتدثّرين بالأغطية. لم يطاوعني قلبي على إطلاق النار، واختلطت عليّ الامور فترة قصيرة فلم أوقف الشاحنة ومرت بذلك بسلام. وفي الساعة السادسة غادرنا الكمين وواصلنا عملية النزول بحثاً عن الجدول مرة أخرى. وما كدنا نصل إلى الماء حتى مرت أربع شاحنات، واحدة تلو الاخرى ثم لحقت بها ثلاث أُخر... ويبدو أنها كانت بدون جنود.

٤ حزيران

واصلنا المسير في محاذاة الجدول وقررنا نصب كمين آخر إذا كانت الظروف مؤاتية، ولكننا عثرنا على طريق يتجه إلى الغرب فتبعناه ثم سرنا بعد ذلك في مجرى جدول يتجه إلى الجنوب وقد جفّت مياهه. وفي الساعة الثالثة إلاّ ربعاً توقفنا لنشرب قهوة وعصير الشوفان، واستَعَنّا لذلك بمياه بركة آسنة ولكن القيلولة طالت فقررنا أن نقيم مخيمنا هنا. وفي المساء، هبت ريح جنوبية يرافقها مطر خفيف... هطل طيلة الليل.

٥ حزيران

تركنا الدرب، وفتحنا طريقاً في الغابات تحت رذاذ الريح الجنوبية، ومشينا حتى الساعة الخامسة بعد الظهر وقد سرنا فعلياً ساعتين وربع الساعة بعد أن اصطدمنا بغابات كثيفة تغطي تماماً جوانب اعلى جبل في هذه المنطقة. وكانت النار ملاذنا الوحيد طيلة هذا اليوم... الذي قضيناه بدون طعام يذكر. ما زلنا نحتفظ بالماء الصالح للشرب لإفطار الصباح في «مطرات» صغيرة.

الإرتفاع: ٧٥٠ متراً.

٦ حزيران

خرج ميغيل وبينينيو وبابلو بعد إفطار هزيل لتمهيد الطريق واستطلاع المنطقة. وقد عاد بابلو نحو الساعة الثانية يحمل نبأ عثورهم على مزرعة مهجورة مع قطيعها، بدأنا حينئذ المسير متتبعين مجرى الجدول فاجتزنا المزرعة في طريقنا إلى ريوغراندي. ومن هناك، أرسلنا رجلاً للإستطلاع ومعه أمر بالعثور على بيت قريب ومنعزل. وهذا ما تم بالفعل، وقد دلّت المعلومات الأولى التي جمعناها أننا على مسافة ثلاثة كيلو مترات من بويرتو كاماشو حيث يرابط ٥٠ جندياً وقد استدلينا على الطريق المؤدي إليها. وامضينا طيلة الشهر في إعداد لحم الخنزير. وحساء «اللوكرو»[١]، لم يحمل إلينا هذا اليوم ما ننتظره فانطلقنا في الصباح بعد شروق الشمس، ونحن مرهقون.

---

(١) حساء يتألف من الارز واللحم المقرر والحبوب الخاصة بالمنطقة الشرقية من بوليفيا.

٧ حزيران

مشينا بحذر ونحن نتجنب المراعي المهجورة إلى أن أعلن لنا الدليل، وهو أحد أبناء الفلاحين، أننا تجاوزنا منطقة المراعي. وقد واصلنا المسير في طريق رملي حتى وصلنا إلى مزرعة أخرى كان قد جرى الحديث عنها، غنية بالقرع وقصب السكر وأشجار الموز والفاصولياء. نصبنا مخيمنا هناك. بدأ الصبي الذي كان يقوم بدور الدليل... يشكو من ألم شديد في بطنه ولا نعلم إن كان ذلك صحيحاً أم أنه من قبيل التمثيل.

الإرتفاع: ٥٦٠ متراً.

٨ حزيران

أبعدنا المخيم قرابة ٣٠٠ متر لنتجنب مراقبة الفضوليين في المنطقة الرملية والمزروعة في آن. وعلمنا بعد ذلك أن الفلاح لم يسلك هذا الطريق، في يوم من الأيام، وإنما جاء في الزورق. خرج بينينيو وبابلو وأوربانو وليون لشق طريق في منطقة صخرية؛ ولكنهم عادوا بعد الظهر ليؤكدوا استحالة ذلك. وقد اضطررت إلى توجيه تحذير آخر لأوربانو لوقاحته المتكررة. إتخذنا قراراً بأن نصنع في الغد طوفاً على مقربة من الشاطىء الصخري.

جاء في أنباء الإذاعة أن حالة الطوارىء قد أُعلنت في البلاد وأن أعمال المناجم يهددون بالثورة... ثم خمد كل شيء بعد فترة قصيرة.

٩ حزيران

مشينا ساعتين لكي نصل إلى صخرة الشاطىء. هنا، كان الناتو يجد صعوبة كبيرة لصنع عبّارته؛ استغرق ذلك وقتاً طويلاً دون نتيجة. لم نختبره بعد. أرسلت ميغال لاستكشاف منفذ آخر لكنه لم ينجح. اصطدنا سمكة كبيرة ذهبية اللون (بينينيو). الارتفاع: ٥٩٠ متراً.

١٠ حزيران

لا تستطيع العبّارة، كما توقعنا، أن تحمل سوى ثلاث جعب للظهر، وحتى هذا مشكوك فيه... نزل السباحون إلى الماء ولم يستطيعوا فعل أي شيء بسبب البرد. قررت ارسال من يجلب قارباً من منزل الأسير، وأرسلت معه كوكو وبوشو وانيسيتو وإيلناتو. سمعنا بعد وقت قصير،

طلقات قذائف هاون، عاد ايلناتو ليخبر بانه صادف الجيش الذي كان يتواجد على الضفة الاخرى. حسب كل الدلائل كان رجالنا يسيرون دون احتياطات وقد شاهدوهم. بدأ الحراس باطلاق النار كالعادة، ورد عليهم كوكو وبومبو دون تفكير، فحذروهم. قررنا البقاء في المكان نفسه والشروع بايجاد طريق للخروج. سيكون الوضع صعباً قليلاً إذا قرر الجيش مهاجمتنا بقوة، لانه، في أحسن الحالات، علينا أن نعبر عبر الصخور والجبل، وبدون ماء.

١١ حزيران

يوم من السكينة التامة. نصبنا كميناً للجيش ولكنه لم يتقدم لملاقاتنا وقد حلّقت طائرة صغيرة لمدة بضع دقائق فوق المنطقة. لعل الجيش ينتظرنا الآن على ضفاف الروزيتا. تم تمهيد طريق على الهضبة يكاد يقود إلى القمة تقريباً. على أية حال سنواصل المسيرة غداً. وقد بقي لنا من الطعام ما يكفي لخمسة أيام أو ستة.

١٢ حزيران

إعتقدنا في بادىء الأمر أن بإمكاننا الوصول إلى الروزيتا، أو على الأقل، إلى ريوغراندي من جديد. فواصلنا مسيرتنا على هذا الأساس. ولكننا حين وصلنا إلى نقطة صغيرة قرب المياه صغيرة، تبين لنا أن الامر ليس كما تصورناه من السهولة، فعسكرنا هناك بانتظار الأنباء. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، جاء من يقول إن هناك نقطة أخرى أهم من الأولى ولكن الوصول إليها يستحيل في الوقت الحاضر. إتخذنا قراراً بالبقاء في مكاننا وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب بينما هبّت ريح الجنوب لتحمل لنا رذاذها وبردها.

اعلنت الإذاعة نقلاً عن صحيفة «بريزنسيا» نبأ سقوط قتيل وجريح من جانب الجيش أثناء صدام السبت...إن هذا دلالة طيبة، وهو نبأ أكيد ولا ريب... وهكذا، فإن صداماتنا مع العدو لم تتوقف وهي توقع فيه الخسائر تلو الخسائر. وجاء في بلاغ آخر أن الجيش قتل ثلاثة من محاربينا، من بينهم أحد المتزعمين للحركة وهو المعروف باسم إنتي وقد أورد البلاغ هذا التركيب العجيب لقواتنا: ١٧ كوبياً، ١٤ برازيلياً، ٤ ارجنتنيين، ٣ بيروفيين، إن عدد الكوبيين والبيروفيين صحيح، ولا بد لي أن أقوم

بتحقيق لأعرف الطريقة التي اكتشف بها العدو هذه الأرقام.
الإرتفاع: ٩٠٠ مترٍ.

١٣ حزيران

لـم نـمـش سـوى سـاعـة واحـدة... أي إلى نـبـع الـمـاء الـتـالي ذلك لأن المستكشفين لم يصلوا إلى روزيتا ولا إلى ريو. البرد قارس جداً. قد نصل غداً إلى هدفنا، بقي لنا من الطعام ما يكفي لخمسة أيام بحدود وجبات معقولة.

إن ما يثير اهتمامي هو ذاك الانقلاب السياسي في البلاد، وتلك الكمية الهائلة من الأحلاف المضادة... المنتشرة في كل مكان... إننا لـم نلمس الدور المحرّك لحرب العصابات بوضوح مثل ما لمسناه في بوليفيا.
الإرتفاع: ٨٤٠ متراً.

١٤ حزيران

سيليتا ـ (٩٤)

قضينا يومنا معسكرين بقرب نبع الماء البارد... وحول نار طيبة بانتظار أنباء ميغيل واوربانو اللذين كانا يمهدان الطريق. كان عليهما أن يعودا في الساعة الثالثة ولكن أوربانو وصل بعد هذا الوقت ليقول لنا إنهما قد عثرا على جدول كما لمحا بعض الصوى فاستدلا من ذلك على أن (ريوغراندي) لم يعد بعيداً عنا. بقينا في مكاننا وتناولنا آخر حساء... ولم يتبقَ لدينا سوى وجبة قوامها فستق العبيد وثلاث وجبات من «الموت».

بلغت اليوم التاسعة والثلاثين، وبدأت أنحدر بقلب لا يلين نحو ذات العمر الذي سأفكر فيه ملياً بمستقبلي كمحارب ثوري.. ولكنني ما زلت حتى الآن «جيداً».
الإرتفاح: ٨٤٠ متراً.

١٥ حزيران

سرنا أقل من ثلاث ساعات حتى وصلنا إلى مشارف ريوغراندي، وإلى مكان مألوف لدينا، اعتقد انه يبعد ساعتين عن الروزيتا. وقد قال نيكولا الفلاح إنه يبعد ثلاثة كيلو مترات. اعطينا الفلاح مبلغ ١٥٠ بيزوس وسمحنا له بالانصراف... فانسحب مسرعاً كالصاروخ. سنقيم المخيم هنا،

وقد خرج انيسيتو للإستكشاف ثم عاد بعد قليل ليقول إنه من الممكن عبور النهر. تناولنا حساء من فستق العبيد وملأنا بطوننا بقلوب التوتاي المسلوقة ثم المقلية بالسمن. بقي لنا من «الموت» ما يكفي لثلاثة أيام فقط.

الإرتفاع: ٦١٠ أمتار.

١٦ حزيران

بعد أن قطعنا كيلو متراً واحداً رأينا رجال الطليعة على الضفة الثانية للنهر. وكان باشو قد عبر النهر لاستشكاف المنطقة وعثر على نقطة العبور. نزلنا في الماء الشديد البرودة حتى وصل إلى الخاصرة... وقاومنا التيار ولم يكن لحسن الحظ قوياً. وبعد ذلك بساعة واحدة، وصلنا إلى الروزيتا حيث وجدنا آثار أحذية عسكرية ولكنها قديمة. وتبين لنا أن نهر الروزيتا طافح بالماء أكثر مما يجب، فلم نر أثراً للطريق الموجود على الخارطة. سرنا ساعة في الماء المتجمد، وقررنا أن نخيم هناك للإفادة من قلوب التوتاي ومن خلية نحل كان ميغيل قد عثر عليها في استكشاف سابق... ولكننا لم نجد الخلية، هذه المرة، واقتصر طعامنا على «الموت» وجوز الهند المقلي بالشحم. بقي لنا من «الموت» ما يكفي لغد وبعد غد، وقد اجتزنا حوالي ثلاثة كيلومترات باتجاه الروزيتا وثلاثة أخرى باتجاه ريوغراندي.

الإرتفاع: ٦١٠ أمتار.

١٧ حزيران

مشينا ١٥ كيلو متراً على طول الروزيتا في خمس ساعات ونصف الساعة. واجتزنا في طريقنا أربعة جداول رغم أن الخارطة لا تشير إلاّ إلى جدول واحد: أبابوسيتو. وجدنا آثاراً كثيرة تدل على أن بعضهم قد عبر المنطقة حديثاً. قتل ريكاردو حيوان «الهوشي» (حيوان قارض) فأكلناه مع «الموت» طيلة اليوم. بقي لنا شيء من «الموت» للغد... ولكن أملنا قوي في العثور على أحد البيوت.

١٨ حزيران

قطع الكثيرون منا خط الرجوع على أنفسهم، وأكلوا بقية «الموت» على

مائدة الإفطار. وفي الساعة الحادية عشرة وبعد ساعتين من المسير صادفنا مزرعة مليئة بالذرة واليوكا وقصب السكر والقرع والأرز وفيها معصرة لقصب السكر. أعددنا طعاماً خالياً من الآحين (بروتين) وأرسلنا بينينيو وبابلو لاستطلاع المنطقة. عاد بابلو في الساعة الثانية يحمل نبأ التقائهما بفلاح تبعد مزرعته عن مخيمنا حوالي ٥٠٠ متر، ويبدو أنهما عثرا على مزارع أخرى، كما أسرا بعض الفلاحين. نقلنا في المساء مخيمنا إلى مكان آخر. ونمنا في مزرعة يمتلكها بعض الفلاحين الشبان، وتقوم بالضبط في أول الطريق المتجه من أبابو على مسافة سبعة فراسخ من هنا. وكانت بيوت هؤلاء كائنة على مسافة تتراوح بين ١٠ و١٥ كيلو متراً من المكان الذي يلتقي فيه فرعا الموسكيرا والأوسكورا وعلى طرف هذا النهر الأخير.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

١٩ حزيران

مشينا ببطء خلال ١٢ كيلومتراً، ووصلنا إلى قرية صغيرة تتألف من ثلاثة بيوت ومن ثلاث أسر. وعلى بعد كيلومترين منها في منطقة واطئة تقيم أسرة غالفيز... وعلى وجه التحديد في المكان الذي يلتقي فيه نهرا الموسكيرا والأوسكورو. كان لا بد لنا من مطاردة الأهلين حتى نستطيع التحدث معهم؛ فهم أشبه ما يكونون في تصرفاتهم بالحيوانات الصغيرة. إستقبلنا آل غالفيز بحفاوة ولكن كاليكستو الذي عين مختاراً بفضل جهود لجنة عسكرية كانت تجوب المنطقة، بدا متحفظاً وعارض حتى بيعنا بعض الأشياء الصغيرة. وعند هبوط الليل وصل ثلاثة من باعة الخنازير مسلحين ببنادق موزر فاحتجزناهم، وطلبنا من إنتي أن يتولى استجوابهم. لم يجرِّدهم إنتي من أسلحتهم ولكن ريكاردو الذي كان يراقبهم أقدم على هذه البادرة الحمقاء. وأكد لنا كاليكستو أنهم تجار من بوسترر فالي وأنه يعرفهم.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

٢٠ حزيران

هناك نهر آخر يصب في الروزيتا من الجهة اليسرى، ويدعى سوسبيرو،

وهو يبدو موحشاً ولا يقيم احد على طول مجراه. ابلغنا بولينو في الصباح، وهو من شبان المزرعة الواقعة في المنطقة الواطئة، أن الأشخاص الثلاثة لم يكونوا تجاراً وان احدهم ضابط برتبة ملازم في الجيش. وقد حصل على هذه المعلومات من ابنه كاليكستو وخطيبته في الوقت نفسه. توجه إنتي في الحال إلى المزرعة مصطحباً معه بعض الرجال وانذرهم بتسليم الضابط قبل الساعة التاسعة وإلاّ فإنهم سوف يعدمون جميعاً رمياً بالرصاص. خرج الرجل مسرعاً وهو ينتحب وقال إنه ضابط صف في الشرطة ارسِل في مهمة استطلاعية مع احد القناصة ومع معلم بوستريو فاليه الذي تطوع للعمل. وقال أيضاً إن قائدهم ضابط برتبة كولونيل وهو يقيم في القرية المذكورة مع ٦٠ رجلاً ومهمتهم القيام برحلة طويلة خلال اربعة أيام واستكشاف مناطق واسعة تمتد على طول الأوسكورا. فكرنا بقتلهم في بادىء الأمر، ولكنني قررت بعد ذلك إطلاق سراحهم بعد أن وجهت إليهم تحذيراً شديداً بوجوب التقيد بشرائع الحرب. تبين لي أن انيسيتو قد ترك مركز الحراسة فترة قصيرة لإحضار خوليو وأنهم تسللوا في هذه اللحظة بالذات.. وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد انيسيتو ولويس نائمين في مركز الحراسة. عاقبتهم جميعاً بتعيينهم مساعدين للطباخ طيلة أسبوع كامل وبحرمانهم وجبة لحم الخنزير طيلة اليوم وكذلك من اللحوم المشوية والبطاطا المقلية... وحددت لهم كمية الحساء التي يمكنهم تناولها. أما الأسرى فقد قررنا تجريدهم من جميع حاجياتهم.

٢١ حزيران

العجوز

بعد يوم كامل من اقتلاع أسنان المرضى... خلدت فيه اسم فيرناندو ساكا مويلاس (الياس) شاكو، اغلقت غرفة العيادة، وانطلقنا بعد الظهر، ومشينا أكثر من ساعة كاملة. امتطيت ظهر البغل للمرة الأولى منذ اندلاع هذه الحرب. أما الأسرى فقد ساقهم الرجال خلال ساعة كاملة على طريق موسكيرا وجرّدوهم من كافة حاجياتهم بما فيها ساعاتهم اليدوية وصنادلهم القروية. وكنا ننوي أخذ كاليكستو، المختار دليلاً لنا مع بولينو ولكنه كان مريضاً أو متظاهراً بالمرض فتركناه هناك بعد تحذيره بشدة،

ولكن ذلك لن يجدي شيئاً على الارجح. تطوع بولينو للذهاب إلى كوشابمبا ونقل رسالتي. سنسلمه رسالة إلى زوجة إنتي ورسالة بالشيفرة لمانيلا بالإضافة إلى بلاغاتنا الاربعة. والبلاغ الاخير يشرح تركيب مجموعتنا المقاتلة ويكذب موت إنتي، إنه ()[1]. سنرى الآن إذا كان بإمكاننا تجديد الاتصالات بالمدينة. وقد تظاهر بولينو أمام الآخرين في المزرعة أنه جاء معنا مرغماً وبصفته اسيراً.

الإرتفاع: ٧٥٠ متراً.

٢٢ حزيران

سرنا بفعالية طيلة ساعات كاملة مخلفين وراءنا الاوسكورا أو موروكوس حتى وصلنا إلى نبع ماء يدعى باسيونيس. نظرنا إلى الخارطة فإذا الدلائل تشير إلى أننا أصبحنا عن مسافة ستة فراسخ من فلوريدا أو من أول مكان مأهول وأعني به (بيراي) حيث يقيم صهر بولينو ولكنه لا يعرف الطريق إلى بيته. وكنا ننوي مواصلة المسير في ضوء القمر، ولكننا وجدنا ان ذلك لا يستحق المجازفة بسبب اقترابنا من الأماكن المأهولة.

٢٣ حزيران

لم نمشِ سوى ساعة فعلية واحدة. فقدنا أثر الطريق وقضينا طيلة الصباح، وقسطاً من بعد الظهر، في البحث عنه، وحين وجدناه كرسنا بقية الوقت لتمهيده لمسيرة الغد. لم تكن ليلة السان ـ جان باردة كما كنا نتوقع وكما يتناقله الناس عن برودتها...

الإرتفاع: ١٠٥٠ متراً.

بدأ مرض الربو يهددني بشكل خطير، وانا لا أملك في جعبتي إلاّ القليل من الادوية.

٢٤ حزيران

قطعنا مسافة ١٢ كيلومتراً في أربع ساعات فعلية. كان الطريق صالحاً وواضحاً في بعض الأماكن ولكنه يختفي فجاة ويضيع فنجدّ في البحث عنه. نزلنا منحدراً شديد الوعورة متتبعين آثار رعاة مروا فيه مع مواشيهم

---

(١) فراغ في الاصل.

واقمنا مخيمنا بقرب نبع ماء ينحدر من جبل (دوران). أوردت الإذاعات بعض الانباء عن النضال القائم في المناجم. إزدادت حدة الربو الذي أعاني منه.

الإرتفاع: ١٢٠٠ متر.

٢٥ حزيران

واصلنا المسير في الطريق الذي شقه الرعاة ولكننا لم نستطع اللحاق بهم. وعند الفجر رأينا مرجاً تلتهب فيه النيران والطائرات تحلق فوق المنطقة. وقد تساءلنا عما إذا كان هناك صلة وارتباط بين هاتين الحادثتين. تابعنا طريقنا ووصلنا إلى بيراي حيث تقيم أخت بولينو. ووجدنا في هذا المكان ثلاثة منازل من بينها منزل مهجور وآخر خال من السكان، أما الثالث فقد كان يخص أخت بولينو وأطفالها الأربعة وكان الزوج غائباً عن الدار، إذ خرج مع جاره بانياغا إلى فلوريدا. كان كل شيء يوحي بالطمانينة والهدوء. وعلى مسافة كيلومتر واحد من هذا المكان كانت تقيم ابنة لبانياغا وقد اخترنا منزلها لقضاء الليل. إشترينا عجلاً وذبحناه في الحال وعهد إلى كوكو وخوليو وكامبا وليون بالتوجه إلى فلوريدا لابتياع بعض الحاجيات ولكن الجيش كان منتشراً في المدينة. وكان هناك ٥٠ جندياً ومن المتوقع أن يزداد هذا العدد حتى يصل إلى ١٢٠ ـ ١٣٠ جندياً.

تبين أن صاحب المنزل الذي نقيم فيه رجل عجوز يدعى فيلنيلون كوكا.

تحدثت الإذاعة الارجنتينية عن سقوط ٨٧ قتيلاً بين أفراد الجيش.. أما البوليفيون فإنهم يخفون الرقم الحقيقي لقتلاهم (سيغلو). ربوي في ازدياد وهو الآن يمنعني عن النوم.

الأرتفاع: ٧٨٠ متراً.

٢٦ حزيران

قضيت يوماً أسود. كان الهدوء يسود كل شيء، وكنت قد أرسلت خمسة رجال ليحلوا محل أولئك الذين يرابطون في الكمين على طريق فلوريدا عندما دوّت فجأة طلقات نارية. توجهنا سريعاً إلى المصدر على ظهور الخيل، ووجدنا انفسنا أمام مشهد غريب: كانت جثث أربعة جنود

ملقاة على رمال النهر وتحت أشعة الشمس، وسط السكينة التامة. لم يكن بإمكاننا انتزاع أسلحتهم لأننا كنا نجهل موقع العدو وكانت الساعة تشير إلى الخامسة فانتظرنا هبوط الليل حتى نقوم بالمهمة، وفجأة أبلغنا ميغيل أنه سمع صوت أغصان تتكسر على شماله. توجه انطونيو وباشو نحو المكان المعين ومعهما أمر بعدم إطلاق النار قبل التحقق من وجود العدو. وما هي إلاّ دقائق معدودة حتى تُبودِل إطلاق الرصاص من الجانبين وبشكل شامل هذه المرة-أصدرت أمراً بالانسحاب يقيناً مني أن الحظ لن يسعفنا في مثل هذه الشروط. تأخر الإنسحاب وجاءني نبأ سقوط جريحين: بومبو وقد أصيب في ساقه وتوما في بطنه. نقلناهما بسرعة إلى البيت لإخراج الرصاصتين منهما بما نملكه من وسائل. كان جرح بومبو طفيفاً ولا محذور منه سوى التأخير الذي سببه لنا. أما الرصاصة التي أصابت توما فقد مزقت كبده واخترقت الأمعاء فتوفي أثناء إجراء العملية. لقد فقدت بموته رفيقي الذي لازمني طيلة هذه السنوات الأخيرة. تحدّى إخلاصه كل تجربة ومحنة ويخيل إليّ أنني فقدت ابناً لي. وحين سقط يتخبط في دمائه طلب ان تسلّم ساعته إليّ ولما كان الرفاق منهمكين في إسعافه ولم يلبوا رغبته حالاً فقد انتزعها بنفسه وسلمها لارتورو. إن هذه اللفتة من جانبه تجسّد رغبته الدفينة في أن أرسل ساعته إلى ابنه، ذكرى من أب لم يعرفه بعد، وذلك على غرار ما كنت افعله بالنسبة لجميع الرفاق الذين سقطوا في ساحة القتال. سأحملها في معصمي طيلة الحرب. وقد نقلنا الجثة على الجواد لندفنها في مكان بعيد عن البيت. أوقفنا جاسوسين جديدين من سلاح القنّاصة احدهما ضابط برتبة ملازم اول. وقد وبخناهما بشدة ثم أطلقنا سراحهما بعد تجريدهما من ملابسهما.. غير أن رجالي بالغوا في تفسير الأمر الصادر إليهم فلم يتركوا على جسديهما سوى السروال. غادرنا المنطقة ومعنا ٧ جياد.

٢٧ حزيران

بعد أن انتهينا من تلك المهمة المؤلمة وأعني بها دفن توما، استأنفنا المسير ووصلنا في منتصف النهار إلى تيجيريا الحقيقية. وخرجت الطليعة في الساعة الثانية في رحلة لمسافة ١٥ كيلو متراً... أما نحن فقد تابعنا طريقنا في الساعة الثانية والنصف. كانت الرحلة طويلة بالنسبة للفريق

الاخير. فقد فاجأهم الليل واضطروا إلى انتظار طلوع القمر، ووصلوا اخيراً في الساعة الثانية والنصف إلى باليزا حيث كان يقيم ادلاّؤنا.

الإرتفاع: ٨٥٠ متراً.

٢٨ حزيران

أعدنا جوادين إلى صاحب البيت في تيجيريا ليوصلهما إلى بانياغا بعد أن تبين أنه حفيد العجوز. وجدنا دليلاً لقاء ٤٠ دولاراً وقد عرض علينا أن يقودنا إلى منعطف الطريق الذي يتجه إلى بيت دون لوكاس ولكننا توقفنا قبل ذلك أمام بيت يتوفر فيه الماء. إنطلقنا في ساعة متاخرة ولكن مورو وريكاردو تخلّفا كثيراً ولم أتمكن من سماع الاخبار. قطعنا معدل كيلو متر واحد في الساعة. جاء في الانباء أن الجيش (أو إحدى إذاعاته) قد كشف النقاب عن وقوع ثلاثة قتلى وجريحين اثناء صدام مع المحاربين في منطقة الموسكيرا. إن هذا البلاغ يشير بكل تاكيد إلى معركتنا الاخيرة ولكننا راينا بأم اعيننا جثث أربعة من الجنود... اللهم إلاّ إذا كان أحدهم قد تظاهر بالموت وبطريقة عجيبة حقاً.

وجدنا بيتاً مهجوراً لرجل يدعى زيا ولكن بعض الابقار كانت تسرح في جواره بينما كانت عجولها في الحظيرة.

الإرتفاع: ١١٥٠ متراً.

٢٩ حزيران

اجريت حديثاً جدياً مع مورو وريكاردو بسبب تاخرهما، وقد اتجه القسط الأوفر منه لريكاردو. خرج كوكو وداريو وهما من رجال الطليعة، مصطحبين مورو، لنقل متاعنا على ظهور الخيل. وقد احتفظ ناتو بمتاعه لانه المسؤول عن كافة الدواب. ثم نقل متاعي ومتاع بومبو على أحد البغال واستطاع بومبو ان يصل بسهولة على ظهر فرس طيِّعة وقد بات ليلته في بيت دون لوكاس الذي يقيم في أعلى الجبل، على ارتفاع ١٨٠٠ متر مع ابنتيه وإحداهما تعاني من تضخم الغدة الدرقية. كان هناك ايضاً بيتان آخران، أحدهما خال تقريباً ويعود لعامل موسمي والثاني حسن الاثاث. كانت الليلة ماطرة وباردة... وإذا صحت المعلومات التي جمعناها فإننا نستطيع الوصول إلى بارشيلون في نصف يوم. لكن فلاحين وصلا مؤخراً من هذا الطريق قالا لنا إنه سيء للغاية. أما صاحب البيت فله رأي مخالف

وهو يدّعي أن بالإمكان تمهيده بسهولة. جاء الفلاحون لرؤية الشخص الذي نزل في البيت الآخر فاحتُجزوا كمشبوهين.

تحدثت أثناء الطريق إلى فرقتنا الصغيرة التي باتت تتألف من ٢٤ محارباً وذكرت للرجال مثالاً آخر، وأعني به مثال ألشينو وشرحت لهم ما تمثله الخسائر، وما يمثل بالنسبة لي شخصياً موت توما الذي كان بمثابة ابن لي. وقد انتقدت الاخلال بالانضباط وبطء السير ووعدتهم بتزويدهم بمعلومات إضافية حتى لا يتكرر ما حدث في الكمائن الماضية وأعني إزهاق أرواح دونما مبرر لأن قواعد الحرب لم تراع.

٣٠ حزيران

زودنا لوكاس العجوز ببعض المعلومات عن جيرانه. تبين منها أن الجيش قد مرّ في هذه المنطقة لتهيئة الجو. قال إن أحدهم، ويدعى أندولفو دياز، هو السكرتير العام للنقابة الفلاحية في المنطقة وهي نقابة مخلصة لباريانتوس... أما الآخر فهو ثرثار عجوز أطلق سراحه بعد أن أصيب بالشلل.. وهناك ثالث، جبان على حد قول رفاقه، وقد «يتكلم» ليجنب نفسه المشاكل. وعد العجوز بأن يرافقنا ويساعدنا في فتح طريق نحو باشيلون. وأما الفلاحان الآخران فسوف يلحقان بنا. قضينا اليوم في الراحة، وكان الطقس ماطراً وعاصفاً.

أما على المستوى السياسي، فيعتبر تصريح أوفاندو الذي يشير إلى وجودي هنا، أهم حدث في الوقت الحاضر. قال إن الجيش يواجه محاربين مدربين تماماً على حرب العصابات يعدون في صفوفهم قادة من الفييتكونغ أوقعوا الهزيمة بأفضل ألوية الجيش الأمريكي ـ الشمالي. واستند في مزاعمه إلى تصريحات دوبريه الذي تكلم أكثر مما يجب، كما يبدو، على الرغم من أننا لا نستطيع أن نقدر قيمة هذه التصريحات ولا الظروف التي دفعته لقول ما ذكر على لسانه. سرت إشاعة مفادها أن لورو قد قتل وهم يدعون أنني حرضت عمال المناجم على الثورة، وأن ذلك كله كان جزءاً لا يتجزأ من خطة نسقت بدقة مع الحرب القائمة في ناكاهوازو. الأمور تسير هنا، على الوجه المناسب، وقد انتهى «فيرناندو ساكا مويلاس» من أداء مهمته.

تلقينا رسالة من كوبا يشرحون فيها مدى ضعف الحركة الثورية

المسلحة في بيرو وافتقارها للأسلحة والرجال رغم إنفاق ثروة طائلة عليها... ويتحدثون في الرسالة عن منظمة يقال إنها ثورية يقودها باز ايستانسورو والكولونيل سيون والمسمى روبن خوليو، وهو ثري كبير، ومحرض في منطقة باندو. يبدو أنهم الآن في غوابافاميرين () إنه ().

التحليل الشهري

النقاط السلبية هي: استحالة الاتصال بجواكين والخسائر المتتالية في الرجال... لأن كل رجل يموت بمثابة هزيمة لنا رغم جهل الجيش حقيقة هذا الأمر. لقد قدنا بعض المعارك الصغيرة أثناء الشهر المنصرم وأوقعنا في صفوف الجيش أربعة قتلى وثلاثة جرحى حسب بلاغاته الرسمية.

وتلك هي أهم الخصائص:

١) النقص في الاتحاد لا يزال كلياً وهذا يعني أننا لم نستطع أن نزيد من عدد قواتنا البالغة ٢٤ رجلاً، في الوقت الذي نعاني فيه من شخص جريح (بومبو) ومن تباطؤ في الحركة.

٢) إن اتخاذ الفلاحين موقف عدم الالتزام ما يزال مستمراً. ونحن ندور في حلقة مفرغة. ولكي نتمكن من دفعهم إلى الالتزام بالحرب الثورية، علينا أن نمارس نشاطنا بشكل مستمر في المناطق المأهولة، وهذا ما يتطلب عدداً أكبر من الرجال المحاربين.

٣) إن أسطورة الحرب الثورية تتخذ أبعاداً خيالية. فقد تحولنا إلى رجال فوق مستوى البشر لا يمكن قهرهم.

٤) ليس هناك أيّ اتصال بالحزب رغم أننا قمنا بمحاولة بوساطة بولينو قد تعطي ثمارها اليانعة.

٥) لا يزال دوبريه يحتل مركز الصدارة في الأخبار، ولكن قضيته ربطت بشخصي، وقد غدوت في نظر العالم قائد هذه الحركة. سنرى نتائج هذه المناورة من خلال ردود فعل الحكومة: وهل ستكون إيجابية أم سلبية بالنسبة لنا.

٦) إن معنويات الرجال قوية وتصميمهم على النضال يتعاظم، والكوبيون جميعهم قدوة للآخرين في ساحات القتال وليس هناك من الضعفاء سوى بوليفيين أو ثلاثة.

٧) ما يزال الجيش عاجزاً عن تحقيق مهمته العسكرية، ولكنه بدأ يمارس نشاطاً مستمراً في أوساط الفلاحين. يجب أن نحتاط له تماماً لأنه يحوّل جميع أعضاء الأمة إلى وشاة، سواء بتأثير الخوف فيهم أو بخداعهم وتضليلهم عن أهدافنا الحقيقية.

٨) إن المجازر التي وقعت في المناجم تعطينا فكرة جليّة عن الوضع السائد فإذا ما توصلنا إلى توزيع بياننا الموجه إلى الشعب فإن ذلك سيساهم كثيراً في توضيح الموقف.

إن مهمتنا العاجلة تتمثّل في إعادة الاتصال مع لاباز وتجديد معداتنا العسكرية والطبية وتعبئة ٥٠ إلى ١٠٠ رجل في المدينة رغم أن عدد المقاتلين الذين يشتركون فعلياً في الحرب لا يتجاوز ١٠ إلى ٢٥ شخصاً.

تموز ١٩٦٧

١ تموز

خرجنا قبل أن ترتفع الشمس في السماء، لنتجه إلى برشيلون أو بارسيونا كما ورد في الخارطة، وساعدنا العجوز لوكاس على تمهيد الطريق الذي بقي مع ذلك وعراً وزَلِقاً. خرج رجال الطليعة في الصباح. أما نحن فقد لحقنا بهم ساعة الظهيرة وقضينا طيلة ما بعد الظهر في نزول الوادي وصعوده من الجهة الأخرى. ونمنا في أول مزرعة صادفناها في طريقنا، بينما كان رجال الطليعة يتابعون المسير. وجدنا في المزرعة ثلاثة أطفال خجولين للغاية ويبدو أنهم ينتسبون إلى أسرة بيبز.

أقر بارياننتوس مبدأ وجودي في بوليفيا في حديث صحفي له، ولكنه تنبأ بمصرعي في الأيام المقبلة المعدودة. وقد انتهز هذه المناسبة ليثرثر كعادته ويطلق حماقاته المعروفة فوصفنا بالفئران والثعابين. وأعلن مرة أخرى عن عزمه على إنزال العقوبة الصارمة بدوبريه.

الإرتفاع: ١٥٥٠ متراً.

أوقفنا فلاحاً يدعى اندريس كوكا وقد عثرنا عليه في الطريق. كما سقنا أمامنا الفلاحين الآخرين: روك وابنه بيدرو.

٢ تموز

إلتحقنا صباحاً برجال الطليعة الذين خيموا في أعلى المرتفع، وحلّوا في بيت دون نيكوميديس أوتاجا حيث توجد شجرة برتقال. إبتعنا، من هناك، بعض السجائر وكان البيت الرئيسي قائماً في الأسفل، على (البيوجيرا)، فتوجهنا إليه وملأنا بطوننا الجائعة. يجري البيوجيرا في وادٍ صغير وعر الجانبين ولا يمكن إقتفاء أثره سيراً على الأقدام إلاّ في السافلة وباتجاه أنغوستورا. يقع مخرج الوادي في الجونتا وهو مكان آخر على النهر نفسه ولكن لا بدّ للوصول إليه من اجتياز هضبة شبه مرتفعة. ويعتبر هذا المكان هاماً وهو يشكّل ملتقى عدة طرق كما أن ارتفاعه لا يتجاوز ٩٥٠ متراً، ومناخه معتدل للغاية... فهنا يختفي قراد الخراف ليحل محله «الماريغي». تتألف القرية هنا من مسكن (اتيغا) ومن مساكن بعض أبنائه وهم يملكون حقلاً صغيراً زرع بأشجار البن وفيه يعمل من وقت لآخر بعض معارفهم المقيمين في الجوار. وكان يعمل فيه عندئذ ستة فلاحين من ضواحي سان جوان.

لم تبرأ ساق بومبو بالسرعة الكافية وسبب ذلك تلك الرحلات المتواصلة على ظهور الخيل.. ولكن نحمد الله على أن ليس من مضاعفات في الوقت الحاضر.

٣ تموز

بقينا في المخيم طيلة النهار كي نتيح أطول فترة ممكنة من الراحة لساق بومبو. وقد قمنا بتسديد أثمان مشترياتنا بأسعار مرتفعة مما أدى إلى تجاذب الفلاحين بين الخوف والمصلحة إلى تقديم ما نحتاج إليه. أخذت بعض الصور، استرعت انتباه جميع الرفاق. وسنرى فيما بعد كيف نعمل على تحميضها وتكبيرها وتوزيعها: ثلاثة مشاكل جديدة. حلقت طائرة بعد الظهر، وتكلم أحدهم في المساء عن خطر القصف الليلي، مما حدا بجميع السكان إلى مغادرة المنطقة في الليلة نفسها ولكننا ثنيناهم عن عزمهم بعد أن شرحنا لهم أنهم لا يتعرضون لأي خطر. لا يزال الربو يضيق عليّ الخناق.

٤ تموز

عبرنا ببطء الفرسخين اللذين يفصلاننا عن لاخونتا، التي وصلناها في الساعة ١٥,٣٠. هنا يعيش فلاح اسمه مانويل. كاريُو استقبلنا برعب مخيف. أكلنا جيداً، كعادتنا في الأيام الأخيرة، ونمنا في كوخ مهجور. أصابني الربو بشدة، ولأول مرة يمنعني من النوم.

منذ يومين، مرَّ جنديان، آتيان من الفيلو ومتوجهان نحو برميخو.

٥ تموز

تهرب العائلات، مع ممتلكاتها، من المنطقة خوفاً من انتقام الجيش. نحن نسير وسط البقر والخنازير والدجاج والناس حتى لاغونياس، تاركين نهر لابيوخيرا لنسلك بمحاذاة رافده، اللاغونياس، على مسافة كيلومتر واحد. مرشدنا، فلاح تعيس، اسمه رامون، عائلته تخاف من هذه المنطقة خوفاً خرافياً. نمنا على جانب الطريق. خلال سيرنا صادفنا شخصاً من ساندوفال مورون يعيش في سان لويس وهو أكثر وعياً على ما يبدو العلو: ١١٦٠ متراً.

٦ تموز

إنطلقنا في ساعة مبكرة باتجاه بينا كولورادو واجتزنا في طريقنا منطقة ماهولة بالسكان الذين استقبلونا بذعر شديد. ووصلنا عند العصر إلى منطقة تشرف على باليرمو مرتفعة بمعدل ٦٠٠ متر ثم بدأنا النزول نحو القرية حيث اشترينا حاجياتنا من حانوت صغير. كان الليل قد أسدل ستاره حين انتهى بنا المطاف إلى الطريق وهناك وجدنا بيتاً منعزلاً لأرملة عجوز. لم تنجح الطليعة المترددة في احتلاله وكانت الخطة تقضي بالاستيلاء على إحدى السيارات القادمة من سومايباتا والاستعلام عن الأوضاع السائدة فيها والوصول إليها مع سائق العربة. وتقضي بعد ذلك بمهاجمة «الديكو» وشراء بعض الأدوية من الصيدلية والاستيلاء على المستشفى وابتياع بعض المعلبات والحلويات ثم مغادرة المكان في الحال.

إضطررنا إلى تغيير خطتنا نظراً لعدم قدوم أية سيارة من سومايباتا ثم لأننا علمنا بأن السيارات لا تتوقف هناك... وبعبارة أخرى، لقد كان الطريق مفتوحاً. عهدت إلى ريكاردو وكوكو وباشو وانيسيتو بتنفيذ

العملية... فأوقفوا شاحنة قادمة من سانتاكروز، بدون صعوبة تذكر، ولكن ماحدث هو أن شاحنة اخرى قد وصلت تواً وتوقفت تضامناً مع الأولى فحجزت بدورها. ويبدو أن الرفاق قد اضطروا للتفاوض طويلاً مع سيدة كانت في الشاحنة مع ابنتها بعد أن رفضت إنزال ابنتها. توقفت شاحنة ثالثة لترى حقيقة ما يجري ثم توقفت رابعة أمام تردد الرفاق... وسُدَّ الطريق. تمّ ترتيب الأمور بعد ذلك: فاصطفت الشاحنات الأربع على جانب الطريق وردَّ أحد السائقين على أسئلة الفضوليين قائلاً إنهم قد توقفوا لأخذ قسط من الراحة. خرج رجالنا في إحدى الشاحنات ووصلوا إلى سومايباتا وأسروا اثنين من القناصة ثم الضابط الملازم فاكافلور، رئيس المخفر. وحصلوا على كلمة السر من الرقيب، واحتلوا المخفر، وبداخله عشرة جنود في هجوم خاطف وبعد تبادل نيران عنيفة مع جندي أبى إلاّ أن يقاوم. وقد نجحوا في بيع ٥ بنادق موزر ومدفع رشاش من عيار ب ـ ٣٠، كما أحضروا معهم عشرة أسرى ثم تركوهم عراة تماماً على مسافة كيلومتر واحد من سومايباتا. كانت العملية فاشلة على المستوى التمويني: فقد خدع الشينو بكلام باشو وخوليو ولم يشتر شيئاً مفيداً. ولم أجد حاجتي بين الأدوية التي أحضروها كما أن هذه الأدوية بالذات ليست ضرورية للمحاربين فهناك ما هو أكثر منها ضرورة. وقد جرت العملية أمام جميع السكان وأمام جميع المسافرين فانتقلت أخبارها بسرعة البارود. وحين أشارت عقارب الساعة إلى الثانية كنا قد ابتعدنا مع غنائمنا.

٧ تموز

مشينا بدون توقف إلى أن وصلنا إلى حقل مزروع بقصب السكر حيث استقبلنا أحد الرجال بحفاوة، في المرة الماضية، على مسافة فرسخ من بيت رامون. كان الخوف بادياً على السكان وقد رضي الرجل بكل لطف أن يبيعنا خنزيراً ولكنه حذرنا من وجود ٢٠٠ جندي في لوس أجوس و١٠٠ جندي في سان خوان وقد حصل على هذه المعلومات من شقيقه الذي زار مؤخراً سان خوان. وقد وددت أن أخلع له بعض الأسنان التي تؤلمه ولكنه فضل ألاّ أفعل ذلك.

إن ربوي يزداد حدة.

٨ تموز

سرنا من البيت القائم في حقول قصب السكر إلى البيوجيرا بحذر شديد ولكن الهدوء كان مخيماً ولم نر اي أثر لجندي. وقال لنا الرجال العائدون من سان جوان إن المدينة خالية من الجنود. كانت تلك ولا شك حيلة من الرجل لإبعادنا عن المنطقة. قطعنا مسافة فرسخين على طول النهر حتى وصلنا إلى البيراي، ومن هنا سرنا مسافة فرسخ آخر إلى أن بلغنا الكهف مع هبوط الظلمة وبذلك أصبحنا على مقربة من فيلو.

قام الطبيب بحقني عدة مرات كي أستطيع مواصلة المسير واضطررت في النهاية إلى استعمال مركب الأدرينالين الذي بلغت فيه نسبة الكولير (٩٠٠/ ١). وإذا ما أخفق بولينو في تحقيق مهمته... فإن علينا أن نعود إلى ناكاهوازو ونحضر الأدوية المناسبة لما أعانيه من الربو.

اصدر الجيش بلاغاً حول العملية الأخيرة اعترف فيه بمقتل رجل واحد... ولا ريب في أنه قتل اثناء تبادل النيران وقيام ريكاردو وكوكو وباشو باحتلال المخفر.

٩ تموز

اضعنا طريقنا في بداية الرحلة. وقضينا الصباح بطوله في البحث عنه. وعند الظهر، سلكنا طريقاً ليس واضحاً كفاية وقد قادنا إلى أعلى ارتفاع بلغناه حتى الآن: ١٨٤٠ متراً... وبعد فترة قصيرة، وصلنا إلى كوخ مهجور، وأمضينا ليلتنا فيه. لم تتوفر لنا أية ضمانة عن سلامة الطريق إلى فيلو.

أعلنت الإذاعة عن توقيع اتفاق من ١٤ نقطة بين عمال كاتاڤي وسيغلو وبين الكوميبول... إنه هزيمة كاملة للكادحين.

١٠ تموز

إنطلقنا في ساعة متاخرة بعد أن امضينا وقتاً من الصباح في البحث عن حصان مفقود وجدناه بعد ذلك. وسلكنا طريقاً غير مطروق على ارتفاع ١٩٠٠ متر. وفي الساعة الثالثة والنصف، وصلنا إلى كوخ مهجور، فقررنا تمضية الليل فيه، ولكننا فوجئنا بعد ذلك باختفاء الطرق. وقد قمنا باستطلاع دروب جانبية ولكن بدون جدوى... كانت في مواجهة مزارع من

المرجح أنها مزارع فيلو.

أعلنت الإذاعة عن وقوع صدام بين الجيش والمحاربين في منطقة ايلدورادو التي لا تظهر على الخارطة والتي تقوم بين ساميبانا وريوغراندي... وجاء في البلاغ العسكري أنهم فقدوا جريحاً بينما فقدنا نحن قتيلين. ومن ناحية أخرى لا تبدو تصريحات دوبريه والبيلادو جيدة فقد اعترفا، بشكل خاص، بأن للحرب الثورية أهدافاً على مستوى القارة كلها... وما كان عليهما إطلاق مثل هذا الكلام.

١١ تموز

يوم ممطر وملبّد بالضباب الكثيف: فقدنا في طريق عودتنا أثر جميع الدروب، وبقينا منفصلين في النهاية عن رجال الطليعة الذين شقوا لأنفسهم طريقاً كان سالكاً من قبل. وقد ذبحنا عجلاً.

١٢ تموز

أمضينا طيلة اليوم في انتظار أخبار ميغيل... ولكن خوليو عاد وحده أثناء هبوط الظلام وقال إنه استطلع جدولاً يجري باتجاه الجنوب. بقينا في مكاننا وآلام الربو تعصرني عصراً.

أعلنت الإذاعة نبأ آخر يبدو صحيحاً في أهم نقطة فيه: فقد تحدثت عن قتال جرى في الإيكيرا سقط خلاله قتيل من جانبنا وحمله الجنود إلى لاغونيلاس. إن الفرح العظيم الذي استقبلت فيه هذه الجثة يدل على وقوع شيء من هذا القبيل.

١٣ تموز

نزلنا في الصباح هضبة وعرة للغاية وزَلِقة بسبب سوء الأحوال الجوية... وقد التقينا بميغيل في الساعة الحادية عشرة والنصف. وكنت قد أرسلت كامبا وباشو لاستطلاع طريق ينحرف عن الطريق الموازي لمجرى الجدول فعادا بعد ساعة وقالا إنهما شاهدا مزارع وبيوتاً وإنهما عثرا على دار مهجورة. إنتقلنا إلى الطريق الجديد وبعد أن تتبعنا مجرى جدول صغير وصلنا إلى بيت منعزل قضينا فيه الليل. وصل صاحبه فيما بعد وأبلغنا أن امرأة (أم مختار المحلة) قد رأتنا وأنها أبلغت ولا شك الجنود الذين يقيمون في قرية فيلو، على بعد فرسخ من هنا. وقد قمنا

بالحراسة طيلة الليل.

١٤ تموز

إنهمر رذاذ ناعم طيلة الليلة المنصرمة، واستمر ايضاً طيلة اليوم، ولكننا قررنا في الظهيرة أن نواصل المسير واستعنّا لذلك بدليلين رغم عويل زوجتيهما وهما: بابلو، صهر المختار وأوريليو مانسيليا، صاحب البيت الذي استضافنا البارحة. إقترح علينا الدليلان أن نتبع طريق بامبا حيث يمكننا أن نسلك طريقاً مُهَّد حديثاً حتى نهر الموسكيرا فقبلنا. وما كدنا نجتاز ٥٠٠ متر تقريباً حتى رأينا جندياً وفلاحاً يسوقان حصاناً محملاً بالطحين ومعهما رسالة إلى ضابط الصف في فيلو من زميله في بامبا حيث يرابط ٣٠ جندياً. قررنا حينئذٍ تغيير اتجاهنا، وقد توغلنا بالفعل في طريق فلوريدا ثم نصبنا مخيمنا بعد ذلك بقليل.

جاء في الأنباء أن الحزبين: الثوري الفلاحي والاشتراكي البوليفي قد انسحبا من جبهة الثورة وان الفلاحين يهددون الآن باريانتوس بعقد تحالف مع الكتائب. إن الحكومة تنهار بسرعة... لو كان معنا الآن ١٠٠ رجل إضافي.

١٥ تموز

قطعنا مسافة قصيرة بسبب سوء الطريق الذي لم يسلك منذ سنوات عديدة. وذبحنا بقرة تخص المختار بنصيحة من أوريليو وتناولنا طعاماً شهياً. وقد بدأت وطأة الربو تخف.

أعلن باريانتوس عن خطة وضعها لتصفيتنا في ساعات معدودة: (خطة سنتيا).

١٦ تموز

إنطلقنا هذا اليوم بخطى بطيئة للغاية نظراً لوعورة الطريق وما تطلّبه تمهيده من جهود.. وقد عانت الدواب كثيراً ولكننا وصلنا في النهاية عند غروب الشمس، إلى وادٍ ضيق، ولا سبيل إلى مرور الخيول فيه بحمولتها. واصل ميغيل المسير مع أربعة من رجاله وناموا منفصلين عنا.

لم تبث الإذاعة اخباراً تستحق الذكر. إنتقلنا الآن إلى ارتفاع ١٦٠٠ متر بقرب «دوران» الذي أصبح إلى شمالنا.

١٧ تموز

ضللنا الطريق وواصلنا المسيرة ببطء، وكنا نأمل الوصول إلى بستان يغصُّ بأشجار البرتقال... تحدث عنه دليلنا ولكننا وجدنا أشجاره يابسة حين بلغنا المكان. أقمنا المخيم، حول نبع ماء صغير، وقد سرنا بالفعل ثلاث ساعات فقط. تحسنت صحتي كثيراً بعد أن زالت معظم أعراض الربو... لا بدّ أن نعثر على الطريق الذي كنا قد سلكناه للوصول إلى بيراي ونحن الآن إلى جانب «دوران».

الإرتفاع: ١٥٦٠ متراً.

١٨ تموز

فقد الدليل أثر الطريق بعد ساعة من المسير، وأعلن أن الأمر قد اختلط عليه، وعثرنا في النهاية على درب قديم مما حدا بميغيل إلى استطلاعه بعد أن فتح لنفسه ممراً، ووصل في النهاية إلى نقطة تصالبه بطريق بيراي. وحين وصلنا إلى جدول صغير بقصد إقامة المخيم، أطلقنا سراح الفلاحين الثلاثة والجندي الشاب بعد تحذيره بالطبع. خرج كوكو مع بابلو وباشو إلى المخبأ أملاً في أن يكون بولينو قد وضع هناك الأشياء المطلوبة. سيعودون مساء الغد إذا جرت الأمور كما نريد. قال الجندي الشاب إنه سوف يترك الجيش.

الإرتفاع: ١٣٠٠ متر.

١٩ تموز

قمنا برحلة صغيرة إلى مخيمنا القديم، وبقينا هناك في انتظار كوكو بعد أن عززنا الحراسة. وصل في الساعة السادسة وقال إنه لم يعثر على شيء أو على أثر لبولينو، كما أن البندقية ما تزال في مكانها. عثر بعكس ذلك على آثار كثيرة لجنود مرّوا في تلك المنطقة كما عثر على آثارهم في جزء من الطريق الذي نحن فيه الآن.

تدل الانباء السياسية على نشوب أزمة شديدة في البلاد لا يعرف أحد إلى اين ستؤدي. وفي الوقت الحاضر، شكلت النقابات الفلاحية في كوشابمبا حزباً سياسياً «ذا اتجاه مسيحي» لمساندة باريانتوس. وطالب هذا الاخير بأن يفسح له المجال «لحكم البلاد مدة أربع سنوات»... إن دعوته هذه

تبدو ضرباً من التوسُّل. أما سيليس ساليناس فقد هدّد المعارضة قائلاً إن وصولنا إلى الحكم سيكلفهم رؤوسهم جميعاً. وهو يدعو إلى الوحدة الوطنية ووضع البلاد كلها على قدم الحرب. إنه يبدو متوسلاً من ناحية وديماغوجياً من ناحية أخرى.. ولعله يهيء نفسه لاستلام السلطة.

٢٠ تموز

سرنا بحذر إلى البيتين الأولين حيث وجدنا أحد أبناء بانياغا وصهر بولينو. قالا إنهما لا يعرفان شيئاً عن مكان الأخير وجل ما يعرفانه أن الجيش يجدّ في أثره لأنه عمل معنا دليلاً. تشير المعلومات التي جمعناها إلى مرور مجموعة قوامها ١٠٠ رجل بعد أسبوع واحد من رحيلنا نحن، وهي في طريقها إلى فلوريدا. ويبدو أن الجيش قد مُني بثلاثة قتلى وجريحين في الكمين. أرسلنا كوكو إلى فلوريدا برفقة كامبا وليون وخوليو لاستطلاع ما يجري فيها وشراء بعض الحاجيات. عاد كوكو في الساعة الرابعة ببعض المؤن مصطحباً معه رجلاً يدعى ميلغار وهو صاحب اثنين من جيادنا وقد وضع نفسه في الحال تحت تصرفنا وقدم لنا تقريراً مفصلاً وخيالياً بعض الشيء... ومما جاء فيه أن جثة توما قد اكتشفت بعد أربعة أيام من سفرنا وقد نهشتها الحيوانات... وأن الجيش لم يتقدم إلا في اليوم التالي للمعركة، وعلى أثر ظهور الضابط عارياً من ثيابه. ويبدو أيضاً أن عملية سومايباتا قد انتشرت بكل تفاصيلها في المنطقة وأنها ضخمت وأثارت استهزاء الفلاحين. عثرنا على غليون توما وبعض الحاجيات التي تم إخفاؤها آنذاك وتعرفنا على ضابط برتبة ميجور يدعى سوبيرنا بدا متعاطفاً معنا أو معجباً بنا، قال إن الجيش فتش بيت كوكا حيث قتل توما، ومن هناك انتقل إلى تيجيريا ثم عاد إلى فلوريدا. وقد فكر كوكو باستخدام هذا الرجل لحمل رسالة يهمنا أمرها ولكنني رأيت أولاً أن أمتحنه من باب الحيطة وأرسله لشراء بعض الأدوية. حدثنا ميلغار عن جماعة دأبت على زيارة المنطقة وتضم امرأة في صفوفها... وقال إنه عرف ذلك من اطلاعه على رسالة كتبها مختار ريوغراندي إلى مختار المنطقة هنا. ولما كان هذا الأخير يقيم في طريق فلوريدا فقد أرسلنا إنتي وكوكو وخويلو للتحدث إليه... فنفى أن تكون لديه أخبار عن جماعات أخرى ولكنه أكد بشكل عام صحة أقوال ميلغار. قضينا ليلة سيئة للغاية بسبب النقص في الماء. جاء في

نشرات الإذاعة ان السلطات المسؤولة قد تعرفت على جثة المحارب الذي قتل وإنه موازيس غيفارا ولكن اوفاندو أبدى حذراً شديداً بهذا الخصوص في حديثه الصحفي، وقد حمّل وزارة الداخلية مسؤولية هذا النبأ. ولا يستبعد أن يكون ذلك كله مجرد دعاية واختراع مخيلة ما.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

٢١ تموز

قضينا يوماً هادئاً وتحدثنا إلى كوكا العجوز عن البقرة التي باعنا إياها بينما كانت ملكاً لشخص غيره. زعم انه لم يتسلّم ثمنها ولكنه رفض، محتجاً بقوة، أن يعترف بأنها لغيره. طلبنا منه ان يسدد ثمنها لصاحبها الأصلي. خرجنا في المساء إلى تيجيريا حيث اشترينا خنزيراً وخبزاً بالسكر. يبدو أن إنتي وبينينيو وأنيسيتو الذين قاموا بالمشتريات... لاقوا حفاوة طيبة.

٢٢ تموز

إنطلقنا في الصباح الباكر ومعنا حمولة ثقيلة من رجال ودواب، وهدفنا تضليل جميع الناس عن حقيقة وجودنا. تركنا الطريق الذي يقود إلى موروكو وسلكنا طريق البحيرة مسافة كيلومتر او كيلو مترين إلى الجنوب. ولكننا ويا للأسف، لم نكن نعرف بقية الطريق مما اضطرنا إلى إرسال رجال الاستطلاع... وقد صادفنا أثناء ذلك مانسيلا وبانياغا الصغير على طرف البحيرة وهما يسوقان الدواب إلى المراعي. وكنا قد أوصيناهما بالتزام الصمت ولكن الموقف اختلف الآن. سرنا قرابة ساعتين ونمنا قليلاً بقرب جدول يتفرع منه طريقان: الأول نحو الجنوب ـ الشرقي... وهو بمحاذاة النهر، والآخر نحو الجنوب ولا يبدو واضح المعالم كالأول.

جاء في أخبار الإذاعة ان زوجة بوستوس (بيلاو) تؤكد أنها رأتني هنا، ولكنها تقول إنها جاءت لغايات أخرى غير تعقب آثاري.

الإرتفاع: ٦٤٠ متراً.

٢٣ تموز

بقينا في المخيم في حين خرج اثنان من رجالنا لاستطلاع الطريقين المحتملين. يقود أولهما إلى ريو سيكو وإلى مكان تنتهي إليه مياه البيراي

حيث لم تتشربها الرمال بعد... أي إلي مكان يقع بين كميننا الذي نصبناه وبين فلوريدا... ويقود الطريق الثاني إلى كوخ مهجور على مسافة ساعتين أو ثلاث من المسير ويمكن التوجُّه منه إلى الروزيتا (على حد قول ميغيل). سنسلك غداً هذا الطريق، لعله أحد الطرق التي تحدث عنها ميلغار إلى كوكو وجوليو.

٢٤ تموز

سرنا نحو ثلاث ساعات في الطريق المكتشف على ارتفاع ٩٤٠ متراً واقمنا مخيمنا بقرب جدول ماء. إن جميع الطرق تتوقف هنا، ولا بد من تكريس يوم الغد للبحث عن افضل مخرج لنا. توجد هناك عدة مزارع مزدهرة مما يدل على أنها مرتبطة بفلوريدا... ولعل هذا المكان هو الموقع المسمى: كانا لونيس. سنحاول أن نفك رموز رسالة طويلة وردت إلينا من مانيلا.

تحدث راوول عن تخريج دفعة من ضباط مدرسة ماكسيموميز وفنَّد ايضاً تعليقات التشيكيين حول مقالي عن «فيتنامات» عديدة. يدعوني الاصدقاء بباكونين الجديد ويرثون للدم المراق، وللدم الذي سيراق في حال وجود ثلاث أو أربع جبهات من نوع فيتنام.

٢٥ تموز

أخلدنا هذا اليوم للراحة. وارسلنا ثلاث مجموعات تتألف كل واحدة منها من رجلين لاستشكاف المنطقة. وكُلف بتنفيذ هذه المهمة كل من كوكو وبينينيو وميغيل. توصل كوكو وبينينيو إلى نفس المكان. يبدو أننا نستطيع من هناك سلوك طريق موروكو. وقال ميغيل إنه واثق من أن الجدول يؤدي إلى الروزيتا، وإننا نستطيع المسير بمحاذاته رغم أننا سنضطر إلى تمهيده احياناً. أشارت الإذاعة إلى عمليتين جديدتين: الأولى في تابيراس، والثانية في سان خوان ديل بوتريرو... يستحيل أن تقوم المجموعة نفسها بهذين العملين... والسؤال المطروح الآن: هل هذه المجموعة موجودة فعلاً أم أن الأحداث غير صحيحة؟

كلف بينينيو وكامبا واوربانو بشق طريق بمحاذاة الجدول وفي الجهة المعاكسة لموروكو بينما أخلدت بقية المجموعة للراحة في المخيم ونصب رجال الوسط كميناً في المؤخرة. لا شيء يستحق الذكر.

تحدثت الإذاعات الأجنبية طويلاً عن أخبار عملية سان خوان ديل بوتريرو وذكرت عدداً من التفاصيل: أسر ١٥ جندياً وضابطاً برتبة كولونيل ثم إطلاق سراحهم بعد تجريدهم من الملابس: إنها تقنيتنا ذاتها. والمكان يقوم على الجانب الآخر من الطريق المعبَّد. كوشابمبا ـ سانتاكروز.

ألقيت في المساء محاضرة قصيرة عن معنى السادس والعشرين من تموز... عن الثورة ضد الحكومات الاستبدادية، والمذاهب الثورية المتحجرة. أشار فيديل إشارةً عابرة إلى بوليفيا في خطابه.

٢٦ تموز

تم تكليف بينينيو وكامبا واوربانو، بفتح طريق على النهر بالاتجاه المعاكس لـ موروكو، وبقي القسم الباقي من المجموعة في المعسكر بينما وسطها نصب كميناً في الجهة الخلفية. لا شيء خاصاً.

نشرت الاذاعات الأجنبية أنباء عملية سان خوان دلبوتريرو مع تفاصيل وافية: أسر خمسة عشر جندياً وعقيداً واحداً، جردوا من سلاحهم ثم أطلق سراحهم. هذه هي طريقتنا. المكان في الطرف الآخر من طريق كوشا بامبا ـ سانتاكروز السالكة.

في المساء، تحدثت قليلاً عن مغزى ٢٦ تموز؛ تمرد ضد الأوليغارشية والعقائد الثورية الجامدة. أشار فيديل في خطابه إلى الوضع في بوليفيا.

٢٧ تموز

كان كل شيء معداً للسفر، وكان رجال الكمين قد تلقوا أمراً بالانسحاب آليا في الساعة الحادية عشرة، حينما وصل ويلي قبيل ذلك، ليعلن لنا أن الجيش موجود هنا. ذهب ويلي نفسه، وكذلك ريكاردو وإنتي وشينو وليون وأوستاكيو للتعرف على مكان العدو ثم نفذوا خطة العملية بالاشتراك مع أنطونيو وارتورو وشاباكو. وقد تمت العملية على الوجه التالي: ظهر ثمانية جنود على القمة وساروا باتجاه الجنوب يتتبعون درباً ضيقاً قديماً ثم عاودوا المسير مطلقين عدة قذائف من مدفع مورتر وملوِّحين ببعض الإشارات بواسطة قطعة من القماش. وقد سمع اسم ميلغار يتردد في بعض الأحيان ولعله الشخص الذي عرفناه في فلوريدا. وبعد استراحة قصيرة، تقدم الجنود الثمانية باتجاه الكمين، وسقط في

الحال أربعة منهم لأن الآخرين كانوا مبتعدين قليلاً. تأكدنا من مقتل ثلاثة منهم أما الرابع فإن لم يكن مقتولاً فهو جريح على كل حال. إنسحبنا من الكمين دون أن نجردهم من أسلحتهم أو معداتهم، فقد بدا لنا ذلك صعباً وفيه بعض المخاطر. توجهنا إلى سافلة الجدول ووصلنا إلى وادٍ صغير آخر حيث نصبنا كميناً جديداً. وقد تقدمت الخيول حتى المكان الذي ينتهي فيه الطريق.

عاودتني آلام الربو ولم يعد لدي من المسكنات سوى النذر اليسير.

الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

٢٨ تموز

أرسلت كوكو وباشو وراوول وانيسيتو لاستطلاع منبع النهر الذي يعتقد أنه السوسبيرو. مشينا قليلاً ونحن نشق طريقنا في وادٍ ضيق الجوانب. ونصبنا المخيم بعيداً عن رجال الطليعة لأن ميغيل قد ابتعد كثيراً عن الخيول التي غرّست حوافرها في الرمال ووجدت صعوبة في متابعة المسير على الحصى.

الإرتفاع: ٧٦٠ متراً.

٢٩ تموز

واصلنا السير في وادٍ ينحدر باتجاه الجنوب ويتضمن مخابىء ملائمة على جانبيه في منطقة غزيرة المياه. وصادفنا بابلو قرابة الساعة الرابعة، فقال لنا إننا وصلنا الآن إلى مقربة من منبع السوسبيرو، وإن الأمور طبيعية وما من جديد. خيل إليّ، في بادىء الأمر، أن هذا الوادي ليس وادي السوسبيرو لأنه يتجه باستمرار نحو الجنوب... ولكنه انحرف في المنعطف الأخير واتجه نحو الغرب ليصب في الروزيتا. وصل رجال المؤخرة في الساعة العاشرة والنصف تقريباً، وقررت حينئذ أن نواصل المسير ونبتعد قدر الإمكان عن منبع النهر ولكن قلبي لم يطاوعني على إلزام الرفاق ببذل جهود إضافية وتجاوز مزرعة بولينو، فاقمنا مخيمنا على جانب الطريق، على مسافة ساعة من منبع السوسبيرو. وفي المساء، أعطيت الكلمة للشينو ليتحدث عن ذكرى استقلال وطنه في الثامن والعشرين من تموز، وقلت لهم بعد ذلك إن مكان المخيم ليس مناسباً وذكرت لهم الأسباب، وأصدرت أمراً بالنهوض في الساعة الخامسة صباحاً، والتوجه إلى مزرعة

بولينو لاحتلالها.

جاء في انباء الإذاعة الكوبية ان كميناً قد نصب للجيش وان بعض جنوده قتلوا وتم إجلاؤهم بطائرة هيليكوبتر... ولم استطع ان اسمع شيئاً آخر لشدة التشويش.

٣٠ تموز

الحّت عليّ آلام الربو ولم يغمض لي جفن طيلة الليل. وحين نهض مورو في الساعة الرابعة والنصف لإعداد القهوة رأى مصباحاً يلمع في النهر فحذّر الرجال فوراً. خرج ميغيل، وكان قد استيقظ ليأخذ دوره في المراقبة، بصحبة مورو لتوقيف القادمين. وسمعت من المطبخ الحوار التالي ـ من هناك؟

ـ فصيلة ترينيداد. ولعلع الرصاص في الحال. عاد ميغيل بعد فترة قصيرة وهو يحمل بندقية م ـ ١ وجعبة ملأى بالذخيرة لجندي جريح وقال لنا إن هناك ٢١ رجلاً يتوجهونْ إلى ابابو وإن عدد الجنود في موروكو يبلغ ١٥٠ عنصراً. لقد أوقعنا بالعدو خسائر أخرى لم نستطع أن نتبيّنها بوضوح وسط الاضطراب والفوضى السائدين. إستغرق منا تحميل الخيول وقتاً طويلاً وقد ضل النيغرو طريقه مع الفأس ومدفع المورتر اللذين غنمهما من جنود العدو. كانت الساعة قد بدأت تشير إلى السادسة... وكان علينا أن نبدأ المسيرة عندما سقطت حمولة بعض الخيول فأضعنا بذلك وقتاً ثميناً، وتعرضنا لنار العدو العنيفة حتى في الممرات الأخيرة. وجدنا شقيقة بولينو في البيت، وقد استقبلتنا بهدوء بالغ وهي تقول لنا: إن رجال موروكو قد أوقفوا جميعهم وإنهم الآن في لاباز.

طلبت من الرجال أن يسرعوا، وخرجت مع بومبو تحت وابل من الرصاص مرة أخرى، إلى وادي النهر حيث ينتهي الطريق وحيث يمكن تنظيم المقاومة. ارسلت ميغيل وكوكو وخوليو لاحتلال المواقع الأمامية بينما قمت بجر الخيول. بقي لي، لتغطية الانسحاب، ٧ رجال من الطليعة و٤ من المؤخرة وكذلك ريكاردو الذي بقي في المؤخرة لتعزيز الدفاع. رابط بينينيو على الجانب الأيمن ومعه داريو وبابلو وكامبا أما الآخرون فقد احتلوا مواقعهم على الجانب الأيسر. وكنت قد أصدرت امراً بالتوقف في أول مكان مناسب عندما جاء كامبا ليقول إن ريكاردو وأنيسيتو قد

وقعا أثناء اجتيازهما النهر. أرسلت أوربانو وناتو وليون مع جوادين وبعثت في طلب ميغيل وخوليو تاركاً كوكو لحراسة المقدمة. إجتاز ميغيل وخوليو النهر بدون تعليمات مسبقة وعاد كامبا بعد قليل ليقول إنه فوجيء مع ميغيل وخوليو وإن الجنود تقدموا كثيراً وإن ميغيل قد تراجع بانتظار التعليمات. صرفت كامبا برفقة أوستاكيو وبقينا أنا وإنتي وبومبو والشينو. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، ارسلت في طلب ميغيل تاركاً خوليو للحراسة، وانسحبت مع مجموعة الرجال والخيول. وحين وصلنا إلى المكان الذي يقوم فيه كوكو بالحراسة، علمنا بأن جميع الناجين قد ظهروا وأن راوول قد مات، وأن ريكاردو وباشو أصيبا بجراح. وقد جرت الأمور على الشكل التالي: إجتاز ريكاردو وانيسيتو النهر دونما حذر، وبشكل مكشوف، فوقع الأول جريحاً. خرج ارتورو وانيسيتو وباشو لنقله بينما قام انطونيو بتغطيتهم بنار كثيفة. ولكن باشو جرح، وأصيب راوول برصاصة قاتلة في الفم. تمت عملية الانسحاب بمشقة وهم يجرُّون الجريحين. ولم يقم ويلي وخاصة شاباكو[1] بمساعدتهم. ثم لحق بهم أوربانو ورجال مجموعته مع الخيول وكذلك بينينيو ورجاله بشكل أصبح فيه الجناح الآخر خالياً مما اتاح للجنود أن يتقدموا ويفاجئوا ميغيل. وصل رجالنا إلى النهر بعد مسيرة مضنية وسط الأعشاب والأشواك الكثيفة ثم انضموا إلينا. أما باشو فقد جاء على ظهر الحصان ولم يستطع ريكاردو أن يرافقه فاضطر الرجال إلى نقله في أرجوحة. أرسلت ميغيل وبابلو وداريو وكوكو وانيسيتو لاحتلال منبع الجدول الأول، على الضفة اليمنى، بينما انصرفنا إلى إسعاف الجرحى. أصيب باشو بجراح طفيفة فقد اخترق الرصاص فخذيه وجلد الخصيتين.. أما ريكاردو فقد أصيب بجروح خطيرة. فقدنا ما بقي لدينا من البلازما بضياع جعبة ويلي. مات ريكاردو في الساعة العاشرة، ودفناه بقرب النهر، في مكان بعيد عن الأنظار، حتى لا يجده الجنود.

٣١ تموز

سرنا في الساعة الرابعة بمحاذاة النهر، وبعد أن اجتزنا طريقاً مختصراً

(١) يظهر في مكان آخر تحت اسم «لويس».

وانحدرنا إلى السافلة دون أن نترك وراءنا أثراً. وصلنا في الصباح إلى الجدول حيث كان ميغيل قد نصب كمينه. يبدو أنه لم يستوعب التعليمات الصادرة وترك وراءه بعض الآثار. قطعنا نحو اربعة كيلومترات باتجاه عالية النهر، ودخلنا إلى الغابات بعد إزالة كل اثر، ثم اقمنا مخيمنا بقرب رافد للجدول. وعند المساء شرحت أخطاء العملية:

١) كان المخيم في مكان غير مناسب. ٢) أسانا استعمال الوقت مما أتاح للآخرين أن يطلقوا علينا نيرانهم. ٣) ثقة مبالغة في النفس أدت إلى جرح ريكاردو، ثم راوول عندما هب لنجدته. ٤) عدم اتخاذ قرار بإنقاذ جميع الحاجيات مما أدّى إلى فقدان ١١ كيساً وادوية ومناظير وبعض الاشياء الاخرى التي تثير الانتباه مثل المسجلة التي تتضمن اشرطتها رسائل مانيلا، وكتاب دوبريه الذي أورد فيه ملاحظاتي بخط يدي وكتاب لتروتسكي.. ولا أود أن اذكر الأهمية السياسية التي تعلقها الحكومة على هذه الغنيمة والثقة التي سيستمدها الجنود من هذه المعركة. قدّرنا أن خسارتهم قتيلان وخمسة جرحى ولكن الروايات المتضاربة تقدم أرقاماً أخرى منها رواية الجيش وتتحدث عن أربعة قتلى واربعة جرحى سقطوا بتاريخ الثامن والعشرين من هذا الشهر... ولكن رواية أخرى من شيلي تتحدث عن ستة جرحى وثلاثة قتلى سقطوا بتاريخ الثلاثين. وقد اذاع الجيش بلاغاً آخر يقول فيه: إن قواته عثرت على جثة ثائر من رجالنا وإن ضابطاً من قواته قد أصبح الآن بمنأى عن الخطر.

لا أستطيع أن أقول شيئاً عن راوول فقد كان منطوياً على نفسه ولم يكن عنصراً محارباً أو نشيطاً في عمله ولكنه كان يهتم دوماً، على ما يبدو، بالمشاكل السياسية رغم أنه لم يكن يطرح أسئلة على الإطلاق. أما ريكاردو فقد كان أكثر الكوبيين بعداً عن الانضباط وأقلهم قدرة على اتخاذ القرار المناسب في حياتنا اليومية... ولكنه كان مقاتلاً عجيباً ورفيقاً قديماً عاش معي مغامرة الحياة أثناء الفشل الأول في الجبهة الثانية في الكونغو، وفي هذا المكان. إنه خسارة فادحة أخرى... نظراً للصفات التي كان يتمتع بها.

أصبحنا الآن ٢٢ رجلاً بينهم جريحان: باشو وبومبو. أما أنا فإن الربو يكاد يمنعني من الحركة.

التحليل الشهري

لا تزال النقاط السلبية للشهر المنصرم قائمة واعني بها: إستحالة الاتصال بجواكين، وبالخارج، وفقدان عدد من الرجال، نحن الآن ٢٢ محارباً من بينهم ثلاثة عجزة (وأنا منهم) وهذا ما يضعف من قدرتنا على الحركة. إصطدمنا بالجيش ثلاث مرات، منها الإستيلاء على سومايباتا، مما أدى إلى مصرع سبعة جنود وجرح عشرة، وهذه الأرقام تقديرية، نظراً لغموض البلاغات. أما نحن فقد فقدنا رجلين وسقط منا جريح واحد. وتلك هي أهم الخصائص:

١) فقدان الاتصال وبشكل مستمر فقداناً تاماً.

٢) عدم وجود متطوعين من بين الفلاحين رغم ظهور بعض الدلائل المشجعة في المنطقة كالحفاوة التي يقابلنا بها الفلاحون المعروفون.

٣) إن اسطورة حرب العصابات تتخذ أبعاداً على مستوى القارة: فاونجانيا يغلق الحدود مثلاً والبيرو يتخذ إحتياطات مشددة.

٤) فشلت محاولة الاتصال عن طريق بولينو.

٥) إن معنويات المحاربين وتجاربهم النضالية تزداد بعد كل معركة، ولكن كامبا وشاباكو ما يزالان ضعيفي الجنان.

٦) ما يزال الجيش مستمراً في أخطائه ولكن هناك وحدات تتمتع بروح قتالية عالية.

٧) تزداد الأزمة السياسية حدة في وسط الحكومة، ولكن الولايات المتحدة تقدم قروضاً صغيرة تشكل في الحقيقة مساعدة كبيرة لبوليفيا وتتيح تهدئة حدة الاستياء الشعبي.

إن المهام العاجلة في المرحلة المقبلة هي: إعادة الاتصال، واستقطاب محاربين جدد، والحصول على الأدوية الضرورية.

آب ١٩٦٧

١ آب

يوم هادىء. خرج ميغيل وكامبا لتمهيد الطريق ففتحا كيلومتراً واحداً فقط نظراً لوعورة الأرض وكثافة النباتات والاعشاب. قتلنا حماراً وحشياً وتقرر توزيع لحمه على خمسة أو ستة ايام. كما حفرنا الخنادق لنصب كمين للجيش إذا تقدم في هذه الناحية. وتقضي الخطة بتسهيل مروره إذا جاء غداً أو بعد غد ولم يكتشف المخيم، ومن ثم نبادر إلى إصلائه ناراً حامية.

الإرتفاع: ٦٥٠ متراً.

٢ آب

يبدو أن الطريق قد مهد في معظمه بفضل جهود بينينيو وبابلو، وقد قطعا المسافة بين المكان الذي وصلا إليه وبين المخيم في مدة ساعتين تقريباً. لم تتحدث الإذاعات عن أخبارنا منذ صدور البلاغ العسكري عن نقل جثة «معادٍ للمجتمع». أنهكتني آلام الربو، وقد استنفدت الحقنة الأخيرة، ولم يبق لدي سوى بعض الحبوب لفترة عشرة أيام فقط.

٣ آب

تبين أن الطريق سيء جداً. وقد أنفق ميغيل وأوربانو ٥٧ دقيقة للعودة إلى المخيم في هذا اليوم. التقدم بطيء للغاية. لا نبأ جديد. بدأ باشو يتماثل للشفاء. أما أنا فإن صحتي تزداد سوءاً: قضيت نهار وليل أمس وأنا أعاني آلاماً شديدة. وأشق ما في الأمر أنني لا أجد حالياً أي مخرج من هذه الأزمة. وقد جرّبت حقنة النوفوكايين في العضل بدون أية نتيجة.

٤ آب

وصل الرجال إلى وادٍ ضيق يتجه نحو الجنوب ـ الغربي ويعتقد أنه يقود إلى الجداول التي تصب في ريو غراندي. تقرر أن يذهب غداً أربعة رجال على دفعتين لتمهيد الطريق، بينما يتسلق ميغيل مرتفعاً يقوم في جوارنا لاستطلاع بعض النقاط البعيدة التي تبدو وكأنها مهجورة. تحسنت صحتي، وهدأت آلام الربو قليلاً.

٥ آب

إنقسم بينينيو وأوربانو وليون إلى فريقين بقصد التقدم، ولكنهم وصلوا إلى جدول يصبُّ في الروزيتا وقد تابعوا اليوم استكشافهم عبر الحقول. خرج ميغيل لتقصُّد المزرعة ولم يعثر عليهما. تناولنا اليوم آخر وجبة من لحم الحمار الوحشي. وسنحاول غداً أن نصطاد بعض الأسماك، كما إننا سنذبح دابة أخرى بعد غد. قررنا أن نواصل المسير غداً إلى أول نبع ماء. عاودتني آلام الربو بشدة وارى نفسي مضطراً، على الرغم من نفوري الشديد من توزُّع الرفاق، إلى إرسال مجموعة تتقدمنا، وقد تطوّع بينينيو وجولي للقيام بهذه المهمة ولا بد أن أتأكد من استعداد ناتو.

٦ آب

نقلنا المخيم، ولكننا لم نمش الساعات الثلاث التي قدرناها، إنما ساعة واحدة وهذا يدل على أننا لا نزال بعيدين عن هدفنا. واصل بينينيو وأوربانو وكامبا وليون تمهيد الطريق، بينما خرج ميغيل وانيسيتو لاستطلاع الجدول الجديد بحدود المكان الذي يصب فيه الروزيتا. وحل المساء ولم يعودا. وهكذا فقد اجتمعنا أنا وإنتي وشاباكو وتحدثنا قليلاً عن هذا اليوم الذي يصادف ذكرى استقلال بوليفيا.

الإرتفاع: ٧٢٠ متراً.

٧ آب

الساعة الحادية عشرة: لم يعودا بعد، واعتقدت أنهما ضلاّ الطريق فاصدرت أمري إلى بينينيو كي يتقدم بحذر شديد باتجاه المكان الذي تصب فيه مياه الجدول في نهر الروزيتا ويحاول هناك أن يعثر على الاتجاه الذي سلكاه... هنا إذا وصلا إلى تلك المنطقة. ولكن «التائهين» ظهرا في الساعة الواحدة، ويبدو أنهما اصطدما ببعض الصعوبات في الطريق فامضيا ليلتهما ولم يتمكنا من بلوغ الروزيتا. لقد عشت في الحقيقة فترة عصيبة من جراء قلقي عليهما. لم نبارح مكاننا ولكن الرجال الذين يمهدون الطريق عثروا على جدول آخر وسوف ننتقل غداً إليه. مات اليوم انسيلمو، الحصان العجوز، ولم يبق لدينا سوى حصان واحد لحمل المتاع. لم تتحسن صحتي وبدأت الأدوية تنفد. سأتخذ قراري بخصوص إرسال مجموعة من الرجال إلى ناكاهوازو.

مرت اليوم تسعة شهور على وصولنا إلى بوليفياوعلى بدء الحرب الثورية.. ومن رجالي الستة الأول مات اثنان وجرح اثنان وفُقد آخر.. وبقيت أنا وحدي أعاني آلام ربو شديد لا أدري كيف أتغلب عليه.

٨ آب

سرنا قرابة ساعة واحدة ولكنها كانت ساعتين بالنسبة لي لأن الفرس الصغيرة قد أنهكها التعب فطعنتها في لحظة معينة بضربة سكين في عنقها وجرحتها جرحاً خطيراً. سيكون مخيمنا الجديد آخر مخيم بجوار الماء إلى أن نصل إلى الروزيتا أو ريو غراندي. أصبح الرجال الذين يمهدون الطريق الآن على مسيرة اربعين دقيقة من مكاننا (٢ ـ ٣ كيلو مترات). أصدرت أمري إلى مجموعة من ثمانية رجال لتنفيذ المهمة التالية: يخرجون غداً باكراً ويسيرون طيلة النهار. وفي اليوم التالي، يعود كامبا بما تجمع لديهم من أنباء وفي اليوم الثالث يعود بابلو وداريو بما جمعاه من أخبار.. بينما يستمر الرجال الخمسة الباقون في طريقهم إلى فارغاس ومن هناك يعود كوكو وانيستو بدورهما لنقل مشاهداتهما وما اكتشفاه من أحداث. أما بينينيو وخوليو وناتو فيواصلون المسير إلى ناكاهوازو سعياً وراء الأدوية

اللازمة لي. وقد طلبت منهم جميعاً أن يتقدموا بحذر شديد تجنباً للوقوع في الكمائن. أما نحن، فسنلحق بهم وقد حددت نقاط الالتقاء: بيت فارغاس أو مكاناً أبعد ـ وهذا يتوقف على مدى سرعتنا ـ يقع بقرب الجدول القائم في مواجهة الكهف، على ريو غراندي أو مازيكوري (هونوراتو) أو ناكاهوازو. وصلتنا أنباء عن تحركات الجيش وعلمنا أن بعض الجنود قد اكتشفوا مستودعاً للأسلحة في أحد مخيماتنا. جمعت شمل الرجال كلهم في المساء وشرحت لهم حقيقة موقفنا. قلت لهم إننا في موقف صعب، إن باشو يتماثل للشفاء بينما تحولت أنا إلى مجرّد نفاية بشرية. إنني بدأت أفقد السيطرة على نفسي، في بعض اللحظات، ولا أدل على ذلك من مثال الفرس الصغيرة التي طعنتها بسكين... وقلت لهم إن الأمور قد تسوى ولكن الأعباء والمخاطر واحدة بالنسبة للجميع... وإن على أولئك الذين يشعرون بعجزهم عن الاستمرار أن يفصحوا عن أنفسهم. وقلت لهم أيضاً: إننا الآن في لحظة تتطلب اتخاذ قرارات حاسمة وإن هذا النوع من النضال يتيح لنا أيضاً أن نصبح رجالاً. فعلى أولئك الذين يشعرون بعجزهم عن بلوغ هاتين المرحلتين أن يعلنوا ذلك ويتخلوا عن النضال. قال الكوبيون جميعهم وكذلك بعض البوليفيين إنهم سيستمرون حتى النهاية، وحذا أوستاكيو حذوهم ولكنه وجه انتقاداً إلى موغانغا الذي يضع متاعه على ظهر البغل بدلاً من تحميل الحطب مما أثار رداً عنيفاً من جانب الأخير. وانتقد خولي مورو وباشو لأسباب مماثلة مما أثار أيضاً رداً قاسياً من جانب باشو. أنهيت النقاش قائلاً إننا اجتمعنا هنا لدراسة مشكلة في غاية الخطورة وأعني بها: هل الرجال مستعدون لخوض المعركة حتى النهاية أم أنهم يفضلون عدم الاستمرار فيها؟... ولم نجتمع لاستعراض خلافات صغيرة أو مشاكل داخلية تسيء إلى عظمة الحرب الثورية في الساعة الحاسمة.

لم أستسغ ملاحظات أوستاكيو وخوليو ولا ردود مورو وباشو... وبكلمة واحدة يجب أن نكون أكثر ثورية وقدوة للآخرين.

٩ آب

خرج المستكشفون الثمانية هذا الصباح، وابتعد الرجال الذين يعملون

في تمهيد الطريق، عن المخيم وبعد ذلك بخمسين دقيقة، أُجريت لي عملية في عقب القدم مما سمح لي باسنادها إلى الارض، ولكنها لا تزال تؤلمني جداً كما أن الحمى لم تفارقني. يبدو ان باشو الآن في صحة جيدة.

الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

١٠ آب

خرج أنطونيو وشاباكو للصيد في المؤخرة ثم عادا بغزال وطاووسة برية ويبدو أنهما قد وصلا إلى المخيم الاول حيث لم يطرأ جديد، واحضرا معهما حمولة من البرتقال. أكلت برتقالتين مما سبب لي في الحال ازمة ربو بسيطة. وفي الساعة الواحدة والنصف وصل كامبا، أحد الرجال الثمانية الذين أرسلتهم، ومعه الاخبار التالية: ناموا البارحة بدون ماء وواصلوا اليوم مسيرهم حتى الساعة التاسعة... ولم يعثروا على اثر للماء وقد تعرّف بينينيو على المنطقة وسوف يتجه إلى الروزيتا بحثاً عن الماء. وأما داريو وبابلو فلن يعودا قبل العثور على الماء.

اصغيت إلى خطاب فيديل الذي يهاجم فيه الأحزاب التقليدية وخاصة حزب فنزويلا... ويبدو أن اصطدامات عنيفة قد وقعت خلف الكواليس. عاد الطبيب إلى إسعاف قدمي وبدأت صحتي تتحسن ولكنني لا استطيع السير بعد. ومع ذلك فلا بد من الانطلاق غداً لتقريب قاعدتنا من الرجال الذين يمهدون الطريق والذين لم يتقدموا أكثر من ٣٥ دقيقة طيلة النهار.

١١ آب

شق الرجال طريقهم ببطء شديد.وصل بابلو وداريو ومعهما مذكرة من بينينيو يقول فيها إنه أصبح على مقربة من الروزيتا ولا بد له من ثلاثة أيام أخرى للوصول إلى بيت فارغاس. خرج بابلو في الساعة الثامنة والربع من نقطة النبع التي قضوا الليل بجوارها وفي الساعة الثالثة تقريباً صادف ميغيل، مما يدل على أننا بعيدون عن بلوغ هدفنا. يبدو أن لحم الطاووسة لا يناسب الربو... فقد سبب لي ازمة صغيرة فأسرعت إلى إعطاء حصتي منه لباشو. سنغير مخيمنا لنقيم بجوار جدول صغير تجف مياهه ظهراً وتتدفق من جديد في منتصف الليل. أمطرت السماء ولكن الطقس ليس بارداً... وبعوض «الماريغي» منتشر بكثرة.

الإرتفاع: ٧٤٠ متراً.

١٢ آب

يوم قاتم. تقدم الرجال الذين يمهدون الطريق بخطى بطيئة. لم يطرأ أي جديد عندنا وبدأت المؤن تنفد. سنذبح غداً حصاناً آخر وندّخر بذلك لحماً لستة أيام. لا يزال ربوي على حاله، وبدرجة مقبولة. قال باريانتوس إن حركتنا الثورية في بداية انهيارها وعاد إلى سيرته القديمة يوجه تهديداته بالتدخُّل ضد كوبا. وكان غبياً كعادته. تحدثت الإذاعة عن قتال جرى في مونتيغودو ونجم عنه مصرع أحد رجالنا: انطونيو فرنانديز وهو من تاراتا. يبدو أن هذا يطابق الاسم الحقيقي لبيدرو الذي هو أيضاً من تاراتا.

١٣ آب

خرج ميغيل أوربانو وليون وكامبو لنصب مخيمهم في نقطة نبع الماء التي اكتشفها بينينيو ثم ليواصلوا طريقهم من هناك. وقد حملوا معهم طعاماً يكفيهم لثلاثة أيام، ويتألف من كمية لحم من حصان باشو.. الذي ذبحناه اليوم. بقي لدينا أربع دواب وتشير الدلائل كلها إلى اننا سنضطر إلى ذبح دابة أخرى قبل أن نصل إلى المناطق المأهولة التي تتوفر فيها الأغذية. سيعود كوكو وانيسيتو غداً إذا جرت الأمور على الوجه المناسب. إصطاد أرتورو طاووستين وقد انتزع الرجال قراراً مني بأكلهما بعد أن نفدت مؤونة الذرة، إن شاباكو يقدم كل يوم أدلة على اختلال عقله... أما باشو فقد تحسنت صحته وتماثل نهائياً للشفاء. ومن جهتي أنا، فقد ازدادت آلام الربو منذ أمس، وأنا ألجأ إلى تهدئتها بالأقراص المسكنة وبمعدل ثلاثة في كل يوم. أما قدمي فهي تتماثل إلى الشفاء.

١٤ آب

يوم أسود. وهو قاتم بالنسبة لنشاطاتنا إذ لم يطرأ أي شيء جديد. ولكننا علمنا في المساء، وبينما كنا نستمع إلى النشرات الإخبارية، بنبأ الاستيلاء على الكهف الذي توجه إليه رجالنا وبتفاصيل جد دقيقة حتى لم يخالجني أي شك في صحتها. لقد حكم عليّ اليوم بمعاناة آلام شديدة (الربو) نظراً لرداءة الأحوال الجوية. ويبدو أنهم قد عثروا أيضاً على وثائق متنوعة وصور. إنها أقسى ضربة وجهت إلينا منذ بدء القتال. ولا بد أن أحدهم قد تكلم فمن هو؟ هذا هو السر.

١٥ آب

ارسلت بابلو منذ الصباح الباكر ليحمل رسالة إلى ميغيل أطلب فيها منه ان يرسل رجلين للبحث عن بينينيو، في حال عدم عودة كوكو وانيسيتو من السفر... ولكنه صادفهما في الطريق وعادوا معاً. أبلغني ميغيل انه سيضطر إلى البقاء في المكان الذي يفاجئه فيه الليل. وطلب مني أن أرسل إليه بعض الماء. بعثت إليه داريو ومعه تحذير بأننا سننطلق غداً وفي ساعة مبكرة مهما كانت الأحوال، ولكنه صادف ليون في طريقه وكان هذا الأخير قد جاء ليعلمنا بأن الطريق قد مُهِّد.

جاء في نبأ عابر لإذاعة سانتاكروز ان الجيش قد أسر رجلين من مجموعة ميوبمبا... ولم يعد يساورني اي شك في أن المجموعة المذكورة، هي مجموعة جواكين وأن هذا الأخير يتعرض ولا بد لمطاردة شديدة من الجيش وخاصة بعد أن تكلم الأسيران. كان الطقس بارداً ومع ذلك فقد قضيت ليلة طيبة، ولكن قدمي ما زالت تؤلمني ولا بد من شق دمل آخر فيها. شفي باشو نهائياً. تحدثت الإذاعات عن صدام آخر وقع في شيوياكو ولم يتكبد فيه الجيش اي خسائر.

١٦ آب

سرنا ثلاث ساعات واربعين دقيقة فعلية. ثم قضينا ساعة من الراحة في طريق صالح نسبياً. ألقت بي البغلة على الأرض حينما غرز طرف عود خشبي في ساقها ولكنني لم أصب بأي أذى.. قدمي تتحسن. إستمر ميغيل وأوربانو وكامبا في تمهيد الطريق ووصلوا إلى روزيتا. وكان على بينينيو ورفاقه أن يصلوا اليوم إلى الكهف وقد حلقت الطائرات مرات عديدة فوق المنطقة. لا أعلم سبب تحليقها لعلها اكتشفت آثاراً تركها رفاقنا بقرب بيت فارغاس او اثر مجموعة متجهة على طول الروزيتا او ريوغراندي.

حذرت رجالي في المساء من خطر العبور، واتخذنا الاحتياطات اللازمة للغد.

الإرتفاع: ٦٠٠ متر.

١٧ آب

انطلقنا في ساعة مبكرة ووصلنا إلى الروزيتا في الساعة التاسعة. وهناك

خُيّل لكوكو أنه سمع عيارين ناريين فنصبنا كميناً وانتظرنا دون أن يطرأ جديد. قطعنا بقية المسافة بخطى بطيئة بعد أن ضللنا طريقنا مرات عديدة، ووصلنا، في النهاية، إلى ريو غراندي في الساعة الرابعة والنصف وهناك أقمنا مخيمنا. كنت أنوي مواصلة الطريق مستعينين بضوء القمر ولكن الرجال كانوا مرهقين كل الارهاق. بقي لنا من لحم الحصان ما يكفي ليومين إذا تعقلنا في الأكل. وبالنسبة لي، لم يتبق من «الموت» ما يكفي إلاّ ليوم واحد. ويبدو اننا سنضطر إلى ذبح دابة أخرى. أعلنت الإذاعة في نشرتها الإخبارية أنها ستقدم وثائق ومستندات عن كهوفنا الأربعة في ناكاهوازو مما يدل على أن كهف القرود قد كشف أيضاً ووقع بين أيدي الجيش. لم أعان كثيراً من آلام الربو بسبب الظروف السائدة التي تستغرق مني كل وقتي.

الإرتفاع: ٦٤٠ متراً (وهذا ما يبدو غير منطقي بالنسبة للبارحة حيث بلغ ارتفاعنا: ٦٠٠ متر).

١٨ آب

بكّرنا في الانطلاق أكثر من العادة، ولكننا اضطررنا إلى اجتياز أربع مواقع نقاط ماء كانت إحداها على درجة كافية من العمق.. كما اضطررنا في بعض الأحيان إلى شق الطرق. ولهذه الأسباب كلها فقد وصلنا إلى الجدول في الساعة الثانية حيث أخذ الرجال المرهقون قسطاً من الراحة. لم نقم بعد ذلك بأي نشاط يذكر، وكانت هناك سحب من البعوض الصغير منتشرة في المنطقة، وقد استمرت درجة الحرارة في الانخفاض أثناء الليل ومالت إلى البرودة.

قال لي إنتي إن كامبا يريد الرحيل لأن ظروفه الصحية لا تساعده على الاستمرار معنا، ثم بالإضافة إلى ذلك لا يستشف ملامح النضال في المستقبل. هذه حالة نموذجية بالطبع تمثل لنا الجبن والخساسة وأعتقد أن السماح له بالانسحاب إجراء جيد من شأنه إدخال دم جديد وروح جديدة على مجموعتنا. ولكنني في الوقت الحاضر، لا أستطيع أن أجيز له الانسحاب لأنه يعرف وجهتنا والطرق التي سنسلكها للإلتحاق بجواكين. سأتحدث إليه غداً وكذلك إلى شاباكو.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

١٩ آب

خرج ميغيل وكوكو وإنتي وأنيسيتو لاستطلاع المنطقة والبحث عن افضل الطرق المؤدية إلى بيت فارغاس حيث ترابط فصيلة كما يبدو. لم يعثر الرجال على شيء جديد، واضطررنا إلى اقتفاء اثر الطريق القديم. توجه أرتورو وشاباكو إلى الصيد وقتلا غزالاً، كما ان أرتورو قتل حيوان «التابير» اثناء قيامه بالحراسة مع اوربانو، ولكنه أطلق عليه سبع رصاصات وأحدث بذلك توتراً في المخيم. كان الحيوان مكتنزاً باللحم وفيه ما يكفينا لاربعة ايام. اما الغزال فقد كان يكفي ليوم واحد ثم إننا بالإضافة إلى ذلك كنا نمتلك بعض الاحتياطي من الفاصولياء والسردين. وبشكل عام، كان مجموع المؤن كافياً لستة أيام... وهذا يعني ان الحصان الأبيض الذي وُضع اسمه في قائمة الذبح، قد يتوصل إلى إنقاذ جلده. تحدثت ما كامبا وابلغته انه لن يستطيع الانسحاب قبل انتهاء مرحلتنا المقبلة واعني بها الالتحاق بجواكين. اما شاباكو فقد صرّح انه لن ينسحب لان ذلك في نظره جبن ولكنه يامل بان يفعل ذلك بعد ستة اشهر أو خلال عام... لم أحرمه من هذا الامل ووعدته بتلبية طلبه وقد تفوّه بكثير من الاقوال المتناقضة. يبدو انه ليس على ما يرام. تفيض الانباء بالحديث عن دوبريه ولا حديث عن المتهمين الآخرين. لم يصلني اي خبر من بينينيو واعتقد انه قد وصل الآن.

لم يتقدم ميغيل وأوربانو المكلفان بتمهيد الطريق كثيراً، وكذلك ويلي وداريو المسؤولان عن «الاشغال العامة» ولهذا فقد قررنا البقاء هنا يوماً آخر. عاد كوكو وإنتي من جولة الصيد بخفي حنين ولكن باكاشو قتل غزالاً وقرداً. اكلت من لحم الغزال، وفي الليل انتابتني نوبة شديدة من الربو. لا يزال الطبيب مريضاً، ويبدو انه مصاب باللومباغو (الم القطن) الذي بلغ حده العام وحوّله إلى إنسان عاجز. لم تصلني أنباء من بينينيو. وانتابتني الهواجس، ولا بد من الاهتمام به منذ هذه اللحظة.

اوردت الإذاعة نبأ وجود مجموعة من المحاربين على بعد ٨٥ كيلو متراً من «سوكر».

٢٠ آب

لم يحصل اي تقدم في عمل الرجلين المكلفين بفتح الطريق ميغيل

وأوربانو، ولا في عمل رجلي الأشغال العامة ويلي وداريو، لذلك قررنا البقاء حيث نحن يوماً آخر. لم يوفق كوكو وإنتي بالصيد، في حين اصطاد شاباكو غزالاً وقرداً. أكلت من لحم الغزال وحصل لي خلال الليل عارض ربو. الطبيب دائماً مريض، ويبدو أنه يشكو من ألم في الظهر يؤثر على حالته العامة ويجعله عاجزاً.

لا أخبار عن بينينيو. ابتداء من الآن يجب الاهتمام بالأمر.

أعلنت الإذاعة عن وجود مغاورين على بعد ٨٥ كيلومتراً من سوكر.

٢١ آب

قضينا يوماً آخر في نفس المكان دون ان نتلقى خبراً من بينينيو ورفاقه. إصطدنا خمسة قرود، قتل أوستاكيو أربعة منها في الصيد، وقتل مورو الخامس في الممر... لا يزال الأخير يشكو من ألم اللومباغو وقد حقناه بالميبيريدن. لن أستطيع الأكل من لحم الغزال لأنه لا يلائم الربو.

٢٢ آب

انطلقنا أخيراً ولكن بعد وقوع حادث أثار البلبلة في المخيم... رأى رجال المراقبة شخصاً على الشاطىء الرملي يبدو أنه يحاول الهرب فانذروا المجموعة كلها وتبين بعد ذلك أنه أوربانو الذي ضلّ طريقه. قمت بتخدير محلي للطبيب حتى يتمكن من السفر، وقد استطاع امتطاء الفرس على الرغم من آلامه ويبدو أنه قد تحسن قليلاً... أما باشو فقد سار على الأقدام.

نصبنا مخيمنا على الضفة اليمنى، وتم تمهيد الطريق في معظمه ولم يبق سوى النذر اليسير حتى نصل إلى بيت فارغاس. لا يزال لدينا من لحم التابير ما يكفي لغد وبعد غد... والمصيبة أننا لن نستطيع القيام بالصيد ابتداء من الغد.

لا أنباء من بينينيو... وقد مضت عشرة أيام على افتراقه عن كوكو.

الإرتفاع: ٥٨٠ متراً.

٢٣ آب

قضينا يوماً مرهقاً للغاية لأننا اضطررنا للمسير بمحاذاة ممر صخري، شديد الوعورة، وقد رفض الحصان الأبيض أن يتابع الطريق فتركناه بعد أن غرّست ساقاه في الوحل ودون أن نجني منه أية فائدة. وصلنا إلى كوخ

صغير للصيادين وعثرنا على آثار تدل على انه مأهول، ونصبنا كميناً في الحال وما لبثت أن وقع فيه رجلان. وقد زعما أنهما جاءا لتفقد أفخاخهما التي تبلغ العشرة في الجوار، وقالا إن الجيش يرابط في بيت فارغاس وفي تاتارندا وكاراغواترندا وايبيتا ويومون وإن صداماً حدث منذ يومين في كاراغوترندا وجرح أثناءه عسكري واحد. ذهبت ظنوني في الحال إلى بينينيو وتصورته وقد داهمه الجوع وطوقه الجنود. قال الرجلان إن من عادة الجيش اصطياد الأسماك غداً وعلى شكل جماعات تتراوح بين عشرة وعشرين رجلاً. تألف العشاء من لحم التابير وبعض الأسماك التي تم اصطيادها بالديناميت. ومن جهتي أكلت رزا ويبدو أنه ناسبني جداً. تحسنت صحة الطبيب قليلاً. جاء في أنباء الإذاعة أن محاكمة دوبريه قد أُجِّلت إلى شهر أيلول.

الإرتفاع: ٥٨٠ متراً.

٢٤ آب

نهض الرجال في الساعة الخامسة والنصف صباحاً، وتوجهنا جميعاً إلى الوادي بقصد تتبع أثره. خرج رجال الطليعة في المقدمة وما كادوا يجتازون بضعة أمتار حتى ظهر من الجانب الآخر ثلاثة فلاحين. استدعيت ميغيل وطلبت من جميع الرفاق اتخاذ مواقعهم في الكمين. وبعد ذلك، أقبل ثمانية جنود باتجاهنا. أصدرت أوامري بالتزام الهدوء إلى حين عبورهم نقطة الماء المواجهة، لنا وبإطلاق النار عليهم حالما يقتربون منا، ولكن الجنود لم يعبروا الماء واكتفوا بجولة قصيرة ثم عادوا من حيث أتوا وكانوا على مرمى من بنادقنا ومع ذلك لم نَصْلِهم نيراننا. زعم الأسرى المدنيون أنهم صيادون بسطاء. أرسلنا ميغيل وأوربانو ومعهما كامبا وداريو وهوغو غوزمان الصياد، لاستطلاع طريق يتجه نحو الغرب ولا نعلم إلى أين يقود. وبقينا نحن في الكمين طيلة النهار. وحين هبوط الليل، عاد الرجال الذين يمهدون الطريق وبرفقتهم الحيوانات التي وقعت في الفخ ومن بينها كوندور (نوع من العقبان) وقط بري متفسخ فالتُهِمَ كل شيء مع بقية التابير. لا يزال عندنا بعض الفاصولياء وما عدا ذلك فليس أمامنا سوى الصيد.

إن كامبا في طريقه الآن لبلوغ أقصى حدود الانهيار المعنوي... إنه

يرتجف حالما يسمع بسيرة الجنود. لا يزال الطبيب يعاني من آلامه وهو يداوي نفسه بالتالامونال. وأنا بدوري ابدو في صحة معقولة ولكنني جائع إلى حد مخيف.

اصدر الجيش بلاغاً يعلن فيه عن اكتشافه لكهف آخر كما يعلن عن إصابة جنديين بجروح طفيفة و«خسائر من جانب المحاربين». وجاء في نبأ لراديو هافانا أن قتالاً جرى في تابيريلاس وسقط فيه جريح من جانب الجيش ولكنه لا يؤكد صحة هذا النبأ.

٢٥ آب

إنقضى اليوم بدون حدوث أي جديد. ونفخ البوق في الساعة الخامسة، وخرج الرجال باكراً لتمهيد الطريق... وصل سبعة جنود على مسافة بضعة أمتار من مواقعنا ولكنهم لم يحاولوا اجتياز الماء واكتفوا بإطلاق بعض العيارات النارية في الهواء لاستدعاء الصيادين، على ما يبدو، سنهاجمهم غداً إذا سنحت لنا الفرصة. لم يتوضح الطريق وأرسل ميغيل أوربانو لأخذ مشورتنا ولكن هذا الأخير لم يحسن إفهامنا وقد وصل في ساعة يستحيل فيها القيام باي عمل. أوردت الإذاعة نبأ اشتباك حدث في جبل هورادو ويبدو أنه من إعداد جواكين. كما أوردت نبأ وجود محاربين على بعد ثلاثة كيلو مترات من كاميري.

٢٦ آب

جرت الأمور على غير ما نريد فقد وصل الرجال السبعة ولكنهم انقسموا إلى فريقين، ذهب خمسة منهم باتجاه أسفل النهر. بينما تهيأ الجنديان الباقيان لعبور الماء... أطلق أنطونيو، وهو المسؤول عن تنفيذ الكمين، النار قبل الأوان وأخطأ هدفه فاتاح ذلك للجنديين أن يوليا الادبار باقصى سرعتهما لطلب النجدة وقد انسحب الرجال الخمسة الآخرون بسرعة أيضاً وهم يقفزون على الأرض، فهاجمهم كل من إنتي وكوكو ولكنهم اختبأوا حالاً خلف الصخور واستطاعوا أن يردوا المهاجمين على أعقابهما. وبينما كنت أتابع عملية المطاردة لاحظت أن رصاصاً ينهمر من رجالنا باتجاه إنتي وكوكو فهرعت مسرعاً استقصي حقيقة الأمر وتبين لي أن أوستاكيو هو الذي كان يطلق الرصاص وأن انطونيو لم ينبئه بشيء. غضبت غضباً شديداً لدرجة أنني فقدت زمام نفسي، وعنفت أنطونيو بكل

قوة. سرنا بخطى بطيئة بسبب حالة الطبيب بينما استعاد الجيش سيطرته على الموقف وتقدم من الجزيرة المواجهة لنا معززاً بعشرين أو ثلاثين جندياً... لم أر أية فائدة تجنى من مواجهته وقد يكون خسر جريحين على الأكثر.. لقد تميز كوكو وإنتي بقدرتهما على اتخاذ القرار المناسب في اللحظة الحاسمة. جرت الأمور على ما يرام حتى لحظة انهيار الطبيب، مما ادى إلى تباطوء المسيرة. توقفنا في الساعة السادسة والنصف دون ان نلحق بميغيل على الرغم من انه لا يبعد عنا سوى أمتار معدودة، وقد اتصل بنا فوراً. أما مورو فقد بقي في أحد الوديان بعد أن عجز عن صعود القسم الاخير. فنمنا هكذا مفترقين عن بعضنا، ومنقسمين إلى ثلاث مجموعات. لم نجد أثراً يدل على قيام الجيش بمطاردتنا.

الإرتفاع: ٩٠٠ متر.

٢٧ آب

امضينا يومنا في بحث يائس عن طريق نسلكه، ولم نصل حتى الآن إلى نتيجة أكيدة... نحن في هذه اللحظة بقرب ريوغراندي وقد عبرنا (اليومون) وتفيد المعلومات التي جمعناها أنه لا توجد نقاط عبور جديدة وسنضطر إلى العودة ومواصلة الطريق في محاذاة صخرة ميغيل ولكن البغال لا تستطيع اجتياز هذا الممر. بقيت لدينا إمكانية اخرى وهي اجتياز سلسلة صغيرة من الجبال، ومواصلة الطريق بعد ذلك نحو ريوغراندي ـ مازيكوري، ولكننا لسنا متاكدين من هذا الحل ولا بد من استقصائه غداً. إجتزنا مرتفعات من ١٣٠٠ متر وهي أعلى مرتفعات في المنطقة، وقضينا الليل على علو ١٢٤٠ متراً وكان الطقس يميل إلى البرودة. صحتي جيدة ولكن مورو يعاني آلاماً شديدة، وقد نفد منا الماء ولم يبق سوى القليل منه للطبيب.

كان الخبر الطيب أو الحادث السعيد هو وصول بينينيو وناتو وخوليو. لقد عاشوا مغامرة كاملة لأن الجنود يرابطون في فارغاس واليومون، وقد اصطدموا بهم في بادىء الأمر ثم اقتفوا، بعد ذلك، أثر فرقة صغيرة كانت تنزل السالاديو ثم عادت لتصعد ناكاهوازو وتبين لهما أن لنهر كونري ثلاث طرق جبلية، يبدو أن الجنود هم الذين فتحوها. وصلوا إلى مخيم الدب بتاريخ الثامن عشر فإذا هو قد تحول إلى معسكر حصين ضدنا،

وكان يرابط فيه نحو ١٥٠ جندياً. وقد فوجئوا بهذا التحوُّل ولكنهم نجحوا في الانسحاب دون أن يراهم أحد. توجهوا حينئذ إلى مزرعة الجد ووجدوا هناك قرعاً فقط لأن المزرعة قد هجرها أصحابها وقد مروا من جديد بين الجنود وسمعوا طلقاتنا النارية وأمضوا ليلتهم في الجوار بقصد اقتفاء آثارنا واللحاق بنا. ويبدو أن ناتو قد تصرف بشكل رائع، كما يقول بينينيو، ولكن خوليو ضل طريقه مرتين وكان يبدي بعض الخوف من الجنود. ويعتقد بينينيو أن بعض رجال جواكين اجتازوا المنطقة منذ عدة أيام.

٢٨ آب

يوم قاتم ومؤلم. أطفأنا ظمأنا ببعض ثمار الكاراكوري العجفاء، وكان ذلك أشبه بتضليل للعطش. ارسل ميغيل بابلو وحيداً مع أحد الصيادين في اثر الماء ولم يكن يحمل معه سوى مسدس لا يغني و يسمن. وأشارت عقارب الساعة إلى الرابعة والنصف ولم يكن قد عاد بعد. بعثت كوكو وانيسيتو للبحث عنه فغابا طيلة الليل. بقي رجال المؤخرة في مكان المنحدر، ولم نتمكن من سماع الأخبار. يبدو أن هناك رسالة جديدة. وأخيراً، ذبحنا الفرس الصغيرة، رفيقتنا منذ شهرين. بذلت كل ما في وسعي لإنقاذها ولكن الجوع قاهر. وهكذا، فإننا لن نعاني، في الوقت الحاضر، من العطش ولا اعتقد اننا سنصل غداً إلى الماء.

جاء في أنباء الإذاعة أن جندياً قد جرح في منطقة تاتارندا. إن ما يحيرني هو التالي: إذا كانوا يعلنون بكل دقة عن خسائرهم فلماذا يكذبون حول نقاط أخرى؟ وإذا كانوا صادقين فعلاً فمن هم اولئك الذين يوقعون بهم الخسائر في مناطق بعيدة ومنعزلة مثل كاراغواترندا وتابيريلاس؟ لا جواب على هذا التساؤل اللهم إلاّ إذا كان جواكين قد قسّم رجاله إلى مجموعتين... وهناك أيضاً احتمال ظهور مجموعات جديدة مستقلة.

الإرتفاع: ١٢٠٠ متر.

٢٩ آب

يوم متعب ومؤلم. لم يحرز الرجال تقدماً يُذكر في شق الطريق بل إنهم أخطأوا في تحديد الاتجاه الصحيح معتقدين أنهم في طريقهم إلى مازيكوري. أقمنا المخيم على ارتفاع ١٦٠٠ متر في مكان رطب نسبياً حيث ينبت نوع

من قصب السكر يهدىء عصيره العطش. لقد انهار عدة رفاق تماماً بسبب نقص الماء وهم: شاباكو واوستاكيو والشينو. يجب ان نعمل غداً على استطلاع أول نقطة ماء ويبدو أن المكاريين يتحملون جيداً عناء الطريق.

لا انباء هامة في الإذاعة، والأحاديث تتناول، بشكل عام، محاكمة دوبريه التي تطول من أسبوع إلى أسبوع.

٣٠ آب

بدأ الموقف يثير القلق بشكل قوي. فقد أُغشي على الرجال الذي يمهدون الطريق، وشرب ميغيل وداريو بولهما، وحذا الشينو حذوهما، وكانت النتائج مريعة: إسهال ومغص. استكشف أوربانو وبينينيو وخوليو وادياً صغيراً وعثروا فيه على ماء وقد ابلغوني أن البغال لا تستطيع المرور فقررت أن ابقى مع ناتو ولكن إنتي صعد محملاً بالماء وبقينا هكذا نحن الثلاثة نأكل من لحم الفرس. لم أتمكن من سماع الاخبار لأن الراديو بقي في الوادي.

الإرتفاع: ١٢٠٠ متر.

٣١ آب

خرج أنيسيتو وليون في الصباح للقيام بجولة استطلاعية في الوادي، وعادا نحو الساعة الرابعة وقالا إن هناك ممراً للبغال يبدأ من المخيم القائم حول نبع الماء ولكن المشكلة التي طرحت علينا كانت مشكلة الوصول إلى هناك، وقد تفقدت المكان ورأيت أن بإمكان الدواب أن تمر فيه، وهكذا فقد أصدرت أمري إلى ميغيل بالالتفاف من رواء الصخرة الأخيرة ومواصلة فتح الطريق بينما نتكفل نحن بالنزول مع البغال.

وصلتنا رسالة من مانيلا ولم نتمكن من فك رموزها.

التحليل الشهري

إنه، بلا شك، أسوأ شهر عرفناه من وجهة نظر الحرب الثورية. فقد كان في فقدان جميع الاقبية مع الوثائق والادوية الموجودة فيها.. ضربة قاسية لنا ولا سيما على المستوى النفسي. وقد أدت خسارة رجلين في نهاية الشهر وما تبع ذلك من مسيرة طويلة، لم تعرف خلالها البطون

سوى لحم الحصان، إلى انيهار معنويات الرجال. وكانت أول حالة انسحاب، واعني بها كامبا، وهذا في حد ذاته شيء مفيد، ولكن ليس الظروف السائدة. كما أن فقدان الإتصال بالخارج وخاصة بجواكين، واعتراف رجاله الذين أسروا بكل شيء.. كل هذا زعزع أيضاً من معنويات فرقتنا الصغيرة. وقد أثار مرضي القلق لدى البعض، وانعكس ذلك كله في الصدام الوحيد الذي حدث لنا مع العدو: كان من المفروض أن نوقع به خسائر فادحة، فكانت النتيجة جريحاً واحداً. ومن ناحية أخرى فإن هذه المسيرة الصعبة في تلال خالية من المياه، كشفت أيضاً عن بعض الصفات السلبية عند الرجال.

وتلك هي أهم الخصائص:

١) لا نزال بدون اي اتصال، ولا أمل لنا في تحقيق اتصال قريباً.

٢) لم نستطع أن نحقق، حتى الآن، مشاركة الفلاحين لنا، وهذا شيء منطقي إذا اعتبرنا مدى قلة العلاقات التي عقدناها معهم في الفترة الأخيرة.

٣) معنويات الرجال في تراجع مؤقت على ما أعتقد.

٤) عجز الجيش حتى الآن عن زيادة فعاليته وقدرته على القتال.

نمر الآن في مرحلة تشهد انحدار معنوياتنا وأسطورتنا الثورية. ولا تزال المهام العاجلة المطروحة علينا هي مهام الشهر المنصرم وأعني: تجديد الاتصال، استقطاب المقاتلين، التمون بالأدوية والمعدات. وأود أن أشير إلى أن إنتي وكوكو يبرزان في كل يوم كقائدين عسكريين وثوريين صلبي العود.

أيلول ١٩٦٧

١ أيلول

ترجّلنا عن ظهور البغال في ساعة مبكرة بعد وقوع عدة حوادث منها سقطة مسرحية للبغل الذكر. ولم يتماثل الطبيب إلى الشفاء من وعكته الصحية. اما انا فقد شفيت نهائياً ومشيت اليوم على افضل ما يكون، على الرغم من انني كنت اجر بغلاً ورائي. طالت المسيرة اليوم أكثر مما كنا نتوقع، وقد فوجئنا في حوالي الساعة السادسة والربع بعد الظهر بوصولنا إلى الجدول القريب من بيت هونوراتو، وواصل ميغيل تفقد الطريق بالسرعة الممكنة، ولكنه لم يذهب بعيداً بسبب هبوط الظلام. فتقدم بينينيو وأوربانو بحذر ولما لم يلحظا في الجوار شيئاً غير عادي، قمنا باحتلال البيت الذي كان مهجوراً ومزدحماً بأشياء عديدة تركها الجيش بصورة مؤقتة. وقد وجدنا فيه طحيناً وشحماً وملحاً وجداء. فذبحنا جديين، وبالطحين الذي عثرنا عليه، اعددنا وليمة كبيرة استغرقت منا الليل كله. وانسحبنا عند الفجر تاركين وراءنا رقيباً لحراسة البيت ومدخل الطريق.

الإرتفاع: ٧٤٠ متراً.

٢ أيلول

توجهنا، منذ الصباح الباكر، إلى المزارع تاركين كوكو وبابلو وبينينيو ينصبون كميناً في البيت تحت إشراف ميغيل.وبقي رقيب في الجانب الآخر. وفي الساعة الثامنة وصل كوكو ليعلن أن راعياً قد جاء في أثر هونوراتو. وتبين انهم أربعة رعاة فاصدرت امراً بإحضار الرعاة الثلاثة الآخرين. واضعنا بذلك وقتاً ثميناً لأن المسافة من نقطة إقامتنا إلى البيت تستغرق ساعة كاملة. وفي الساعة الواحدة والنصف سمعنا بعض العيارات النارية وعلمنا بأن فلاحاً اقترب برفقة جندي وحصان. فصرخ الشينو، وكان يقوم بالحراسة مع بومبو وأوستاكيو: «جندي»! واستعد لإطلاق النار، ولكن الجندي بادره بالرماية وولى الادبار فرد عليه بومبو بإطلاق النار وقتل الحصان. غضبت غضباً شديداً واعتبرت هذه العملية بمثابة قمة العجز وسكت الشينو ولم ينبس ببنت شفة. أخلينا سبيل الرعاة الأربعة الذين كانوا قد عادوا إلى البيت أثناء هذا الوقت وكذلك سبيل الأسيرين، وأرسلنا الجميع إلى أعالي مازيكوري. وقد ابتعنا من الرعاة ثوراً صغيراً لقاء ٧٠٠ دولار واعطينا هوغو ١٠٠ دولار مقابل عمله و٥٠ دولاراً ثمناً لبعض الحاجيات التي أخذناها منه. تبين أن الحصان الراحل كان دابة عاجزة فتركناه لهونوراتو. وقد روى الرعاة أن زوجة هونوراتو قد شكت من الجيش لأن الجنود ضربوا زوجها والتهموا كل ما كانت تمتلكه في الدار... ويبدو أن هونوراتو كان في ريو غراندي يداوي نفسه من عضة نمر، حين مر الرعاة بالدار منذ ثمانية أيام. وعلى كل حال فقد كان البيت لا يخلو من أحدهم، ولا أدل على ذلك من أننا وجدنا ناراً تشتعل، حين وصلنا إتخذت قراراً بسبب غلطة الشينو، بالانطلاق مساء في الاتجاه الذي سلكه الرعاة. علّنا نصل إلى أول بيت وننصب كميناً فيه اعتقاداً مني أن الجنود قليلو العدد وأنهم قد انسحبوا من المنطقة. ولكننا خرجنا متأخرين للغاية ولم نتمكن من اجتياز نقطة العبور قبل الساعة الرابعة إلاّ ربعاً... ثم إننا لم نعثر على البيت المقصود فنمنا في درب للبقر بانتظار طلوع النهار.

نقلت الإذاعة خبراً في غاية السوء عن إبادة جماعة من الرجال يبلغ عددهم العشرة ويقودهم كوبي يعرف باسم جواكين، في منطقة كاميري.

وكان مصدر هذا النبأ، إذاعة صوت أمريكا ولم تتحدث عنه الإذاعات المحلية.

٣ أيلول

يوم أحد... ومع ذلك فقد اشتبكنا مع الجيش. قمنا عند الفجر بتفتيش المازيكوري باتجاه السافلة وحتى منبع النهر، ثم سرنا قليلاً في اتجاه معاكس لمجرى ريو غراندي. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر خرج إنتي وكوكو وبينينيو وبابلو وخوليو وليون في محاولة لبلوغ البيت لمعرفة ما إذا كان خالياً من الجنود، وشراء بعض البضائع والحاجات الضرورية لمعيشتنا. واسر رجال المجموعة، في بادىء الأمر، فلاحين ولدى استجوابهما قالا إن المالك ليس موجوداً وإن المنطقة خالية من الجنود، وإن بالإمكان ابتياع كمية لا بأس بها من الأغذية والمؤن. وقالا أيضاً: إن خمسة جنود مرّوا البارحة من هنا مسرعين بدون أن يتوقفوا في الجواد وأن هونوراتو قد عبر المنطقة في طريقه إلى بيته مع ابنين له. وحين وصل رجالنا إلى البيت، فوجئوا بقدوم ٤٠ جندياً وحدث اشتباك غامض قتلوا اثناءه جندياً على الأقل، كان يصطحب معه كلباً. رد الجنود على إطلاق النار وطوقوا رجالنا ولكنهم انسحبوا أمام صراخهم ولم نستطع بذلك أن نجمع حبة أرز واحدة. وقد حلقت الطائرة فوق المنطقة وألقت ببعض صواريخها باتجاه ناكاهوازو. حصلنا من الفلاحين على معلومات أخرى منها انهم لم يروا اثراً للمحاربين في هذه المنطقة وانهم علموا بوجودهم لأول مرة من الرعاة الذين مرّوا أمس.

أوردت إذاعة صوت أمريكا تفصيلات أخرى عن القتال الذي دار مع الجيش وذكرت ان جوزي كاريلو هو الوحيد الذي نجا من الموت من أصل الرجال العشرة. ولما كان كاريلو هو باكو، الذي يُعدّ من المفقودين، ولما كانت عملية الإبادة قد تمت في مازيكوري، فإن الدلائل كلها تشير إلى أنها مجرد كذبة ملفقة.

الإرتفاع: ٦٥٠ متراً.

٤ أيلول

نصبت مجموعة من ثمانية رجال، وتحت إشراف ميغيل، كميناً على الطريق المؤدي من مازيكوري إلى بيت هونوراتو، وبقيت في مكانها حتى

الساعة الواحدة بعد الظهر بدون أن يجدّ جديد. وقام نانو وليون، أثناء هذا الوقت، بإحضار بقرة بشق النفس، ولكننا حصلنا بعد ذلك على ثورين سمينين. قطع اوربانو وكامبا مسافة عشرة كيلو مترات باتجاه أعلى النهر وعثرا على أربع نقاط للعبور منها نقطة على درجة كافية من العمق. ذبحنا الثور الصغير وطلبت بعض المتطوعين للقيام بعملية تموين واستقصاء للأخبار فوقع الاختيار على إنتي وكوكو وخوليو وانيسيتو شاباكو وأرتورو بقيادة إنتي. وقد تطوع أيضاً كل من باشو وبومبو وأنطونيو وأوستاكو وكانت تعليمات إنتي تقضي: بالوصول إلى البيت عند الفجر ومراقبة التحركات ثم التموين في حال خلو المنطقة من الجنود... وفي حال وجودهم فإن عليهم الالتفاف من وراء البيت ومواصلة الطريق مع أسر جندي واحد إذا امكن، وذكّرت الرجال ايضاً بأن الشيء الأساسي هو عدم وقوع أية خسارة من جانبنا، والتزام جانب الحذر التام.

أوردت الإذاعة نبأ مقتل رجل في منطقة يزيو، وفي مكان لا يبعد كثيراً عن المنطقة التي أبيدت فيها المجموعة السابقة، على اثر اشتباك جديد، وهذا دليل آخر على ان حكاية جواكين ملفقة من اساسها، ولكن الإذاعة اوردت من ناحية أخرى معلومات مستفيضة عن النيغرو، الطبيب البيروفي، الذي قتل في بالماريتو ونقل إلى كاميري ويبدو ان البيلادو قد ساهم في التعرف على الجثة وان النبأ صحيح هذه المرة، أما الأنباء الأخرى عن إبادة مجموعة جواكين فهي ملفقة... ولعل السلطات تعتبرهم من المفقودين وعلى كل حال فإن البلاغات التي تتحدث الآن عن مازيكوري وكاميري ذات فحوى غريبة.

٥ أيلول

إنقضى اليوم بدون جديد يذكر، بانتظار النتيجة، وعادت المجموعة في الساعة الرابعة والنصف تجر وراءها بغلة محملة ببعض المؤن. ويبدو أن الرجال قد وجدوا جنوداً في بيت المالك مورون، وأن هؤلاء كانوا على وشك اكتشاف وجودهم بفضل كلابهم، وأنه يقومون بجولات ليلية. التفّ رجالنا من خلف البيت وشقوا لانفسهم طريقاً باتجاه بيت مونتانو، وهناك عثروا على الذرة، ولم يعثروا على أحد، فاحضروا منها كنتالا. وقد اجتازوا النهر نحو الظهيرة، ووصلوا إلى البيوت القائمة على الجانب الآخر، وكان

عددها بيتين. ففر سكان البيت الأول وتمت مصادرة البغلة المربوطة في الجوار ورفض سكان البيت الثاني ان يبدوا أي تعاون إلاّ بعد تهديدهم، قال هؤلاء إن هذه هي المرة الأولى التي يلتقون فيها بالمحاربين وإنهم لم يسمعوا بوجود جماعة غير الجماعة التي حلت في دار بيريز قبل الكرنفال (اي نحن). كانت الشمس قد ارتفعت حين انصرف رجالنا، وبقوا متخفين إلى حين هبوط الليل بقصداحتلال بيت مورون. وقد سارت الأمور على الشكل المناسب، ولكن ارتورو ضل طريقه ونام في الدرب، فاضاعت المجموعة ساعتين كاملتين في البحث عنه. ويبدو أن الرجال قد تركوا وراءهم بعض الآثار التي يمكن ان تكشف عن وجودنا إذا لم تقم الماشية بازالتها كما أن بعض الحاجيات قد سقطت منهم في الطريق. وانخفضت معنويات الرجال حالاً بعد سماعهم هذه الاخبار.

ذكرت الإذاعة أن السلطات لم تتمكن من التعرف على جثث المحاربين. ولكن الانباء قد ترد سريعاً عن ذلك. فككنا كلياً رموز رسالة تقول إن إجتماع منظمة تضامن شعوب امريكا اللاتينية كان انتصاراً ساحقاً وإن الوفد البوليفي كان سيئاً للغاية. ويبدو أن ألدو فاوريس وهو من الحزب الشيوعي البوليفي، قد ادعى تمثيله لجيش التحرير الوطني مما استوجب تكذيبه واستدعاء أحد رجال كولي لبحث الموضوع معه. وجاء في الرسالة أيضاً أن بيت لوزانو قد فتش وصودر وأن هذا الأخير متوار عن الأنظار، وأن بالإمكان مبادلة دوبريه... هذا كل شيء... لا شك في أنهم لم يتلقوا رسالتنا الاخيرة.

٦ أيلول

بينينيو

أقبل عيد ميلاد بينينيو محمّلاً بالوعود، وقد عجنّا ما نملكه من طحين عند الفجر وشربنا قليلاً من «المتة» مع السكر. ثم خرج ميغيل إلى الكمين مع ثمانية من رجاله، بينما اصطحب ليون ثوراً صغيراً آخر. وحين اشارت الساعة إلى العاشرة وتأخر الرجال في العودة، أرسلت أوربانو لإبلاغهم بوقف الكمين ظهراً. ولم تمض عدة دقائق حتى سمع عيار ناري ثم رشقاً قصيراً ثم عيار ناري آخر دوّى في اتجاهنا. وبينما كنا نهمُّ باتخاذ مواقعنا وصل أوربانو مسرعاً وقال إنه صادف دورية معززة بالكلاب. أصبح

الموقف يائساً خاصة أن تسعة من رجالي يقفون في الجانب الآخر، وفي مكان لا أعرفه. عمدنا إلى تحسين الطريق محاولين الخروج منه بدون أن نصل إلى طرف النهر، وارسلنا مورو وبومبو وكامبا وكوكو لهذا القصد وكنت اعتزم نقل اكياس المؤن، والالتفاف برجال المؤخرة إذا امكن إلى أن يلتحقوا بالمجموعة المعرَّضة من ناحية أخرى للوقوع في كمين. ولكن ميغيل عاد مع جميع رجاله من خلال الغابات الكثيفة، وقد جرت الأمور على الوجه التالي: تقدم ميغيل دون أن يترك رقيباً على الدرب الذي نحن فيه، وانصرف إلى إحضار الماشية. وحين سمع ليون نباح كلب، قرر ميغيل أن يعود، من قبيل الحيطة. ودوّى الرصاص في هذه اللحظة، وشاهدا دورية تعبر الطريق القائم بينهما وبين الغابة ولما تجاوزتهما، شقا طريقاً لهما وللرجال الآخرين. انسحبنا بهدوء نجر وراءنا ثلاثة بغال وثلاثة ثيران واجتزنا أربع نقاط للعبور منها اثنتين خطرتين. واقمنا مخيمنا على مسافة سبعة كيلو مترات تقريباً من المخيم الأول. وذبحنا بقرة وأكلنا حتى شبعنا تماماً. وابلغنا رجال المؤخرة أنهم سمعوا تبادل نيران طويل باتجاه مخيمنا اشتركت فيه عدة رشاشات.

الإرتفاع: ٦٤٠ متراً.

٧ أيلول

مسيرة قصيرة. لم نكن قد اجتزنا سوى نقطة ماء واحدة حين اصطدم رجال الطليعة بهضبة شديدة الانحدار فتوقفوا لنصب المخيم في انتظار وصولنا. سنقوم غداً بجولات استطلاعية واسعة وهاكم موقفنا: يبدو أن الطائرات لا تجدّ في البحث عنا في هذه المنطقة على الرغم من اكتشافها مخيمنا كان ان الإذاعة قد أعلنت أنني قائد المجموعة العاملة هنا. والتساؤلات المطروحة هي: هل هم خائفون؟ لا أعتقد ذلك. هل يعتبرون تصعيد الحرب مستحيلاً؟ لا اعتقد ذلك نظراً لما فعلنا ولما يعرفونه هم. هل يريدون منا أن نتقدم لينتظرونا في مكان استراتيجي؟ هذا ممكن. هل يعتقدون اننا سنبقى في منطقة مازيكوري للتمون فيها؟ هذا ممكن ايضاً، الطبيب بحالة جيدة، ولكنني اصبت، من جهتي، بنكسة وقضيت ليلة بيضاء.

تحدثت الإذاعة عن معلومات ثمينة ادلى بها جوزي كاريلو (باكو)...

يجب أن نجعل منه عبرة للآخرين، وقد تكلم دوبريه لتنفيذ أقوال باكو فقال إنه كان يذهب للصيد احياناً وهذا ما يفسر وجود البندقية معه. نقلت إذاعة لاكروز ديل سور نبأ اكتشاف جثة تانيا، المرأة المحاربة، على ضفة ريو غراندي ولكن التفاصيل المذكورة لا توحي بصحة هذا النبأ كما كان الحال بالنسبة للنيغرو. ومما قالته هذه الإذاعة إن الجثة قد نقلت إلى سانتا كروز... ولكنها كانت الإذاعة الوحيدة التي أوردت هذا الخبر بينما لم تتحدث عنه إذاعة التيبلانو.

الإرتفاع: ٧٢٠ متراً.

تحدثت إلى خوليو، وهو يبدو على ما يرام، ولكنه يأسف لانقطاع الاتصال وعدم التزام الناس بالحركة.

٨ أيلول

يوم هادىء، نصبنا كمائن من ثمانية رجال من الصباح حتى المساء تحت قيادة أنطونيو وبومبو. ورعت الدواب جيداً في حقل مزروع بالخيزران، كما بدأ البغل يتماثل للشفاء من جراء سقطته. خرج أنيسيتو وشاباكو للإستكشاف باتجاه عالية النهر وعادا ليقولا إن الطريق صالح نسبياً لسير الدواب. عبر كوكو وكامبا النهر بماء يصل إلى الصدر وتسلقا منحدراً يقع في مواجهتنا، ولكنهما لم يعثرا على شيء هناك. أرسلت ميغيل مع انيسيتو للإستطلاع فعادا بعد جولة قصيرة بالنتيجة التالية وهي أن من الصعب جداً المرور بالدواب... سأعمل على استطلاع هذا الجانب غداً اعتقاداً مني بأنه توجد إمكانية لإخراج الدواب بعد إنزال حمولتها سباحة في الماء.

جاء في أنباء الإذاعة أن باريانتوس قد شهد دفن بقايا المرأة المحاربة، تانيا «وفقاً للطقوس المسيحية»، وأنه توجه بعد ذلك إلى بويرتو موريسيو، أي إلى بيت هونوراتو وقد عرض على البوليفيين المضللين الذين لم يتلقوا الأجر الموعود، أن يتقدموا مرفوعي الأيدي إلى المواقع العسكرية مقابل عدم ملاحقتهم. وقد قامت طائرة صغيرة بقصف المنطقة الواطئة المحيطة بهونوراتو، وبشكل بدت فيه وكأنها تقوم بعرض خاص لباريانتوس.

انتقدت صحيفة من بودابست تشي غيفارا، ووصفته بالإنسان الرائع واللامسؤول، وحيّت في الوقت نفسه الموقف الماركسي للحزب الشيلي

الذي يتخذ مواقف واقعية من الاحداث. كم أود أن أصل إلى السلطة لأكشف القناع عن الجبناء والاجراء من كل نوع، وأمرِّغ أنوفهم في قذارتهم.

٩ أيلول

خرج ميغيل وناتو للإستطلاع، وقالا في العودة إن بإمكان الرجال عبور النهر من نقطة تبدو مناسبة؛ أما الدواب فإن عليها اجتياز النهر سباحة، وقد عثرا على جدول كبير يصب في الضفة اليسرى ويصلح لإقامة المخيم. استمر الرجال في نصب الكمائن وعلى شكل مجموعات من ثمانية أشخاص تحت إشراف أنطونيو وبومبو. ولكن لم يطرأ أي جديد.تحدثت إلى انيسيتو... يبدو صلب العود وهو يعتقد أن بعض البوليفيين قد بدأو يتخاذلون كما أنه يشكو من إهمال كوكو وإنتي للعمل السياسي. أكلنا لحم البقرة ولم يتبقَ منها سوى الاقدام الاربعة التي خصصت للحساء غداً. كان أهم ما ورد في النشرات الإخبارية الإذاعية نبأ تاجيل محاكمة دوبريه إلى السابع عشر من أيلول على الاقل.

١٠ أيلول

يوم سيء. بدأ ببشائر طيبة ولكن الدواب حرنت عن المسير في الطريق الوعر، ورفض البغل في النهاية أن يتقدم خطوة واحدة، فتركناه على الجانب الآخر. وكان كوكو قد اتخذ هذا القرار، لارتفاع منسوب النهر بشكل قوي، وقد بقيت أيضاً على الجانب الآخر أربع بنادق منها بندقية مورو وثلاث قنابل مضادة للدروع لسلاح بينينيو. إجتزت النهر سباحة برفقة البغلة، ولكنني فقدت حذائي اثناء العبور وساضطر الآن إلى انتعال صندل لا اتحمس له. وضع ناتو ثيابه وأسلحته في قطعة بلاستيكية وجعل منها رزمة ولكنه ألقى بنفسه في الماء في فترة ارتفعت فيها مياه النهر بشكل عنيف ففقد كل حاجياته أثناء العبور. وأما البغلة الاخرى فقد نصبت قدميها واندفعت وحيدة لإجتياز النهر ولكننا أعدناها إلى الضفة نظراً لاستحالة العبور. وعندما حاولت، مرة أخرى، برفقة ليون، كادا أن يغرقا نظراً لهبوب الإعصار. وصلنا في النهاية جميعاً إلى الجدول حيث اقمنا مخيمنا. وكان الطبيب في حالة صحية لا يحسد عليها. وقد شكا من آلام

عصبية في اطرافه طيلة الليل. وضعنا خطة لإرسال الدواب، مرة أخرى، سباحة إلى الجانب الآخر من النهر ولكن المياه كانت مرتفعة وكان لا بد من انتظار انخفاضها. ثم إن بعض الطائرات، ومنها طائرات الهيليكوبتر حلقت فوق المنطقة... إنني اتوجس شراً من الهيليكوبتر لأن بإمكانها إنزال الجنود، ونصب الكمائن على طول النهر. سنقوم غداً بالاستكشاف في اتجاه عالية النهر وسافلته كي نتمكن من تحديد مكان وجودنا بالضبط.

الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

الطريق: ٣٤ كيلو متراً.

نسيت ان أشير إلى هذا الحدث: لقد اغتسلت اليوم بعد انتظار طال اكثر من ستة اشهر، وضربت بذلك رقماً قياسياً لم يتوصل إليه سوى بعض الرفاق فقط.

١١ أيلول

يوم هادىء. خرج بعض الرجال لاستطلاع أعلى النهر والجدول. عاد اولئك الذين توجهوا إلى النهر، مع هبوط الظلام، وقالوا إن هناك ممراً على الأرجح، ويصعب التأكد منه قبل انخفاض منسوب النهر، وعثروا أيضاً على ضفاف مناسبة للدواب. أما بينينيو وخوليو اللذان خرجا لاستطلاع الجدول فقد عادا في الظهيرة ويبدو ان استطلاعهما لم يكن كما يجب. خرج ناتو وكوكو بمساعدة رجال المؤخرة لإحضار الحاجيات التي بقيت على الجانب الآخر بعد ان دفعا البغلة إلى عبور النهر وقد أحضرا كل شيء، ولم يتركا سوى كيس واحد ومخازن الرصاص الخاصة بالرشاش.

حدث أمر يؤسف له: جاءني الشينو وقال لي إن ناتو أعد شواء من لحم البقرة وأكله وحيداً بحضوره. وقد عنفته لانه المسؤول عن منعه وبعد التحقيقات الضرورية تعقدت الأمور لدرجة كبيرة ولم يعد بإمكاني أن أميِّز إذا كان الشينو قد أجاز له أم لم يُجز له ذلك. وقد طلب أن يستبدل من وظيفته فعينت بومبو لهذا المنصب ولكنها ضربة قاسية لالشينو.

نقلت الإذاعة تصريحاً لباريانتوس في هذا الصباح يؤكد فيه أنني مت منذ زمن طويل وأن ما يقال عن وجودي هنا ليس سوى مجرد دعاية ولكنه في المساء عرض جائزة ٥٠٠٠٠ دولار (ما يعادل ٤٢٠٠ دولار أمريكي) لمن يدلي بمعلومات تتيح أسري حياً أو ميتاً. يبدو أن القوات

المسلحة قد أعطته ()[1]. ألقت الطائرات مناشير فوق المنطقة تحمل صوري على الأرجح وقال ريكيتيريان إنه يعتبر عرض باريانتوس مجرَّد حرب نفسية لأن صلابة المحاربين معروفة ولأنهم يعدون أنفسهم لحرب طويلة.

تحدثت طويلاً إلى بابلو. إنه قلق كالآخرين لفقدان الاتصال، وهو يعتبر أن مهمتنا الرئيسية تتمثل في تجديد الاتصالات بالمدينة، ولكنه بدا حازماً ومصمماً على تحقيق شعار: «الوطن أو الموت» بكل ما يقتضيه من تضحيات.

١٢ أيلول

بدأ يومنا بحادثة مأساوية ـ هزلية: جاءني أوستاكيو، في تمام الساعة السادسة صباحاً، وهي ساعة النفير، ليحذرني من وصول بعض القادمين بمحاذاة الجدول، فاستنفرت جميع الرجال. واستعد الجميع للمعركة. وقد رآهم انطونيو وعندما سألته عن عددهم أجاب بإشارة من أصابع يده الخمسة. وتبين في النهاية أن ذلك مجرد تخيلات وأوهام خطرة على معنويات الفرقة الصغيرة وقد بدأ الرجال حالاً بعد هذه الحادثة يتكلمون عن التشوش النفسي والعقلي. تحدثت بعد ذلك إلى انطونيو، وقد بدا لي غير طبيعي بشكل جلي، فقد انتحب ثم نفى أن يكون هناك ما يشغل فكره، وقال إن ذلك سببه قلة النوم، فهو قد عوقب بالحراسة ستة أيام متتالية على أثر تلك الحادثة التي نام خلالها في مركز المراقبة ممتنعاً عن الإقرار بذنبه. عصى شاباكو أمراً وجه إليه، وعوقب بالحراسة ثلاثة أيام، ولكنه وجدني في المساء وطلب مني أن أزور الطليعة لأنه لم يتفاهم مع انطونيو، وقد رفضت طلبه. خرج إنتي وليون وأوستاكيو لاستطلاع منطقة الجدول، بشكل جدي، ودراسة إمكانية الانتقال إلى الجانب الآخر من سلسلة جبلية كبيرة تلوح في البعيد. وخرج كوكو وانيسيتو وخوليو في اتجاه أعلى النهر بحثاً عن نقاط العبور وعن الوسائل الناجعة لاقتياد الدواب، إذا ما تقرر أن نواصل الطريق من هناك.

أثار عرض باريانتوس ضجة كبرى، على ما يبدو... وعلى كل حال فقد

---

(١) غير مقروء في النص الأصلي.

وجد أحد الصحافيين، رغم كونه مغرضاً، أن مبلغ ٤٢٠٠ دولار أمريكي قليل جداً بالنسبة للخطر الذي أمثله. أعلن راديو هافانا أن منظمة تضامن شعوب أمريكا اللاتينية قد تلقت رسالة تأييد من جيش التحرير الوطني: يا لأعاجيب توارد الأفكار!

١٣ أيلول

عاد المستكشفون: صعد إنتي ومجموعته مجرى الجدول، طيلة اليوم، وناموا في منطقة عالية وباردة نسبياً. إن الجدول ينبع، على ما يبدو، من سلسلة جبلية تقع في مواجهتنا باتجاه الغرب ـ الشمالي ولا تسمح بمرور الدواب. وحاول كوكو ورفاقه أن يعبروا النهر ففشلوا، وقد اجتازوا ١١ صخرة عالية قبل أن يصلوا إلى واد نهر صغير: البيسكا على الأرجح. وعثروا هناك على بعض دلائل الحياة والمزارع المحروقة كما وجدوا ثوراً. قالوا إن على الدواب أن تعبر من الجانب الآخر. اللهم إلاّ إذا صنعنا طوفاً ينقل الجميع وهذا ما سنحاول أن نفعله.

تحدثت إلى داريو، وذكرت له أن بإمكانه الانسحاب إذا رغب في ذلك. رد عليَّ في بادىء الأمر قائلاً إن الانسحاب محفوف بالمخاطر، ولكنني أفهمته أن الحرب الثورية ليست ملجأ وان عليه، إذا قرر البقاء، أن يبقى إلى نهاية الحرب فوافق ووعد بإصلاح نفسه. سنرى.

كان أهم نبأ ورد في الإذاعة تلك الضربة التي وجهت إلى دوبريه الأب ومصادرة جميع الوثائق الأولية من دفاع الابن الذي يعدُّه عن نفسه بحجة أنهم لا يريدون لهذا الدفاع أن يتحول إلى نشرة سياسية.

١٤ أيلول

يوم متعب. خرج ميغيل في الساعة السابعة مع رجال الطليعة كلهم، وكذلك مع ناتو، وكان لديهم أمر باجتياز أطول مسافة ممكنة من هذا الجانب وبناء طوف في المكان الذي يصعب فيه العبور. وبقي أنطونيو في الكمين مع رجال المؤخرة جميعهم. وقد أخفينا بندقيتين من طراز م ـ ١ في كهف صغير يعرفه ناتو وميلي. أشارت الساعة إلى الواحدة والنصف ولم يردنا أي نبأ من الرفاق، فقررنا حينئذ بدء المسيرة. لم نستطع أن نركب ظهور البغال. وقد اضطررت، رغم ربوي، إلى التخلي عن الدابة لليون ومواصلة الطريق سيراً على قدمي. تلقى رجال المؤخرة أمراً بالاستعداد

للمسير في الساعة الثالثة بعد الظهر، إلاّ إذا صدر إليهم أمر معاكس. وقد وصل بابلو نحو هذه الساعة وأعلن أن الثور موجود في مواجهة نقطة عبور الدواب، وأن الرجال يعملون على بناء طوف في مكان يقع على بعد كيلو متر واحد.

إنتظرت وصول الدواب ولكنها تأخرت ولم تصل إلاّ في الساعة السادسة والربع، وبعد أن أرسلت بعض الرجال في أثرها. وكان البغلان قد عبرا النهر (وكذلك الثور) فواصلنا الطريق بخطى بطيئة إلى المكان الذي أقيم فيه الطوف. كان هناك ١٣ رجلاً لم يعبروا النهر بعد، بينما أصبح ١٠ رجال على الجانب الآخر. وهكذا أمضينا الليل مفترقين عن بعضنا متناولين آخر وجبة من لحم الثور الذي كاد أن يتفسخ.

الإرتفاع: ٧٢٠ متراً. الطريق: ٢ ـ ٣ كيلو مترات.

١٥ أيلول

كانت المسافة التي قطعناها طويلة بعض الشيء: ٥ ـ ٦ كيلو مترات ولكننا لم نصل إلى نهر أليبيسكا لأننا اضطررنا إلى إلزام الدواب بالعبور مرتين ولأن بغلة رفضت اجتياز النهر. بقي علينا عبور واحد وسنرى إذا كانت البغال ستحاربنا هذه المرة.

أعلنت الإذاعة عن اعتقال لويولا، وأعتقد أن الصور هي السبب. لقد مات الثور الذي بقي لدينا، ولكن على أيدي الجلاد طبعاً.

الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

١٦ أيلول

قضينا اليوم في بناء الطوف واجتياز النهر ولم نمش سوى ٥٠٠ متر تقريباً إلى المخيم الذي نصبناه بقرب ينبوع صغير. وقد انتهت عملية العبور بلا حوادث، وعلى طوف متين كان يشد من جانبي النهر بالحبال. وفي النهاية حين تركنا أنطونيو وشاباكو وحيدين، جرت مشادة جديدة بينهما وفرض انطونيو على الآخر عقوبة مدتها ستة أيام بتهمة التحقير. وقد احترمت هذا القرار رغم شكي في أن يكون صحيحاً. وجرى حادث آخر في المساء عندما اتهم أوستاكيو ناتو بأكل وجبة إضافية وتبين أن الأمر كان جلد خنزير نتيف. وهكذا فقد كان الطعام سبباً في تأزم الموقف. وقد طُرِحت عليَّ مشكلة الملاحظات من خوليو. يبدو هذا كله يبدو عديم

الاهمية.
الإرتفاع: ٨٢٠ متراً.

١٧ أيلول

بابلو

قضيت يومي في معالجة المرضى، وخلعت أسناناً لارتورو وشاباكو. قام ميغيل باستكشاف المنطقة الممتدة إلى النهر بينما تفقد بينينيو الطريق. وقد ابلغاني أن البغال تستطيع مواصلة الطريق ولكنها ستضطر قبل ذلك إلى اجتياز النهر سباحة ذهاباً وإياباً. طبخنا على شرف بابلو قليلاً من الارز.. لقد بلغ اليوم عامه الثاني والعشرين وهو اصغر الرجال سناً على الإطلاق.

لا نبا في الاذاعة سوى تأجيل المحاكمة واحتجاج لويولا غوزمان على توقيف دوبريه.

١٨ أيلول

بدأنا المسيرة في الساعة السابعة، وما كدنا نقطع مسافة قصيرة حتى اقبل ميغيل مسرعاً ليقول لنا إنه رأى في المنعطف ثلاثة فلاحين، وإنه ليس متاكداً من انهم لم يرونا. اصدرت امراً إليه بتوقيفهم. وقد اثار شاباكو ذاك الشجار المألوف حينما اتهم ارتورو بسرقة ١٥ رصاصة من مخزنه. إنه إنسان رهيب.. والجانب الصالح الوحيد في هذه المشكلة هو أن البوليفيين لا يعيرونه أدنى اهتمام على الرغم من نزاعه المستمر مع الكوبيين. قطعت البغال المسافة كلها دون حاجة إلى السباحة ولكن البغلة السوداء افلتت من ايدينا اثناء اجتيازنا مجرى النهر وانقلبت على الأرض مسافة ٥٠ متراً واصيبت ببعض الرضوض. اسرنا اربعة فلاحين كانوا متوجهين مع حميرهم الصغيرة إلى بيرايبندي وهو نهر يقع على بعد فرسخ من هنا باتجاه اعلى النهر، وقد قالوا لنا إن آلادينو غوتييريز يعسكر مع رجاله على ضفاف ريوغراندي حيث يقومون بصيد الطيور والأسماك. وقد ارتكب بينينيو حماقة كبرى حين سمح لفلاح وزوجته، وكذلك لفلاح آخر كانوا قد رأوه بمتابعة طريقهم دون أن يوقفهم. وعندما ابلغت ذلك غضبت غضباً شديداً، وقلت إن هذا العمل خيانة صريحة مما اثار بكاء عنيفاً من جانب بينينيو. اخبرنا جميع الفلاحين انهم سيمضون

معناً غداً إلى زيتانو، أي إلى المزرعة التي يقيمون فيها والتي تقع على بعد ستة أو ثمانية فراسخ من هنا. وقد تهرب آلادينو وزوجته ولم نستطع إقناعهما ببيعنا بعض الأغذية إلاّ بشق النفس.

أعلنت الإذاعة الآن نبأ قيام لويولا بمحاولتين للإنتحار. «خوفاً من انتقام المحاربين» وكذلك نبأ اعتقال عدد من الأساتذة المتعاطفين معنا إن لم يكونوا من المتواطئين. لقد وجدوا دونما شك أشياء كثيرة لدى لويولا، ولكنني لن أدهش قط إذا علمت بأن الصور التي عثر عليها في الكهف... هي سبب انكشاف شبكتنا. عادت الطائرات الصغيرة وطائرة «الموستانغ» إلى التحليق، بشكل مشبوه، فوق المنطقة مع هبوط الظلام.

الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

١٩ أيلول

لم نمض باكراً لأن الفلاحين قد أضاعوا دوابهم. وانطلقنا أخيراً مع قافلة الأسرى بعد أن أسمعتهم كلاماً لاذعاً. ومشينا أنا ومورو ببطء، وحين وصلنا إلى منحرف النهر، علمنا بأن هناك ثلاثة أسرى إضافيين وبأن رجال الطليعة قد تقدموا منذ قليل في طريقهم إلى مزرعة غنية بقصب السكر، تقوم على بعد فرسخين. وقد كانت الرحلة إليها طويلة. وصلنا حوالى الساعة التاسعة مساء إلى المزرعة وهي في الحقيقة حقل مزروع بقصب السكر. ووصل رجال الطليعة بعد هذا الموعد.

تحدثت إلى إنتي عن بعض نقاط الضعف فيما يخص الطعام وقد وافق على كلامي بضيق شديد وقال إنه سيقوم بنقد ذاتي، وعلني في أول اجتماع لنا، ولكنه نفى صحة بعض الاتهامات. إنتقلنا الآن من ارتفاع ١٠٠٠ متر إلى ١٤٤٠ متراً وسنصل إلى لوسياتانو خلال ثلاث ساعات من المسير أو أربع ساعات على حد قول المتشائمين. أكلنا أخيراً لحم الخنزير. وأما الرجال المغرمون بالحلويات فقد أكلوا أيضاً من «الشانكاكا».

تحدثت الإذاعة طويلاً عن قضية لويولا. ويبدو أن الأساتذة قد أعلنوا الإضراب. كما أعلن طلاب المدرسة الثانوية التي يدرس فيها هيغيراس، وهو أحد الموقوفين، الإضراب عن الطعام... ويبدو أيضاً أن عمال النفط هم في طريقهم إلى إعلان الإضراب بعد إنشاء شركة النفط.

من علامات هذه الأزمة: لم يعد لدي حبر.

٢٠ أيلول

إتخذت قراراً بمواصلة المسير في الساعة الثالثة بعد الظهر حتى نتمكن من الوصول إلى مزرعة لوسيتانو قبل هبوط الظلام. وكان المستكشفون قد ابلغوني ان الرحلة لن تستغرق أكثر من ثلاث ساعات. ولكن بعض الصعوبات الطارئة أخرت مسيرنا حتى الساعة الخامسة، وصعدنا طريق الهضبة تحت جنح الظلام الدامس وأشعلنا فتيلاً بقصد الإسراع ولكن محاولتنا هذه لم تجدِ نفعاً لاننا لم نصل إلى بيت آلادينو غوتييريز قبل الساعة الحادية عشرة، ولم يكن لديه ما يستحق الشراء باستثناء بعض السجائر والأشياء الاخرى. لم نجد لديه ثوباً واحداً، وهكذا فقد نمنا قليلاً لنواصل المسيرة في الساعة الثالثة صباحاً باتجاه التوسيكو التي تقع على مسافة أربعة فراسخ من هنا. استولينا على هاتف المختار وتبين لنا أنه معطل منذ سنوات عديدة، وأن الخط مقطوع، وعلمنا بأن المختار يدعى فارغاس وأنه عين حديثاً في منصبه.

لم تورد الإذاعات اي نبأ هام. وصلنا الآن إلى ارتفاع ١٨٠٠ متر وكان ارتفاعنا في لوسيتانو ١٤٠٠ متر.

مشينا قرابة فرسخين حتى وصلنا إلى المزرعة.

٢١ أيلول

إنطلقنا في الساعة الثالثة، تحت ضوء القمر الساطع، وفي طريق قد استُطلع مسبقاً، وسرنا حتى الساعة التاسعة تقريباً ولم نصادف أحداً، وبلغنا ارتفاع ٢٠٤٠ متراً وهو أعلى رقم بلغناه حتى الآن. إلتقينا هناك براعيين وقد أرشدانا على الطريق إلى التوسيكو وتبين أن أمامنا فرسخين آخرين. قد مشينا هزيعاً من الليل والصباح كله ولم نقطع سوى فرسخين. وحين وصلنا إلى البيوت الأولى التي تقع في بداية الانحدار، اشترينا بعض الأغذية وتوجهنا إلى بيت المختار لتناول الطعام... وصادفنا بعد ذلك طاحونة للذرة تعمل بالطاقة المائية على طرف بيراميري (١٤٠٠ متر) وقد ذعر الأهالي كثيراً وحاولوا الهروب منا. وفقدنا نحن وقتاً لا يحصى بسبب قلة الحركة، فقد استغرق منا الفرسخان إلى التوسيكو قرابة أربع ساعات ونصف الساعة(من الساعة ١٢,٣٥ إلى الساعة ٥).

٢٢ أيلول

حين وصلنا ـ مجموعة الوسط ـ إلى التوسيكو، تبين لنا أن المختار قد خرج الليلة البارحة ليبلغ السلطات عن وجودنا في المنطقة. فاقتحمنا حانوته واستولينا على محتوياته، كإجراء انتقامي. إن التوسيكو قرية صغيرة تتألف من ٥٠ بيتاً وتقوم على ارتفاع ١٩٠٠ متر.. وقد استقبلنا سكانها بمزيج من الخوف والفضولية. بدأت آلة التموين تعمل على وجه مناسب، وتجمّع في مخيمنا ـ وهو بيت مهجور يقع بقرب نبع ماء ـ كمية كبيرة من الأغذية والمؤن في فترة قصيرة. لم تعد الشاحنة الصغيرة من رحلتها إلى فاليه غراندي مما يدل على أن المختار قد ذهب فعلاً للتبليغ عنا. جاءت زوجته باكية منتحبة وراحت تستحلفني باسم السماء وباسم أطفالها أن أسدد لها ما أخِذ من الحانوت، ولكنني رفضت رفضاً قاطعاً. وفي المساء عقد إنتي اجتماعاً في قاعة المدرسة (السنة الأولى والثانية) شرح فيه لجماعة من الفلاحين المذهولين الصامتين (١٥ شخصاً)، أهداف ثورتنا وكان معلم القرية الوحيد الذي طلب الكلام ليسأل إن كنا نقاتل في القرى، إنه مزيج من الفلاح الماكر المتعلم، والطفل البريء، وقد طرح عدداً كبيراً من الأسئلة حول الإشتراكية. وعرض علينا أحد الصبية أن يعمل دليلاً معنا ولكنه حذّرنا من المعلم الذي يسميه أبناء المنطقة بالثعلب. مضينا في الساعة الواحدة والنصف باتجاه سانتا إيلينا ووصلنا إليها في الساعة العاشرة.

الإرتفاع: ١٣٠٠ متر.

عقد باريانتوس وأوفاندو مؤتمراً صحفياً قدما خلاله كل المعلومات التي حصلا عليها من الوثائق المصادرة وأعلنا فيه أن مجموعة جواكين قد أبيدَت.

٢٣ أيلول

اقمنا المخيم في حقل رائع من البرتقال تتدلى الثمار من أشجاره، وأخلدنا طيلة اليوم للراحة والنوم بعد تعزيز الحراسة. ونهضنا في الساعة الواحدة لننطلق في الساعة الثانية باتجاه لوما لارغا التي بلغناها عند الفجر على ارتفاع ١٨٠٠ متر، وكان الرجال مثقلين بالأحمال، والمسيرة بطيئة، واصبت من جانبي بعسر هضم نتيجة للطعام الذي أعده بينينيو.

٢٤ أيلول

وصلنا إلى قرية صغيرة تسمى لوما لارغا. أصبت أنا بنوبة كبد وتقيؤ، وقد أرهقت الرجال مسيرات لا طائلة منها. إتخذت قراراً بتمضية الليل في ملتقى الطريق مع بوخيو، وقام الرجال بذبح خنزير ابتعناه من الرجل الوحيد الذي بقي في منزله سوستيتوس فارغاس... أما الآخرون فقد فروا.

الإرتفاع: ١٤٠٠ متر.

٢٥ أيلول

وصلنا في الصباح الباكر إلى بوجيو، والتقينا هناك بأناس رأونا الليلة البارحة، وبعبارة أخرى، لقد كشف عن وجودنا في راديو بامبا[١]. وبوجيو قرية صغيرة تقع على مرتفع وأهلها طيبون... وقد فروا في بادىء الأمر عند رؤيتنا ولكنهم اقتربوا بعد ذلك شيئاً فشيئاً وعاملونا معاملة حسنة. خرج عند الفجر أحد رجال القناصة وكان قد قدم من سيرانو باتجاه شوكيزكا لتوقيف رجل يمتنع عن تسديد ما عليه. نحن الآن على مفترق ثلاث محافظات. وقد أصبحت مسيرتنا مع البغال محفوفة بالأخطار، ولكنني مضطر لذلك حتى يستطيع الطبيب أن يسافر في أفضل الظروف الممكنة، فقد بلغ غاية في الضعف. قال لنا الفلاحون إنهم لم يروا الجيش في هذه المنطقة. مشينا، بشكل متقطع، حتى وصلنا إلى ترانكا مايو حيث نمنا على جانب الطريق لأن ميغيل لم يتخذ الاحتياطات التي طلبتها منه. تأكد لنا أن مختار هيفيراس في الجوار. فأصدرت أمراً إلى الحرس باعتقاله.

الإرتفاع: ١٨٠٠ متر.

تحدثنا أنا وإنتي إلى كامبا، واتفقنا على أن يرافقنا إلى هيغيرا، وهو مكان يقوم على مقربة من بوكارا... وبإمكانه أن يتوجه من هناك إلى سانتاكروز.

٢٦ أيلول

الهزيمة. وصلنا عند الفجر إلى بيكاشو حيث كان السكان جميعاً يحتفلون بالعيد، وبلغنا بذلك أعلى ارتفاع حتى الآن: ٢٢٨٠ متراً. عاملنا الفلاحون معاملة حسنة وواصلنا طريقنا دون مخاوف تذكر رغم تصريح

---

(١) راديو بامبا: تعبير شعبي في كوبا يشير إلى الاشاعات الشعبية.

أوفاندو بأن أسري بات محتماً في لحظات معدودة. وحين وصلنا إلى هيغيرا، اختلف كل شيء، فقد اختفى جميع الرجال ولم نجد في البلدة سوى بعض النساء. توجه كوكو إلى مركز البريد والبرق والهاتف وحصل هناك على كتاب بتاريخ الثاني والعشرين، موجه من نائب حاكم فاليه غراندي إلى مختار المحلة يعلمه فيه بوجود محاربين في المنطقة ويطلب منه موافاته بأي تطور جديد مع استعداده لدفع كافة النفقات. وقد فرَّ المختار ولكن زوجته أكدت لنا أن الهاتف لم يستعمل اليوم لأن (جاغاي) وهي القرية المجاورة تحتفل بالعيد.

إنطلق رجال الطليعة في الساعة الواحدة بقصد الوصول إلى جاغاي واتخاذ قرار هناك بشأن البغال والطبيب... وبعد ذلك بفترة قصيرة، كنت منهمكاً بالحديث إلى الرجل الوحيد في القرية، المذعور من رؤيتي، حين وصل تاجر كوكا وقال إنه قدم تواً من فاليه غراندي ومن بوكارا وإنه لم ير شيئاً. كان أيضاً في غاية العصبية، واعتقدت أن ذلك بسبب وجودنا هنا... فتركتهما ينصرفان على الرغم من أكاذيبهما. وحين توجهت إلى قمة السفح، وكانت الساعة تشير إلى حوالي الواحدة والنصف، دوّت عيارات نارية في الجبل فأدركت حالاً أن رجالنا قد وقعوا في كمين. قمت بتنظيم المقاومة في القرية الصغيرة، بانتظار الناجين، وحددت المخرج الوحيد لنا وهو طريق يتجه إلى ريوغراندي. وما هي إلاّ لحظات حتى أقبل بينينيو مجروحاً ثم لحق به انيسيتو وبابلو وقد أصيب في قدمه. لقد قُتل ميغيل وكوكو وخوليو أما كامبا فقد اختفى بعد أن ألقى بعتاده. خرج رجال المؤخرة سريعاً بمحاذاة الطريق وتبعتهم وأنا أجر ورائي البغلين... أما الرجال الذين كانوا خلفنا فقد تأخروا أمام النيران الموجهة إليهم كما أن إنتي فقد الاتصال نهائياً. إنتظرناه نصف ساعة في كمين صغير، ونحن نصد هجوماً آخر من ناحية الجبل، ولم يكن بوسعنا الانتظار اكثر من ذلك. فقررنا أن نتركه ولكنه لحق بنا بعد فترة قصيرة... وفي هذه اللحظة بالذات، افتقدنا ليون فلم نجده وقال إنتي إنه رأى متاعه ملقى على حافة الطريق الذي سلكه دونما شك. ورأينا بالفعل رجلاً يسير مسرعاً في الوادي، وخيل إلينا أنه ليون، تركنا البغال تتجه نحو أسفل الوادي في محاولة لتضليل العدو حول وجهتنا الحقيقية وواصلنا المسير في واد ضيق يتوفر فيه بعض الماء المر. ونمنا في الساعة الثانية عشرة بعد

استحالة تقدمنا.

٢٧ أيلول

واصلنا المسير في الساعة الرابعة علّنا نجد مكاناً نستطيع منه الخروج من الوادي، وقد نجحنا في ذلك نحو الساعة السابعة، ولكن في الجانب الثاني، وكانت تقوم في مقابلنا هضبة جرداء، يوحي مظهرها بالسكينة والاطمئنان. تسلقنا قليلاً باتجاه غابة صغيرة نحتمي فيها من الطائرات، واكتشفنا طريقاً في الهضبة لم تطأه قدم إنسان طيلة اليوم. وحين هبط الليل، صعد فلاح وجندي إلى منتصف السفح ثم توقّفا هناك قليلاً ولم يشاهدانا. وكان انيسيتو قد عاد من جولة استطلاعية ورأى مجموعة كبيرة من الجنود في بيت مجاور... كان ذلك أسهل طريق بالنسبة لنا، وكان أفراده ينقلون أشياء تحت أشعة الشمس، في الظهيرة سمعنا عيارات نارية منفردة وبعض الرشقات وصراخاً على الوجه التالي: «إنه هناك، أخرج من هنا، هل ستخرج، نعم أم لا؟» ترافقه بعض العيارات. لم نعرف ما هو مصير الرجل الملاحق واعتقدنا أنه كامبا. إنطلقنا مع هبوط الظلام في محاولة للوصول إلى الماء من الجهة الأخرى ولكننا وجدنا أنفسنا في غابة كثيفة للغاية... واضطررنا إلى إحضار الماء من الوادي بعد أن اصطدمنا بمرتفع صخري شديد الوعورة. أوردت الإذاعة نبأ اشتباكنا مع كتيبة غالندو وسقوط ثلاثة قتلى من جانبنا سينقلون إلى فاليه غراندي للتحقق من هوياتهم. يبدو أنهم لم يقبضوا على كامبا ولا على ليون. كانت خسائرنا فادحة هذه المرة، وأفدح ما فيها موت كوكو... ولكن ميغيل وخوليو كانا أيضاً مقاتلين رائعين، واعتقد أن القيمة الإنسانية لهؤلاء الرجال الثلاثة لا حدود لها.

كان ليون يجيد الرسم.

الإرتفاع: ١٤٠٠ متر.

٢٨ أيلول

يوم من القلق الشديد، خيل إلينا أنه يومنا الأخير، أحضرنا الماء عند الفجر، وخرج إنتي وويلي حالاً بعد ذلك لاستطلاع منحدر جديد يؤدي إلى الوادي، ولكنهما عادا سريعاً بعد أن اكتشفا طريقاً يخترق الهضبة المواجهة لنا حيث شاهدا فلاحاً على متن جواده. وفي الساعة العاشرة مرّ

٤٠ جندياً في الجهة التي تقع في مواجهتنا ومتاعهم على ظهورهم، وقد ابتعدوا ببطء شديد خلته عصوراً. وفي الساعة الثانية عشرة مرت مجموعة أخرى من ٧٧ جندياً وزاد الطين بلة إنطلاق عيار ناري فاتخذ الجنود مواقعهم في الحال. وقد وجه الضابط إليهم أمراً بالنزول إلى مجرى الوادي الذي خيل إلينا أنه وادينا، ولكنهم في النهاية اتصلوا بالجهاز ولاحت على وجوههم علائم البشر وتخلوا عن النزول.

إن ملجانا يستحيل الدفاع منه أمام هجوم من الاعلى ليس أمامنا أية إمكانية للنجاة، إذا اكتشفوا مكانه. مرّ جندي كالكلب المرهق، بينما كان الباقون يجرونه من ثيابه ويحثونه على الإسراع. وبعد ذلك بقليل، مرّ فلاح وكان يرشد أحد الجنود الضالين ثم ما لبث ان عاد أدراجه، ولم يطرأ أي شيء جديد. لقد كانت اللحظة التي دوى خلالها العيار الناري، لحظة توتر وقلق شديدن. عبر جميع الجنود مع متاعهم وخُيِّلَ إلينا أنهم في طريقهم إلى الانسحاب. ولم نر أثراً للنار في البيت الصغير، ولم نسمع أيضاً دوي الرصاص الذي يستقبلون به عادة هبوط الظلام. سنقوم غداً بالاستطلاع في القرية طيلة النهار. إنهمر رذاذ ناعم وبلل ثيابنا تماماً، ولكنه لم يكن كافياً لمحو آثارنا.

جاء في أنباء الإذاعة أنهم تعرفوا على هوية كوكو ولكن التفاصيل التي ذكروها بخصوص خوليو لم تكن واضحة. إنهم يخلطون بين ميغيل وانطونيو. وقد نشروا في لحظة معينة نبا مصرعي ثم نفوه بعد قليل.

٢٩ أيلول

يوم آخر من التوتر، خرج إنتي وانيسيتو لمراقبة البيت طيلة النهار. وبدأت الحركة باكراً على الطريق وفي منتصف الصباح مرّ جنود لا يحملون عتاداً... من الجهتين، كما مرّ آخرون يجرون حميراً غير محملة، وعندما عادوا كانت تنوء بالاثقال. وصل إنتي في الساعة السادسة والربع وقال إن الجنود الستة عشر الذين نزلوا إلى الوادي، دخلوا إلى المزرعة، ولم يظهر لهم أثر بعد ذلك.. لقد حملت الحمير بالمؤن هناك على الارجح. أمام هذه الأنباء، كان من الصعب اتخاذ قرار باتباع هذا الطريق، السهل والمنطقي، لأن من السهل أيضاً على الجنود نصب الكمائن فيه ولأن البيت لا يخلو من الكلاب التي ستكشف عن وجودنا. سنقوم غداً باستطلاعين: الأول في

المكان نفسه، والثاني بالمسير صعوداً قدر الإمكان، بحثاً عن مخرج هناك ولو باجتياز الطريق الذي يستخدمه الجنود.

لم تورد الإذاعات أي نبأ جديد.

٣٠ أيلول

يوم آخر من التوتر. جاء في نبأ لإذاعة سالما سيدا في التشيلي أنه عُلِم من مصادر رسمية في الجيش أن تشي غيفارا قد حوصر في واد متوحش. ولم تنقل الإذاعات المحلية هذا النبأ. قد يكون مجرد مناورة من جانبهم وقد يكون نتيجة لقناعتهم الاكيدة من وجودنا في المنطقة. لم تتأخر حركة الجنود في الظهور على جانبي الطريق، ففي الساعة الثانية عشرة مر ٤٠ جندياً في أرتال منفصلة مسلحين بالبنادق وتوجهوا إلى البيت الصغير وأقاموا مخيمهم هناك بعد أن وضعوا حراسة مشددة. وقد حمل إلينا انيسيتو وباشو كل هذه المعلومات.

عاد إنتي وويلي بنبأ أن ريو غراندي على مسافة كيلومترين من خط مستقيم، وأن هناك ثلاث بيوت في أول الوادي وانهم عثروا على أمكنة صالحة لنصب المخيم يستحيل فيها رؤيتنا من أي جانب. تزودنا بالماء وفي الساعة العاشرة مساء بدأنا مسيرة ليلية وشاقة زاد في صعوبتها ان الشينو لا يجيد المشي في الظلام. يبدو بينينيو في حالة جيدة ولكن الطبيب يسير من سيء إلى اسوأ.

التحليل الشهري

كان على هذا الشهر أن يكون فترة استعداد للقوى... وقد كان كذلك فعلاً لولا هذا الكمين الذي قتل فيه ميغيل وكوكو وخوليو وأفسد كل شيء، بل إنه وضعنا موضعاً خطيراً بالإضافة إلى فقدان ليون. أما اختفاء كامبا فهو مكسب واضح لنا.

حدثت لنا عدة اشتباكات صغيرة مع الجيش، فقتلنا حصاناً وجندياً وجرحنا آخر، وتبادل اوربانو إطلاق النيران مع دورية ثم جاء ذاك الكمين اللعين في هيغيرا... وقد تخلينا عن البغال، واعتقد اننا لن نحصل، ولفترة طويلة جداً، على دواب من هذا النوع. اللهم إلاّ إذا داهمني الربو مرة أخرى.

ومن ناحية ثانية فإن الروايات تتضارب حول مصرع رجال المجموعة

الاخرى التي يجب اعتبارها منتهية، ولو أن هناك أملاً صغيراً، أمل مجموعة صغيرة تنتقل، متحاشية الصدام مع الجيش... لأن نبأ مقتل الرجال السبعة في آن واحد يبدو لي مبالغاً فيه إن لم يكن كاذباً.

إن خصائص هذا الشهر هي نفس خصائص الشهر المنصرم يضاف إليها أن الجيش قد برهن على مزيد من الفعالية وأن الجماهير الفلاحية لا تقدم لنا أية معونة وأن الفلاحين تحولوا إلى وشاة.

وتقضي مهمتنا العاجلة بالهروب والبحث عن مناطق ملائمة ثم تجديد الاتصالات على الرغم من تحطيم شبكتنا في لاباز وتوجيه ضربات قاسية إليها. إن معنويات بقية الفرقة لا تزال عالية، ولا تساورني الشكوك إلاّ بالنسبة لويلي، الذي قد ينتهز مناسبة بلبلة ما لينجو وحيداً إذا لم أتحدث إليه.

تشرين الأول ١٩٦٧

١ تشرين الأول

الإرتفاع: ١٦٠٠ متر.

إنقضى أول يوم من الشهر دون أن يطرأ جديد. ووصلنا مع طلوع الفجر إلى غابة صغيرة اقمنا فيها مخيمنا بعد تشديد الحراسة في مختلف النقاط القريبة منا. إبتعد الجنود الاربعون في وادٍ صغير كنا ننوي اقتحامه بإطلاق عدة عيارات نارية. سمعنا آخر طلقات الرصاص في الساعة الثانية وساد الهدوء، وبدا كل شيء وكان البيوت الصغيرة خالية من سكانها.. رغم أن أوربانو راى خمسة جنود ينحدرون من تلك الناحية ويواصلون طريقهم إلى جهة لم نتمكن من تحديدها. إتخذت قراراً بالبقاء هنا يوماً إضافياً لأن المكان يبدو لي مناسباً ويساعد على الانسحاب الآمن لاننا سنشرف من أعاليه على تحركات العدو كلها. خرج باشو وناتو وداريو واوُستاكو لإحضار الماء وعادوا في الساعة التاسعة مساء. واعد لنا شاباكو بعض المآكل المقلية ووزع على الرجال قليلاً من لحم البقر المجفف بحيث استكانت البطون الجائعة.

لا أنباء جديدة.

٢ تشرين الأول

انطونيو

لا أثر للجنود، طيلة اليوم، ولكن بعض الخيول مرت برفقة كلاب كبيرة على مقربة من مواقعنا وقد نبحت نباحاً شديداً. إتخذنا قراراً بالالتفاف حول مزرعة صغيرة لا تبعد كثيراً عن الوادي، وبدأنا عملية الانحدار نحو الساعة السادسة حتى نصل بكل هدوء، ونقوم بإعداد طعامنا قبل العبور. إلاّ أن ناتو ضلّ طريقه واصرّ على مواصلة سيره الخاطىء. وعندما قررنا العودة، ضللنا طريقنا، وقضينا الليل هناك بدون أن نتمكن من إعداد الطعام أو إرواء ظمأنا الشديد. علقت إذاعة كروز ديل سور على انتشار قوات كبيرة من الجيش بتاريخ الثلاثين من الشهر المنصرم، في المنطقة وعزت ذلك إلى صدام جرى بين الجيش وبين مجموعة صغيرة من رجالنا لم تقع فيه خسائر من الطرفين، على الرغم من تصريح بعض المسؤولين بالعثور على آثار دماء... وكانت هذه المجموعة، حسب البلاغ، تتألف من ستة أشخاص.

٣ تشرين الأول

يوم طويل ومتوتر بدون سبب: في اللحظة التي كنا نهم فيها بالالتحاق بقاعدتنا، وصل أوربانو ليعلن أنه سمع بعض الفلاحين يقولون: «إنهم هؤلاء.. الذين كانوا يتحدثون عنهم الليلة البارحة، وكان ذلك أثناء المسيرة. كان الخبر يبدو غير صحيح على الإطلاق، ومع ذلك فقد قررت أن أتصرف كما لو انه كان صحيحاً تماماً، فأمرت بتسلق هضبة تشرف على طريق الجنود قبل أن نروي ظمأنا. وانقضى النهار بهدوء تام. وعند هبوط الظلام انحدرنا من مكاننا وشربنا قهوة بدت لنا رائعة المذاق على الرغم من الماء المر والإبريق القذرالذي أعدت فيه، ثم هيأنا بعد ذلك عجيناً بقصد تناول الطعام كما هيأنا زاداً يتألف من الارز ولحم التابير. بدأنا المسير في الساعة الثالثة بعد جولة استطلاعية متجنبين المزرعة بكل سهولة، في طريقنا إلى الوادي الصغير الذي اخترناه حيث لم نجد أثراً للماء او ما يدل على قيام الجنود باستكشاف المكان.

أعلنت الإذاعة أن رجلين قد اسرا من رجالنا وهما: أنطونيو دومنفر فلوريس (ليون) وأورلاندو جيمينيز بازان (كامبا) وأن هذا الاخير قد

اعترف بحمل السلاح ضد الجيش، اما الثاني فقد أعلن عن كامل ثقته بكلمة الرئيس. وقد تقدم الاثنان بمعلومات واسعة عن فيرناندو ومرضه وعن الآخرين بالإضافة إلى معلومات أخرى لن تنشر على الأرجح.

وهكذا انتهت حكاية محاربين بطلين.

الإرتفاع: ١٣٦٠ متراً.

سمعنا مقابلة لدوبريه: كان شجاعاً جداً في مواجهة طالب قد استفزه.

٤ تشرين الأول

بعد استراحة قصيرة في الوادي، واصلنا الطريق باتجاه مجراه إلى ان التقينا بوادٍ آخر، فصعدنا قليلاً واخلدنا إلى الراحة حتى الساعة الثالثة هرباً من حرارة الشمس. ثم استانفنا المسير مدة نصف ساعة أخرى والتقينا بالمستكشفين الذين فتشوا في الأودية الصغيرة كلها دون ان يعثروا على اثر للماء وفي الساعة السادسة، تركنا الوادي وواصلنا المسير في درب ضيق للماعز حتى الساعة السابعة والنصف وكانت الظلمة قد خيمت على المكان، وحجبت كل شيء فبقينا هناك حتى الساعة الثالثة صباحاً.

ذكرت الإذاعة نبأ نقل مركز هيئة أركان الفرقة الرابعة من لاغونيلاس إلى باديلا بقصد إحكام المراقبة في منطقة سيرانو، إذ يعتقد أن المحاربين سيلجأون إليها. وجاء في الإذاعة المذكورة أن محاكمتي ستتم في كاميري إذا أسرتني قوات الفرقة الرابعة، وفي سانتاكروز إذا أسرتني قوات الفرقة الثامنة.

الإرتفاع: ١٦٥٠ متراً.

٥ تشرين الأول

حين عاودنا المسير، تقدمنا بصعوبة بالغة حتى الساعة الثالثة والربع بعد الظهر، وتركنا في هذه اللحظة درب الماعز لنتوغل في غابة صغيرة تستطيع أشجارها العالية أن تقينا شر الأنظار الفضولية. خرج بينينيو وباشو في عدة جولات استكشافية بقصد جلب الماء ودارا من خلف البيت المجاور لنا دون أن يجدا أثراً له... رغم أن الدلائل تشير إلى وجود بئر في الجوار. ولما انتهيا من استكشاف الامكنة كلها وهمًا بالعودة، ابصرا ستة جنود يدخلون إلى البيت، وكان يبدو أنهم عابرو طريق لا أكثر. خرجنا مساء بعد هبوط الظلام وقد أرهقنا العطش تماماً بينما راح أوستكايو

يبكي وينتحب من اجل جرعة ماء. وبعد اجتياز طريق وعر، مليء بالعقبات، وصلنا مع طلوع الضوء إلى غابة صغيرة حيث سمعنا نباح الكلاب في المناطق المجاورة كما لمحنا هضبة جرداء وعالية للغاية على مقربة منا.

قمت بشتى الإسعافات الممكنة لبينينيو الذي تقيح جرحه قليلاً، كما قمت بحقن الطبيب، وكانت نتيجة عملي أن بينينيو لم يكف عن الشكوى طيلة الليل.

جاء في أنباء الإذاعات أن رفيقينا السابقين قد نقلا إلى كاميري كشاهدين في قضية دوبريه.

الإرتفاع: ٢٠٠٠ متر.

٦ تشرين الأول

بعد استطلاع المنطقة، تبين لنا وجود بيت في جوارنا وبيت آخر أبعد منه، تتوفر فيه المياه. فاتجهنا إليه وقمنا بإعداد الطعام طيلة اليوم تحت صخرة كبيرة ملساء، حمتنا من الانظار... ولكن السكينة لم تعرف الطريق إلى قلبي، لوجودنا في وضح النهار على مقربة من أماكن مأهولة. ولما طال إعداد الطعام، قررنا أن نتوجه مع طلوع الفجر إلى رافد قريب من هذا الجدول الصغير ونقوم هناك باستطلاع دقيق للمنطقة حتى نحدد الاتجاه الذي سنسلكه.

تحدثت إذاعة لاكروز ديل سور عن مقابلة جرت مع الرفيقين السابقين وقد بدا أورلاندو أقل سوءاً من الآخر، ونقلت الإذاعة الشيلية خبراً حذفته الرقابة عن وجود ١٨٠٠ جندي يتعقبون آثارنا.

الإرتفاع: ١٧٥٠ متراً.

٧ تشرين الأول

إنقضى أحد عشر شهراً على بدء حرب العصابات بدون حدوث تعقيدات تذكر؛ ووصلت امرأة عجوز في الساعة الثانية عشرة والنصف، لحراسة ماعزها في الوادي الذي نخيم فيه فاضطررنا إلى أسرها. لم تقدم لنا المرأة أية معلومات عن الجنود. قالت إنها تجهل وجودهم وإنها لم تذهب قط إلى تلك الاماكن منذ زمن طويل جداً. وقد زودتنا ببعض المعلومات عن الطرق ويبدو أننا، إذا صدقت، على بعد فرسخ من هيغيراس وفرسخ من جاغواي ونحو فرسخين من بوكارا. قام إنتي وانيسيتو وبابلو في الساعة الخامسة

والنصف بعد الظهر بزيارة العجوز وكانت تقيم مع ابنة لها مصابة بتضخم الغدة الدرقية وبقصر عادي... فأعطوهما ٥٠ بيزوس وطلبوا منهما إلتزام الصمت بدون كبير أمل في الواقع.

إنطلقنا في الساعة الخامسة مستعينين بنور قمر خافت وكانت المسيرة جد مضنية فتركنا آثاراً كثيرة في الوادي الذي كنا نقيم فيه... حقاً لا توجد بيوت قريبة منه، ولكن حقولاً مزروعة بالبطاطا ومروية بأقنية خاصة ممدودة من الجدول كانت منتشرة في الجوار. توقفنا في الساعة الثانية للإستراحة بعد أن أصبحت المسيرة غير مجدية لشدة بطئها... لقد كان الشينو حملاً ثقيلاً علينا في المسيرات الليلية.

أذاع الجيش بلاغاً غريباً عن وجود ٢٥٠ جندياً في سيرانو لمنع تسلل المحاربين وعددهم ٣٧ شخصاً وحدد البلاغ المنطقة التي لجأنا إليها بين الاسيرو والأورو. يبدو أن المقصود من هذا كله تضليلنا.

الإرتفاع: ٢٠٠٠ متر.

بلاغات ورسائل من الغوارة البوليفية

بلاغ رقم ١: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية، في مقابل الأكاذيب الرجعية

بعد أن اغتالوا عمالاً ومهدوا الطريق لكي يسلموا جميع ثرواتنا إلى الامبريالية الاميركية ـ الشمالية، خدعت مجموعة الغوريلات المغتصبة، الشعب بلعبة انتخابية. وعندما تدق ساعة الحقيقة، وينتفض الشعب بسلاحه، ليواجه الاغتصاب المسلح بالنضال المسلح، فلتزعم، عندئذ، تلك المجموعة انها تتابع مباراتها بالاكاذيب.

في فجر ٢٣ آذار، توغلت قوات من الفرقة الرابعة، المتمركزة في كاميري والمؤلفة من حوالى خمسة وثلاثين رجلاً بقيادة الميجر هرنان بلاتا ريّوس، في أراضي المغاورين (الغوار) مجرى نهر نياكاغازو. وقعت المجموعة بأكملها في كمين نصبته قواتنا. محصلة العملية، خمس وعشرون قطعة سلاح من كل النماذج، من ضمنها ثلاثة مدافع هاون من عيار ٦٠ ملم مع مستلزماتها من الذخائر، وكمية كبيرة من الذخائر والعتاد المتنوع حصلنا عليها.

كبدنا العدو خمسة قتلى، من بينهم ملازم، وأسرنا أربعة عشر جندياً، جرحوا في المعركة وتم علاجهم من قبل جهازنا الصحي بالفعالية التي

تسمح بها امكانياتنا الخاصة.

تم اخلاء سبيل جميع المعتقلين بعد ان شرحنا لهم مثل حركتنا.

ها هي لائحة بخسائر العدو:

قتلى: بيدرو روميرو واوبين امينازاغا، وخوان الفارادو وسيسيليو ماركيز، وأمادور المازان، وسنتياغو غالاردو وساعي الجيش ومرشده، المسمى فارغاس.

المعتقلون: الميجر هرنان بلاتاديوس والنقيب أوجينو سيلفا، والجنود، ادغار توريكو باتوسو، وليدوماشيكادو توليدو وغبريال دوران إيكوبار، وارماندو مارتينيز سانشيز وفيليب برافوسيل، وخوان راموس مارتينيز وليونسيو اسبينوزا پورادا، وميقيل ريفيرو، وايلوتيريو سانشيز وادالبيرتو مارتينيز، وادواردو ريفيرا وغيدوتورسيوس. الخمسة الآخرون جرحوا في المعركة.

اننا، إذ نعلن عن العملية الحربية الأولى، نضع ما سوف يكون قانوناً لجيشنا: الحقيقة الثورية. لقد اثبتت الوقائع صحة اقوالنا. فنحن نأسف للدم البريء الذي سال من الجنود الذين سقطوا، إلا أننا لا نبني جسور السلام بالهواوين والرشاشات، كما تؤكد الدمى المرتدية اللباس العسكري المزين بالشرائط، زاعمة انها تخلق لنا أسطورة من القتلة السوقيين. لم يشتكِ فلاح واحد، وسوف لن يفسح المجال لأي فلاح لأن يشتكي من الطريقة التي عاملناه بها، ومن الطريقة التي حصلنا بها على مؤونتنا، باستثناء أولئك الذين، خانوا طبقتهم، وارتضوا أن يكونوا مرشدين ووشاة.

بدأت العمليات العسكرية. وسوف نحدد في بلاغات لاحقة وبوضوح، موقفنا الثوري. ونحن نتوجه اليوم، بالنداء، إلى العمال والفلاحين، والمثقفين، وإلى كل الذين يشعرون بأن الساعة قد دقت لكي نرد على العنف بالعنف، ونستعيد بلداً باعوه بالتقسيط إلى الاحتكارات الاميركية، ونرفع مستوى معيشة شعبنا الذي يزداد جوعاً يوماً بعد يوم.

جيش التحرير الوطني البوليفي

بلاغ رقم٢: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية في مقابل الأكاذيب الرجعية

في صباح ١٠ ـ ٤ ـ ٦٧، وقعت، الدورية المعادية بقيادة الملازم لويس ساڤيدرا أرومبال والمؤلفة في غالبيتها من جنود من CITE. في كمين قتل الضابط المذكور والجنديان انجل فلوريس وزينون برادا منديبيتا خلال الاشتباك، كما جرح المرشد انياسيو موزاريما من فرقة بوكيرون، واسر مع خمسة جنود آخرين وصف ضابط. تمكن أربعة جنود أن ينجوا من الكمين، حيث بلغوا قاعدة كتيبة الماجور سانشيز كاسترو الذي جاء لمساعدة رفاقه بقوة دعم مؤلفة من ستين رجلاً من وحدة مجاورة؛ إلا انه فوجيء بكمين آخر أودى بحياة الملازم هوغو ايالا، «والصف ضابط» راوول كاميخو والجنود جوزي فيغبريال ومارسيللو مالدونادو وجيم سانابريا، واثنين آخرين لم نتمكن من معرفة اسمائهما.

الجنود الجرحى في هذه العملية هم: ارماندو كيروغا، والبيرتو كرفاجال وفريدي الوي، وجوستو سرفنتيس، وبرنبيه مافديخارا، اسروا مع قائد الكتيبة، الماجور روبين سانشيز كاسترو وستة عشر جندياً آخرين.

وفقاً لاحدى مبادىء ELN، عالجنا الجرحى ضمن امكانياتنا الهزيلة واخلينا سبيل المعتقلين، بعد أن شرحنا لهم أهداف نضالنا الثوري.

حصيلة خسائر الجيش المعادي: عشرة قتلى، من بينهم ملازمان، ثلاثون اسيراً، من ضمنهم الماجور سانشيز كاسترو وستة جرحى. غنيمة الحرب هي بنسبة الخسائر المعادية وتتضمن؛ هاوناً واحداً ٦٠ ملم، بنادق رشاشة، بنادق، بنادق M1، ورشيشات، كل هذه الأسلحة مع ذخائرها.

من جهتنا، نأسف لأي شخص يموت، ويمكن فهم التفاوت في الخسائر، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، واقع اننا في كل المعارك، اخترنا المكان

والزمان لانطلاقها؛ وان قادة الجيش البوليفي، يرسلون إلى المذبحة مجندين اطفالاً تقريباً. فيما يختلقون البلاغات في لاباز، ويلطمون صدورهم في مآتم ديماغوجية، خافيين واقع انهم هم المسؤولون الحقيقيون عن الدماء التي اهرقت في بوليفيا. انهم ينكشفون الآن ويسرعون باستدعاء «معاونين» اميركيين ـ شماليين، هكذا بدأت حرب فيتنام التي تدمي هذا الشعب البطل وتهدد السلام العالمي. اننا نجهل كم من المعاونين سيرسلون ضدنا (سنعرف كيف نواجههم)، لكننا نحذر الشعب من المخاطر التي سيولدها هذا العمل الذي يقوم به العسكريون المراخصون.

اننا ندعو المجندين الشباب لاتّباع التعليمات التالية: عند بداية القتال، ارموا السلاح جانباً، وضعوا أياديكم على رؤوسكم، ابقوا دون حركة في المكان الذي سوف يفاجئكم فيه اطلاق النار، لا تتقدموا ابداً أمام الطابور اثناء سير الاقتراب من منطقة القتال، ارغموا الضباط الذين يحثونكم على القتال، على احتلال هذا الموقع الشديد الخطورة. سوف نطلق دائماً النار، وبقصد القتل، ضد المقدمة. مع انه يؤلمنا أن نرى دم المجندين الأبرياء يسفك، انها ضرورة الحرب القصوى.

جيش التحرير الوطني في بوليفيا

بلاغ رقم٣: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية تجاه الأكاذيب الرجعية

في الثامن من أيار، وقعت في كمين، في منطقة المغاوير في ناكاهوازو، قوات من الكتيبة المختلطة، بقيادة الملازم أول هنري ليريدو. قتل خلال هذه العملية، الضابط وتلميذان من مدرسة التدريب هما: رومان اروبو فلوريس ولويس بيلايز كما تم أسر الجنود التالية أسماؤهم:

خوسي كاماشو روخاس من فرقة بوليفار Bolivar ـ نيستور

كونتياس من فرقة بوليفار Bolivar ـ فالدوفيزاغا من مدرسة التدريب ـ هوغو سوغو لورا من مدرسة التدريب ـ ماكس توريس ليون من مدرسة التدريب ـ روجيه توليترو من فرقة Braun ـ خافيير كوريللا من فرقة Braun ـ نيستوكويللار من فرقة Braun

جرح الأخيران لأنهما لـم يمتثلا لأمر التوقف.

عندما فوجئنا خلال عملية سابقة. افرج عن الأسرى، كالعادة، بعد شرح أهداف ومبتغى نضالنا. تمت استعادة سبع بنادق M1 وأربع بنادق موزر. خرجت قواتنا من هذه العملية سليمة.

بلاغات الجيش القمعي التي تعلن عن قتلى في صفوف المغاوير عديدة، وهي تتضمن بعض العناصر الحقيقية عن خسائره الفعلية بكثير من الخيال. فيما يتعلق بخسائرنا فهو يلجأ بسبب عجزه، إلى الأكاذيب، أو يصب جام غضبه على الصحافيين، الذين هم، بسبب مميزاتهم الايديولوجية، أعداء طبيعيون للنظام، يحملهم كل المصائب التي يعاني منها.

نود أن نشير بأن جيش التحرير الوطني البوليفي هو المسؤول الوحيد عن النضال المسلح الذي تولى فيه قيادة شعبه، هذا النضال الذي لن يتوقف إلا بالنصر النهائي، وفي فرصة سوف ننتقم فيها من الجرائم التي ترتكب أثناء الحرب، بمعزل عن اجراءات الانتقام التي سوف ترتئيها قيادة جيشنا مناسبة تجاه كل عمل تخريبي ترتكبه القوات القمعية.

جيش التحرر الوطني البوليفي

بلاغ رقم ٤: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية في مقابل الأكاذيب الرجعية

في بلاغات حديثة، اعترفت القوات المسلحة ببعض خسائرها في الاشتباكات الطليعية، فميا أعلنت كعادتها بانها كبدتنا عدداً كبيراً من القتلى

لـم تعرض جثثهم ابداً. رغم اننا لـم نتلق جميع التقارير من بعض دورياتنا، نستطيع أن نؤكد بان خسائرنا قليلة جداً، وباننا لـم نتكبد خسارة واحدة خلال العمليات الأخيرة التي اعترف بها الجيش.

إنتي بيريدو هو بالفعل عضو في قيادة جيشنا، حيث يشغل منصب مفوض سياسي، وقد حصلت، أخيراً، عدة عمليات بقيادته. إنه في صحة جيدة، ولـم يصب بأية طلقة عدوة، الاعلان غير الـمبرر أخيراً عن وفاته هو مثل ملـموس على الاكاذيب العبثية التي تروجها القوات الـمسلحة أمام عجزها عن محاربة جيشنا.

أما بالنسبة للأنباء الـمتعلقة بوجود مقاتلين من دول أميركية أخرى في صفوف جيشنا، فاننا سوف لن نعطي أرقاماً بسبب سرية العمل العسكري، وبسبب شعار الحقيقة الثورية، ولكننا سنقدم توضيحاً فقط: اي مواطن يرتضي برنامجنا الادنى الذي يقود إلى تحرير بوليفيا، يقبل في صفوف الثوار بحقوق وواجبات الـمقاتلين البوليفيين ذاتها، ويشكل هؤلاء، طبعاً، الاغلبية الكبيرة من حركتنا؛ وكل رجل مسلح يناضل من أجل تحرير وطننا يستحق ويحصل على الـمواطنية البوليفية الجديرة بالاحترام، بمعزل عن مكان ولادته. هكذا نفهم الأممية الثورية الحقيقية.

جيش التحرير الوطني البوليفي.

رسالة بمناسبة ٢٦ تموز، في الوقت المحدد

أيها الرفيق فيديل كاسترو،

من شرق بوليفيا، حيث نناضل لكي نكرر ملاحم وطنية قديمة، مستوحاة من النموذج الحديث للثورة الكوبية، حاملة راية الشعوب الـمضطهدة في العالـم، نرسل تحيتنا الاخوية الحارة، لتتحد وتحية ملايين الكائنات البشرية التي تعتبر هذا التاريخ، كبداية للـمرحلة الأخيرة من تحرير أميركا.

تقبلوا شخصياً، مع رفاقكم وكل شعبكم، شهادة إخلاصنا المطلق بالقضية المشتركة، وتهانينا بمناسبة سنة جديدة من النضال المثابر ضد الامبريالية الاميركية الشمالية.

إينتي المفوض السياسي في قيادة جيش التحرير الوطني البوليفي.

إضافة: اخفاق جديد في محاولة إعادة الاتصال. فقدنا توما وبابي ومغاور بوليفي من مجموعة غيفارا. لم نتلق معلومات عن مصير هذا الاخير: الاتصالات ما زالت مقطوعة مع جواكيم. جروح بومبو وباشو بسيطة لكنهما لا يستطيعان السير. يمر الفلاحون بفترة خوف وأسطورة حرب الغوار تكبر كالزبد. سنحاول الاتصال بيواكيم لكي نباشر عمليات جديدة. لا تسمح بخلق جبهة أخرى.

بلاغ رقم ٥: إلى عمال المناجم في بوليفيا

ايها الرفاق،

مرة أخرى، يسيل الدم البروليتاري في مناجمنا. في مؤسسة منجمية تعمل منذ عدة سنين، بعد امتصاص دم عامل المنجم المستعبد. هذا الدم يسيل في كل مرة يولد هذا القدر من الظلم انفجاراً من الاعتراضات؛ لم يتغير هذا التكرار الدوري خلال مئات السنوات.

خلال السنوات الاخيرة، انتُهك هذا التواتر وقتياً، وشكل العمال المتمردون العنصر الاساسي في انتصار ٩ نيسان. أعاد هذا الحدث، الامل بأفق جديدة، واعتقدنا بأن العمال سيصبحون أخيراً أسياد مصيرهم، لكن ميكانيكية العالم الامبريالي علّمت، الذين أرادوا ان يحفظوها، بأنه لايمكن، فيما يخص الثورة الاجتماعية، أن يكون هناك حلول نصفية: اما أن نستلم السلطة بشكل مطلق، أو حينئذ نفقد المكاسب التي حصلنا عليها بهذا القدر من التضحيات والدم.

انضم إلى ميليشيات بروليتاريا عمال المناجم المسلحة عنصر القوة الوحيد في البداية. ميليشيات من قطاعات أخرى من الطبقة العاملة، من المهملين ومن الفلاحين، الذين لم يدرك أعضاءها جوهر وحدة المصالح،

فدخلوا في نزاع فيما بينهم، تحركهم الديماغوجية المناوئة للشعب، فعاد الجيش المحترف ثانية، للظهور، بجلده الناعم كجلد الحمل وبمخالبه كمخالب ذئب. وهذا الجيش القليل العدد والقديم في البداية، أصبح الساعد المسلح ضد البروليتاريا، والشريك الاكثر أمانة للامبريالية، لذلك أعطى هذا الأخير موافقته على الانقلاب العسكري.

الآن نحن نتعافى من الهزيمة التي سببها تكرار أخطاء الطبقة العاملة التكتيكية، ونحضر البلاد، بصبر لثورة عميقة سوف تغيّر النظام جذرياً.

يجب ألا نصر على الخطط الخاطئة، البطولية بالطبع، ولكن العقيمة، التي تغرق البروليتاريا في حمام دم وتصفّي صفوفها، فتحرمنا بالتالي من العناصر الاكثر مثالية.

خلال أشهر طويلة من النضال، أرعش المغاوير البلاد، وأوقعوا عدداً كبيراً من الخسائر في صفوف الجيش البوليفي واضعفوا معنوياته، دون أن يتكبدوا، عملياً، اية خسائر. خلال اشتباك استمر عدة ساعات، بقي هذا الجيش نفسه مسيطراً على الأرض يتبختر على جثث القتلى البروليتاريين. ان الفرق بين المخطط الصائب والمخطط الخاطىء هو الفرق ذاته ما بين النصر والهزيمة.

أيها الرفيق عامل المنجم، لا تصغي، بعد الآن، إلى الداعين المزيفين للنضال الطبقي الذين يفسرونه بأنه مسيرة شعب، متماسك وجبهة ضد أسلحة الاضطهاد؛ لنتعلم من الواقع؛ ان الصدور البطلة لا تستطيع شيئاً ضد الرشيشات؛ كما ان المتاريس، مهما كانت متينة، لا تستطيع أن تصمد أمام أسلحة الدمار الحديثة.

ان النضال الجماهيري في البلدان النامية، التي يتشكل سكانها أساساً من الفلاحين، والتي تمتلك مساحات شاسعة، يجب أن تقود النضال فيها طليعة متحركة: الغوارة، المتواجدة في وسط الشعب، والتي ستكتسب القوة على حساب الجيش المعادي، وتحفز الحماسة الثورية التي ستنهار سلطة الدولة في ظلها، تحت قوة ضربة واحدة، موجهة جيداً، وفي الوقت المناسب.

ليفهمونا جيداً: نحن لا ندعو إلى الركود التام؛ نحن نوصي بالاّ تُستخدم قوات في عمليات غير مضمونة النجاح، لكن، مع ذلك، يجب أن يستمر ضغط الجماهير على الحكومة، لان الأمر يتعلق بنضال الطبقات دون جبهات محددة.

على البروليتاري في أي مكان وجد، أن يناضل ضمن امكانياته ضد العدو المشترك.

أيها الرفيق عامل المنجم، ان مغاوير جيش التحرير الوطني ينتظرونك بحفاوة ويدعونك لأن تتحد مع العاملين تحت الأرض الذين يناضلون إلى جانبنا. فهنا، نعيد بناء تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين، الذي فسخ بسبب الديماغوجية المعادية للشعب. هنا، سنحول الهزيمة إلى نصر، ودموع أرامل البروليتاريين إلى نشيد للنصر.

نحن بانتظاركم

جيش التحرير الوطني

البرقيات التي تلقاها القائد تشي غيفارا

برقية رقم ٣٢

تسلمنا برقية دانتون التي يبلغنا فيها بانه وصل إلى هذه (الاسم المرمز لبوليفيا)، واتصل بك. يغادر راميرو ريناغا في ١١ الشهر ويحمل حقيبته مع غلوكنتين، سيصل عن طريق سانتاكروز حيث سيمكث يومين ويتابع إلى لاباز Lapaz، لكي يتصل بالدكتور كوكو. نحن موافقون على أن يلتحق بنا. ريناغا شخص معروف من البوليفيين في هذه (بوليفيا) ـ اريال.
١٠ آذار

برقية رقم ٣٤

رامون،

منذ ٢٠ آذار، برقيات، وكالات دولية صادرة من لاباز، تفيد عن اشتباكات في مونتياغودو بين المغاورين والجيش. الحصيلة مقتل مسلح وكوبي واحد ومغاورين اسيرين بوليفيين إضافة إلى مصادرة اسلحة

حديثة، وجهاز راديو. أعلن عن تعبئة ضخمة لعدد كبير من القوات نحو هذه المنطقة. البرقيات الأخيرة تخلط مسؤولين وروخاس وفلاحاً وليستبن مع المغاورين. في الوقت ذاته، برقيات تتكهن حول احتمال قيادة تشي... حرب الغوار هذه كل المعلومات المتوافرة لدينا حتى اليوم.

أريال

٢٣ آذار

برقية رقم ٣٥

رامون،

أحداث في «بوليفيا» كان لها صدى دولي كبير.

تقوم وكالات الأنباء بحملة حول معارك المغاورين، وأسر جنود من الجيش، وخاصة حول تصريحات هؤلاء الإيجابية بعد اطلاق سراحهم، بالنسبة للمعاملة الحسنة التي لاقوها من جانب المغاورين. تقدير اقصى بعدد المغاورين بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ رجلٍ، خبرة ومعرفة الأرض من قبل المغاورين، مشاركة ارجنتينيين وبيرونيين، وكوبيين، وبوليفيين وصينيين وأوروبيين تحاول تقليل احتمال امكانية قيادة تشي للغوارة، تبرز كوكو بيريدو كشخصية أساسية كونه اشترى ملكية خاصة، اعلنت عن اعتقال مؤيدين للغوارة، وعن الدعم من قبل نساء المدينة، من بينهن تانيو التي اعطوا مواصفاتها واسمها، ووثيقة هويتها واسمها المستعار؛ يبدو أن هناك وشاية من سجين. لا ذكر لاسم ايفان. صدر تصريح عن الحزب الشيوعي موقع من مونجي وكوللي يعلن تضامنه مع الغوارة. ليشين مع الغوارة. شرحوا له الآفاق الاستراتيجية لحرب الغوار. وأعلموه بأنك تقودها. لقد أثار ذلك حماسه. وسوف يدعم بارسال متطوعين إلى الادغال وسيصدر تصريحاً بالدعم. سيدخل البلاد خلسة خلال عشرين يوماً، ربما شهراً، وسيبقى فيها. نرسل لكم قريباً وسائل اتصال.. من المستحب اجراء مقابلة شخصية عندما سيكون ذلك ممكناً. سيرسل رجالاً يتدربون في «تلك». نحن بحاجة لموافقتك على وضع توقيعك على نداء من أجل تنظيم لجنة دولية لدعم فيتنام... أنشئت بمبادرة من برتراند راسل. الوثيقة جيدة

وجذرية. فكرنا بارسالها لك، لكنه مستحيل في الظروف الراهنة لاننا بحاجة لنشرها في الحال. ستوقع من شخصيات عديدة. هذه المنظمة ستقدم لنا خدمة كبيرة في المستقبل؛ دعم الحركات الأميركية ـ اللاتينية. نفكر تحريك دعم واسع من قبل شعوب العالم للحركة الغوارية البوليفية مع التهاني...

في ١٣ ـ ٥ ـ ٦٧

برقية رقم ٣٦

رامون،

وصل ايڤان إلى «بوليفيا» مريضاً. غادرها قبل انقضاء اجازة اقامته بستة أيام. خلق ظروفاً تسمح له بالعودة، ولم يتورط قانونياً. سنرى امكانية عودته فور شفائه. ترك رودولفو وباريخا في حالة جيدة، وان كانا مشوّشين، وزْبيا يغوط في بنطاله. لوزانو أرسل برقية؛ الاتصالات معه جيدة. لوزانو على اتصال برودولفو. آخر الاخبار عن الشينو كانت برقية تسلمها كاميري من سانشيز يعلمه فيها عن وصوله إلى لاباز، لكنه لم يره بعد. سوف ننظم حملة من أجل تحرير دوبريه. لا أنباء عن اعتقاله ولا عن وضع تانيا والبيلادو. كولي طلب من رودولفو تجنيداً في الغوارة ومساعدة قصوى. وضع مونخي سيء؛ يبدو انهم سيخفضون رتبته. تتمتع الغوارة بشهرة عالمية وبدعم الحركات الثورية. تحيات إلى الجميع. بيكولو.

برقية رقم ٣٧

رامون،

١) البيروني كاباك، مسؤول في جيش التحرير الوطني عند اعداد نواة مغاوير في بونو، وصل لوضع اتفاق، لانهم لم يكونوا على اتصال مع الشينو ومقطوعين عن أخباره. شرحنا له اهمية حرب الغوار في بوليفيا دون اعطاء تفاصيل عن أعضاء القيادة باستثناء شرح مضمونها الاستراتيجي. شرحنا لالشينو الاتصال بالغوارة من أجل وضع اتفاقات،

وسانشيز يساعد في مهمات الدعم. تسلموا مبلغ /٢٥,٠٠٠/ خمسة وعشرين ألف دولار من أجل ارسال عشرين رجلاً للغوارة والاستمرار في عمل تأسيس النواة. في لاباز، احتفظ سانشيز بـ/ ٤٨,٠٠٠/ وهو مبلغ متبق من مجموع ما حمله الشينو، حسب تصريح كاباك الذي طلبنا منه عدم المس بهذا المال، بانتظار موافقة الشينو ـ الغوارة وترك سانشيز في وضعه الحالي.

اعداد النواة بطيء جداً: فقط خمسة رجال في مزرعة المستكشفين، السلاح مكوّن من اثنتي عشرة بندقية صيد مع ذخيرتها، ينوون الحصول عليها عن طريق الحدود البوليفية. انها كناية عن Z-B-30 وأربع بنادق ورشيشين. مهمات أغلبية أعضاء جيش التحرير الوطني في ليما هي الدعاية والتنظيم. بلغناهم أهمية تركيز الجهد على تنظيم النواة.

٢) جاء ماسبيرو إلى (بوليفيا) من أجل الوقوف على وضع دوبري والتأثير على دفاعه. سيحاول الاتصال بكوللي. سنعلمكم بنفس الوسيلة فور عودته. تأخذ حملة التضامن مع دوبري بعداً دولياً مع دعم شخصيات نافذة، في الوسطين العلمي والادبي.

٣) كتب تيليريا، في التشيلي، إلى أوتيرو يخبره عن نفوذ الغوارة في وسط عمال المناجم والمصانع، وبين الطلاب. تظاهرات أول أيار هتفت للغوارة.

تدني شعبية النظام اكثر فاكثر.

٤) ليشين في التشيلي دون متاعب، يلقى معاملة حسنة من السلطات.

٥) تسلمنا اخباراً غير مؤكدة. لاباز تخطط لانقلاب مع العقيد السابق سيوآن، بالارتباط مع فتح جبهة حرب غوار في غواياراميران، بقيادة روبين خوليو وبدعم من القطاعات العسكرية في OSNR. تحيات.

اريال.

١٣ حزيران

برقية رقم ٣٨

رامون،

بتاريخ ٤ تموز تسلمنا برقية مرسلة من رودولفو. جلبها فرنانديز فيلا

من أمانة JCB (ش.ش.ب)(*) البوليفية يوضح فيها بأنه ينتظر عودة ايفان ويكرر طلبه الملح بارسال عامل على جهاز الراديو ملم بالشيفرة. يمكن التعاون مع الغوارة ويطلب تعليمات عسكرية في الجزيرة. المنظمة تعمل في المناطق... في سانتا كروز والمنطقة الجنوبية [دعم].

يسأل إذا كان من المجدي فتح جبهة أخرى مع ٣٠ ـ ٤٠ رجلاً. يقول بأن الدكتور ريا لا يستطيع السير بسبب كسر أصيب به في المخيم. السفارة الاميركية نشطة جداً، وهي تحاول بذل جهد من أجل تجنيد أناس من الحزب الشيوعي البوليفي PCB.. ارسلت غونزالو في رحلة إلى الولايات المتحدة...

الحزب يبلغ بأن الحدود التشيلية مراقبة باحكام. تفاهم تام مع الحزب بواسطة جورجي. المحادثات ايضاً إيجابية مع قطاع غونزاليس في POR. ارسل لنا صندوقين للبريد حتى نراسله: الدكتور هوغو غالارد ف. Dr. Hugo Gallard F.، في كولون ٥٥٥، والدكتور خوسي غوزمان كاسيليا ٢٢٠٣، لاباز. انتهت برقية رودولفو. الرد على برقية رودولفو يقول ما يلي: تسلمنا برقيتك. نرسل إلى ماريانو مخطط عمل جديداً لجهاز الراديو. تعليق زيارة أماكن الاتصال مع ايفان هناك، يبدو انه تورط خلال اقامته. سوف لن يرجع لهذا السبب. رفيق جديد سيحل محله في الوقت المناسب. ضرورة أن ترسل صيغة اتصال موثوقة. تعمق في درس المناطق التي أشرت إليها. من غير المناسب فتح جبهة جديدة. من الملح بذل كل الجهود للاتصال برامون الذي سيقرر في الأمر. نظم مع الرجال الذين يرسلهم خلايا صغيرة للعمل والتخريب [وتطورها] [تدريجياً؟] إلى أعمال. من جهة أخرى، نظم الجهاز وفق التوجيهات المعطاة من رامون. سيصل في أيلول التقني المطلوب للراديو فهو يعرف جيداً مفاتيح الشيفرة. انه الطالب البوليفي أوستاكيومينا، الممنوح من ش.ش.ب. لكنه مجند من قبل جيش التحرير الوطني. ارسلوا مبعوثاً موثوقاً به مع المعلومات المطلوبة ولائحة بـ [عناصر] MNR الذين يودون التدريب ومعلومات عنهم. انتهت البرقية المرسلة إلى رودولفو. بشأن البديل عن ايفان، انه كوبي متمرس في حرب الجبال سييرا، نعمل لاقناعه. يمتلك توثيقاً ممتازاً، ونعتقد بأنه سيكون في بوليفيا في شهر تشرين الثاني. بالنسبة لإيفان، نفكر بألا نرسله

إلى بوليفيا بسبب ما حصل معه اثناء اقامته...

نعدّ له وثائق جديدة متماسكة لكي نرسله إلى التشيلي. نعتقد بانه سيكون هناك في شهر كانون الاول. نحضر مجموعة من ثلاثة وعشرين رجلاً. جميعهم طلاب أصحاب منح في الغوارة، ٩٠٪ من صفوف ش.ش.ب. والباقون سبارتاكيون ومستقلون. كلهم مدركون للنضال القائم، راغبون في الانخراط في جيش التحرير الوطني. انها مجموعة جيدة. نعمل أيضاً مع الطلاب، اصحاب المنح المتواجدين في الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا من أجل انخراطهم في النضال باشراف جيش التحرير الوطني. تحيات من «الوطن أو الموت».

حتى النصر، دائماً

برقية، رقم ٣٩

رامون،

منظمة تحرير اميركا الجنوبية شكلت نصراً للافكار الثورية. الوفد البوليفي «تفاهة». اخذوا مواقف معادية لمصالح الغوارة. انه مؤلف من الدو فلوريس ورامبرو أوتيرو من الحزب الشيوعي البوليفي، وماريوكاراسكو من PRIN والدكتور ريكاردو كانو من Flin. حاول فلوريس ان ينتحل صفة ممثل جيش التحرير البوليفي. اضطررنا إلى نفي ذلك. علاقتنا معهم باردة جداً، وطلبنا منهم أن يرسلوا رجالاً من كوللي لنتباحث. أبلغنا الدكتور كانو بانه قد تم تفتيش منزل طبيب الأسنان لوزانو فانتقل إلى العمل السري. نعتقد بإمكان اجراء عملية دوبراي، ونسعى في هذا الاتجاه.

تحيات آرييل

رسالة إلى مؤتمر القارات الثلاث»
«اخلقوا فيتنامين، ثلاثاً... عدة فيتنامات، ذلك هو الشعار».

انها ساعة اللهيب، ويجب الا نرى سوى النور
جوزي مارتي.

واحد وعشرون عاماً مضت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ونحتفل بالحدث الذي يرمز إلى هزيمة اليابان. منشورات مختلفة، في عدد كبير من اللغات. يخيم جو من التفاؤل الظاهري على قطاعات عديدة من المعسكرات المتباينة التي تقسم العالم.

واحد وعشرون سنة دون حرب عالمية، في أزمنة المواجهات القصوى، والصدامات العنيفة والتبدلات المفاجئة، تبدو فترة طويلة. لكن، دون أن نحلل النتائج العملية لهذا السلام الذي نحن مستعدون جميعنا ان نناضل من أجله (البؤس، والانحطاط والاستثمار المتزايد أكثر فاكثر لقطاعات ضخمة من العالم)، يجدر أن نتساءل إذا ما كان هذا السلام واقعياً.

لا تدعي هذه الملاحظات وضع تاريخ النزاعات المختلفة، ذات الطابع المحلي، التي توالت منذ استسلام اليابان؛ كما انه ليست مهمتنا وضع جردة بالنتائج الهائلة والمتزايدة للنزاعات الأهلية التي حدثت خلال هذه السنوات من السلام المزعوم. فيكفينا ان نواجه هذا التفاؤل المغالى به بأمثلة حربَي كوريا وفيتنام.

ففي فيتنام، وبعد سنوات من القتال الهمجي، تعرض القسم الشمالي من البلاد للتدمير الاكثر همجية في حوليات الحرب الحديثة، مزروعاً بالقنابل، بدون مصانع وبدون مدارس وبدون مستشفيات، وبدون أي ملجأ لعشرة ملايين مواطن.

وفي الحرب الكورية، تدخلت، تحت راية الامم المتحدة غير المشروعة، عشرات من البلدان تحت القيادة العسكرية للولايات المتحدة، وبمشاركة كثيفة من الجنود الأميركيين، مستعملين السكان الكوريين الجنوبيين المتطوعين كطعام للمدفع.

في المعسكر المعادي، كان الجهاز العسكري السوفياتي يزود شعب كوريا والمتطوعين من جمهورية الصين الشعبية بالسلاح والمساعدات. وفي الجانب الاميركي، انكبوا على كل أنواع التجارب لأسلحة الدمار. وإذا كانت الأسلحة النووية الحرارية قد استثنيت، فقد تم استعمال الأسلحة الجرثومية، والكيميائية على مستوى منخفض.

تتابعت في فيتنام، العمليات العسكرية التي تخوضها، بدون انقطاع، تقريباً، القوات الوطنية، ضد ثلاث دول امبريالية كبرى: اليابان التي انهارت قوتها بشكل عامودي بعد القاء القنابل النووية على هيروشيما وناغازاكي، وفرنسا التي استعادت، في هذا البلد المهزوم، مستعمراتها في الهند الصينية وتجاهلت الوعود المقطوعة أثناء الأوقات الصعبة؛ والولايات المتحدة الأميركية، في هذه المرحلة الأخيرة من القتال.

جرت مواجهات محدودة في كافة القارات، مع انها لم تحصل، منذ مدة طويلة، في القارة الاميركية، سوى محاولات حرب تحررية أو انقلابات، حتى اللحظة التي دقت فيها الثورة الكوبية ناقوس الخطر حول أهمية هذه المنطقة، وأثارت غيظ الامبرياليين، مما اضطرها للدفاع عن شواطئها، في بلاياجيرون في البدء، ومن ثم خلال أزمة تشرين الأول.

كان من الممكن أن يؤدي هذا الحادث الأخير إلى حرب ذات أبعاد هائلة، بسبب المواجهة بين الأميركيين والسوفيات بصدد كوبا.

لكن، بالتأكيد، أصبح مركز الاهتمامات، في الوقت الحاضر، في أراضي شبه جزيرة الهند الصينية وفي البلدان المجاورة. كاللاوس والفيتنام تهزها حروب أهلية تفقد طبيعتها، كحرب أهلية منذ اللحظة التي تتواجد فيها الامبريالية الأميركية، مع كل قدراتها، وتصبح بالتالي كل المنطقة صاعقاً خطيراً جاهزاً للانفجار.

في فيتنام، اتخذت المواجهة حدة قصوى. اننا لا ننوي هنا أيضاً، كتابة

تاريخ هذه الحرب. وسوف نشير ببساطة إلى بعض نقاط الاستدلال.

في عام ١٩٥٤، بعد هزيمة ديين بيين فو جرى التوقيع على اتفاقيات جنيف، التي قسمت البلاد إلى منطقتين واشترطت اجراء انتخابات خلال ثمانية عشر شهراً لتقرير من سيحكم الفيتنام وكيف ستتوحد البلاد. لم يوقع الاميركيون على هذه الوثيقة وباشروا بالمناورة لكي يستبدلوا الامبراطور باوداي، الدمية الفرنسية، برجل يتجاوب مع مآربهم. اختاروا نفو دينه ديام، الذي يعرف كل العالم مصيره المأساوي ـ كالبرتقالة المعصورة من الامبريالية. ساد التفاؤل في معسكر القوى الشعبية خلال الشهور التي تلت التوقيع على اتفاقات جنيف. وتم تدمير الأجهزة الخاصة بالنضال ضد الفرنسيين في جنوب البلاد بانتظار تنفيذ الاتفاق. لكن المواطنين لم يلبثوا أن أدركوا أن الانتخابات لن تحصل، إلا إذا شعر الاميركيون بانهم سيفرضون مشيئتهم في صناديق الاقتراع، الأمر الذي لا يمكن حصوله، حتى ولو لجأوا إلى جميع اشكال التزوير التي يملكون اسرارها.

استؤنفت المعارك في جنوب البلاد، وازدادت حدتها أكثر فاكثر، حتى الوقت الحالي حيث بلغ عدد الجيش الاميركي حوالي نصف مليون غازياً، بينما تضاءل عدد القوات «الدمى».

باشرت القوات الجوية الاميركية منذ سنتين تقريباً، بقصف منتظم لجمهورية فيتنام الديمقراطية. في محاولة جديدة لكبح المعنويات القتالية لدى الثوار في الجنوب وفرض مؤتمر من موقع قوة عليهم. كان القصف الجوي، في البداية، منعزلاً نوعاً ما، وكان يتذرع بالانتقامات ضد استفزاز مزعوم من الشمال. ازداد القصف الجوي حدة، فيما بعد، واصبح منهجياً، إلى أن تحول إلى غارات كثيفة شنتها الوحدات الجوية الاميركية، يوماً بعد يوم، بهدف محو كل أثر للحضارة في المنطقة الشمالية في البلاد. انها إحدى حقبات التصدي السيء الشهرة.

لقد حقق العالم الاميركي، برأي البعض، أهدافه المادية رغم التصدي الحازم لوحدات الدفاع الجوي في فيتنام، ورغم اسقاط الـ ١٧٠٠ طائرة، ورغم دعم المعسكر الاشتراكي بالعتاد الحربي.

هناك حقيقة مريرة: الفيتنام، تلك الأمة التي تجسد تطلعات وآمال، عالم منسي، بأكمله، بالنصر، هي وحدها بشكل ماساوي.

ان تضامن العالم التقدمي مع شعب فيتنام، أشبه ما يكون بالسخرية اللاذعة، التي كان يعبّر عنها عامة الشعب في تشجيعهم للمصارعين في المدرّج الروماني. فالأمر لا يقتصر على أن نتمنى النجاح لضحية الاعتداء، وإنما يجب أن نتقاسم مصيرها، نرافقها في الموت وفي النصر.

إذا حلّلنا العزلة الفيتنامية، اعترتنا رعشة قلق من تلك اللحظة غير المنطقية من تاريخ الانسانية.

ان الامبريالية الأميركية هي مذنبة بالعدوان، وجرائمها هائلة وتمتد على العالم بأسره. نحن نعرف ذلك أيها السادة! ولكن الذنب يقع، أيضاً، على هؤلاء الذين، عند لحظة القرار، ترددوا بأن يجعلوا من الفيتنام جزءاً منيعاً من الأرض الاشتراكية، ربما كانوا بذلك، خاطروا باندلاع حرب على مستوى عالمي، لكنهم كانوا اجبروا الامبرياليين الاميركيين على اتخاذ قرارهم. انهم مذنبون هؤلاء الذين يواصلون حرب الشتائم والتي بدأها منذ مدة طويلة، ممثلو أكبر دولتين في المعسكر الاشتراكي.

لنطرح السؤال من أجل أن نحصل على جواب نزيه: هل الفيتنام هو بلد منعزل أم لا، وخاضع لتوازنات خطيرة بين الدولتين الكبيرتين المتخاصمتين؟

كم هو عظيم هذا الشعب! كم هو رابط الجاش وشجاع! وأية عبرة قدم كفاحه للعالم!

سوف لن نعرف قبل وقت طويل، إذا ما كان الرئيس جونسون، يفكر جدياً بالشروع باجراء بعض الاصلاحات الضرورية لشعب ما، من أجل أن يخفف من حدة تناقضات طبقية تتجلى بقوى متفجرة، وبشكل أكثر فأكثر تكراراً. الأمر المؤكد، هو ان الاصلاحات المعلنة تحت العنوان المضخم: النضال من أجل «المجتمع العظيم» رميت في صنبور الفيتنام.

ان أعظم قوة امبريالية، تعاني من النزف الذي يسببه لها بلد فقير ومتخلف، ويتأثر اقتصاده القوي من المجهود الحربي. فلم يعد القتل التجارة الأكثر مردودية بالنسبة لأصحاب الاحتكارات. وكل ما يملكه

هؤلاء الجنود البارعون، بالإضافة إلى حب الوطن، وحب مجتمعهم وشجاعة تجاه كل المصاعب، هي أسلحة دفاعية، وبكمية غير كافية. لكن الامبريالية تورطت في فيتنام، ولم تجد لنفسها مخرجاً وهي تبحث، دون امل، عن طريقة تمكنها من التخلص بشرف من الخطر الذي تواجهه. لكن «النقاط الأربع» من شمال الفيتنام، و«النقاط الخمس» في جنوب الفيتنام تؤلمها، وتجعل المجابهة اكثر تصميماً أيضاً.

يبدو أن كل شيء يشير إلى أن السلام، هذا السلام المؤقت الذي يطلق عليه هذا الاسم، لانه لم يحصل بسببه أي نزاع عالمي. لقد أصبح مجدداً مهدداً بالانهيار نتيجة مبادرة متصلبة ومرفوضة، يتخذها الأميركيون.

إذن، ما هو الدور الذي يمكن أن نلعبه، نحن، المستغلين في العالم؟ ان شعوب القارات الثلاث يراقبون ويتلقون درسهم في فيتنام. وبما ان الامبرياليين، يمارسون ابتزازهم على البشرية، في ظل التهديد بالحرب، فالجواب الصحيح هو ألاّ نخاف من الحرب. ويجب أن يكون نهج الشعوب العام الهجوم بقساوة وباستمرار من كل نقطة مواجهة.

لكن ما هي مهمتنا نحن، حيث تعثر السلام البائس الذي نعاني منه؟

علينا ان نتحرر باي ثمن. ان نظرة شاملة إلى العالم تكشف لنا تعقيداً كبيراً، ومهمة التحرير، تنتظر أيضاً بلداناً من أوروبا القديمة متطورة إلى حد تتأثر معه بالتناقضات الراسمالية، لكنها ضعيفة بحيث لا تستطيع أن تسلك طريق الامبريالية أو أن تلتزم بها. هنا ستبلغ التناقضات، في السنوات القادمة، طابعاً متفجراً، لكن مشاكلها، وبالتالي حلولها تختلف عن مشاكل شعوبنا التابعة والمتخلفة اقتصادياً.

ان المجال الأهم للاستثمارات الامبريالية يشمل القارات الثلاث المتخلفة: اميركا وآسيا وافريقيا، فلكل بلد ميزاته الخاصة، لكن القارات بمجملها تنطوي أيضاً على الميزات ذاتها.

تشكل القارة الأميركية مجموعة متناسقة، بهذا القدر أو ذاك، وتحتفظ الرساميل الاحتكارية الاميركية، بهيمنة مطلقة، على كافة أراضيها تقريباً. فحكومات الدمى،أو، في أحسن الحالات، الضعيفة أو الجبانة، لا تستطيع معارضة أوامر السيد الأميركي. لقد بلغ الأميركيون الذروة، تقريباً، في

سيطرتهم السياسية والاقتصادية، ولم يعد باستطاعتهم ان يتقدموا أكثر من ذلك؛ لكن أي تبدل في الوضع يمكن ان يتحول إلى تراجع للهيمنة. ان سياستهم هي في المحافظة على ما كسبوه. وخطة العمل تنحصر حالياً في الاستعمال العنيف للقوة من أجل اخماد الحركات التحررية، مهما كانت.

ان شعارهم:«سوف لن نسمح بكوبا ثانية» يخفي امكانية ارتكاب تعديات بلا عقاب، كتلك التي اقترفوها ضد جمهورية الدومنيكان، أو سابقاً، مجزرة باناما، والتحذير الصريح بأن الجيوش الأميركية على استعداد للتدخل في أي مكان من القارة الاميركية، حيث يختل النظام القائم، مهددة، بذلك المصالح الأميركية. تحظى هذه السياسة بحرية التصرف شبه المطلق، وتشكل منظمة الدول الاميركية، رغم انها فقدت اعتبارها، قناعاً ملائماً؛ ومنظمة الامم المتحدة هي في عدم فعاليتها، تقارب التفاهة والمأساة؛ فجيوش كل الدول الأميركية متاهبة للتدخل لسحق شعوبها. في الواقع، لقد تشكلت أممية الجريمة والخيانة. من جهة أخرى، أصبحت البورجوازية الوطنية عاجزة عن التصدي للامبريالية - إذا كانوا قد تصدوا يوماً - واصبحت تشكل الآن ساحتها الخلفية. لم يعد هناك تغيرات أخرى. فاما ثورة اشتراكية أو كاريكاتور ثورة.

آسيا هي قارة ذات مميزات مختلفة. الكفاح من أجل التحرير ضد القوى الاستعمارية الأوروبية أدت إلى إقامة حكومات تقدمية، إلى هذا الحد أو ذاك، أدى تتطورها اللاحق، في بعض البلدان، إلى تعميق أهداف أساسية للتحرير الوطني، وفي بلدان أخرى إلى العودة إلى مواقف مؤيدة للامبريالية.

من وجهة نظر اقتصادية، لدى الولايات المتحدة القليل لتخسره والكثير لتربحه في القارة الآسيوية. التغييرات في مصحلتها، فهي تكافح في سبيل استبعاد قوى استعمارية جديدة، وتكتشف دوائر عمل جديدة في الميدان الاقتصادي، أحياناً مباشرة، وأحياناً أخرى بواسطة اليابان.

لكن هناك ظروف سياسية خاصة، لا سيما في شبه جزيرة الهند الصينية، تعطي للقارة الآسيوية مميزات ذات أهمية نادرة، وتلعب دوراً كبيراً جداً في الاستراتجية العسكرية الشاملة للامبريالية. فهذه الأخيرة، تنشر حول الصين حزاماً يشمل على الاقل، كوريا الجنوبية واليابان وتايوان وجنوب فيتنام، وتايلاند.